السبت 19 تشرين الثاني 2022
العدد 4782 السنة السابعة عشرة
Samedi 19 Novembre 2022 nº 4782 17ème année

28 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

آلهة وشياطين

وزارة السياحة
لعيون «الشيخ هادي» [4]

باريس تتحضر لمبادرة «أكثر وضوحاً» [2]

على رغم الانتكاسات، لم تيأس قطر من إمكانية التحوّل إلى «أثينا جديدة» (أ ف ب)

البلاد

ملف

عز الدين القسّام
سيرة دمٍ على حَجر

[16 ـ 19]

أميركا

من ترامب إلى ديسانتيس... الحزب القديم مات

11

قضية

باريس تتحضر لمبادرة «أكثر وضوحاً»

مع قناعة جميع اللاعبين بأن وقت التفاهم لم يحن بعد بشأن الانتخابات الرئاسية. فإن انتظار نتائج من جلسات المجلس النيابي يبدو من دون طائل. لكن ذلك لا يمنع أن الجهود التي تبذل جانبياً باتت أكثر سرعة وكثافة من السابق، خصوصاً أن الطرف الخارجي يسعى إلى كسب لحظة الانقسامات الداخلية الواسعة لتمرير تفاهم يناسبه ولا يغضب اللبنانيين، وسط نقاش لم ينته بعد إلى نتيجة حول ما إذا كانت الولايات المتحدة والسعودية تريدان استقراراً فعلياً في لبنان، أم أنهما تدعمان فكرة تمادي الانهيار للدولة والمؤسسات والاقتصاد، مراهنتين على استسلام سياسي لبناني يتيح لهما إعادة تركيبة الحكم في لبنان بطريقة مختلفة.

ومرة جديدة، يشعر الجميع بأن كلمة السر التي ستفتح الأبواب أمام الحل ستأتي من الخارج، حتى ولو كانت نتيجة مشاورات وصفقات مع أطراف لبنانية. وفي هذه النقطة بالتحديد، يبرز الدور الفرنسي باعتباره العنصر الأبرز خارجياً، كون باريس لا تمثل نفسها في هذه المفاوضات، بل هي تعمل وفق مستوى معين من التفويض الأميركي وترغب بالحصول على تفويض مشابه من السعودية، ومتى توافر لها ذلك تعتقد أن بمقدورها التوصل إلى اتفاق بعيد تنظيم الحياة في مؤسسات الدولة، وحتى بتوضيح فعلياً حجم التفويض المعطى للفرنسيين، فإن باريس حصرت جهودها في الآونة الأخيرة مع الأطراف التي تعتبرها صاحبة حق النقض أو صاحبة القدرة على تعطيل أي مشروع رئاسي أو حكومي أو حتى اقتصادي.

لكن المفارقة القائمة، لا تتعلق بالتناقضات اللبنانية حول الملف الرئاسي فقط، بل في كون ما هو ظاهر الآن يتركز على خلافات جدية تعصف بالفريق السياسي الحليف لحزب الله، وهو فريق يشمل الحزب والتيار الوطني الحر وحركة أمل وتيار المردة وشخصيات أخرى، بينما لا يبدو الفريق الآخر الذي لا يمكن اعتباره متماسكاً بصورة دائمة، قادراً على فرض مسار يقود إلى نتيجة حاسمة. والأمر هنا يتصل أساساً بأن الحزب التقدمي الاشتراكي ليس منخرطاً بصورة مطلقة بلعبة ترشيح خصم لحزب الله مثل النائب ميشال معوض، كما أن قوى أخرى مثل «القوات اللبنانية» تبدو في النهاية أكثر التزاماً بما ستصل إليه السعودية من مفاوضات مع الأميركيين والفرنسيين والآخرين. وبالعودة إلى تفاصيل الجهود الفرنسية، فقد أعدت السفيرة في بيروت آن غريو، برنامج لقاءات واتصالات من نوع مختلف عن المرحلة السابقة، حيث أنجزت المهمة الأولى بالاستطلاع العام، وباتت باريس على معرفة دقيقة بالمواقف الفعلية لجميع الأطراف. لكن باريس التي تسعى لأن تكون صاحبة الدور الأبرز، تسعى أيضاً لعدم ترك دورها رهن الملف الرئاسي فقط، بل هي تسعى لوضعية لبنانية تتيح لها بناء تحالفات تسمح لها بلعب دور مستدام، لا يحتاج إلى مصادقة أميركية دائمة. وهذا ما يجعل الفرنسيين يناقشون الأمر من زوايا مختلفة، وفي هذا السياق يسعى الفرنسيون إلى وضع خريطة طريق جديدة تفضي إلى التقدم بمبادرة واضحة للانتخابات الرئاسية معطوفة على الملف الحكومي والملف الاقتصادي أيضاً. وقد تنتظر هذه المبادرة المزيد من المشاورات الفرنسية مع الآخرين، خصوصاً مع الولايات المتحدة التي سيزورها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قريباً إلى جانب المحادثات القائمة مع الجانب السعودي والتي يحرص الطرفان على عدم تناولها إعلامياً ولا حتى في المجالس الخاصة.

وبناء عليه، يعمل الفرنسيون الآن على خط رئيسي لا يقتصر على حوار مفتوح ودائم مع حزب الله، بل على السير في تواصل أوسع مع رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل ومع البطريرك الماروني بشارة الراعي. حيث يبدو أن هناك رهاناً مشتركاً لدى باريس من جهة والراعي وباسيل من جهة أخرى على إنتاج أسم من خارج الأقطاب البارزين، مثل زياد بارود، وتأمين توافق مسيحي أكبر عليه، انطلاقاً من شعور قوي لدى باسيل والراعي أن الأخير قادر على أن يكون مقنعاً لبقية المكونات المسيحية، بالتالي، سيكون سهلاً على الفرنسيين العمل على تسويقه عند بقية الأطراف في لبنان وخارجه، وسيضطر الأطراف في الجبهة الأخرى من الرئيس نبيه بري إلى حزب الله إلى النائب السابق وليد جنبلاط للسير به، إما لأن بعضهم (بري وجنبلاط) قد لا يجد مشكلة في تسوية مع بارود، أو لأن طرفاً مثل حزب الله سيكون الأكثر حرجاً بين جميع الملاعبين. وهذه النقطة وحدها، تستدعي نقاشاً من نوع آخر بين الحزب والتيار الوطني الحر.

(الأخبار)

(ويب)

توضيح حول لقاء باسيل وبري

جاءنا من مكتب النائب جبران باسيل الآتي:

إن ما ورد في جريدة الأخبار من تفاصيل حول ترتيب اللقاء الذي جمع الرئيس نبيه بري مع الوزير جبران باسيل والذي بقي بعيداً من الإعلام، ليست دقيقة وغير واقعية، فاللقاء جاء بمبادرة من السفيرة فرح بري، وقد رحب بها فوراً باسيل وبري. مع التأكيد في الوقت نفسه على أهمية واستمرار التواصل مع جميع المرجعيات والأحزاب السياسية في البلاد ومن ضمنها الرئيس بري من أجل إيصال لبنان إلى بر الأمان وإيجاد الحلول الوطنية لمسألة انتخاب رئيس جديد للجمهورية، ووضع لبنان على سكة التعافي. وأضافت المعلومات أنه ليس هناك اتفاق مع بري بمعزل عن حزب الله.

رهان مشترك لدى باريس والراعي وباسيل على إنتاج اسم من خارج الاقطاب البارزين، مثل زياد بارود

تقرير

حزب الله لم يقطع الطريق بعد أمام قائد الجيش

لم يقفل حزب الله الباب أمام اي تسوية. ولا سار بمرشح تحدٍ بعد. ما يجري حتى الآن محاولة استكشاف العروض الخارجية وإبقاء باب التواصل وتحديد الشروط. لا أسماء المرشحين

هيام القصيفي

تعاملت قوى سياسية مع الكلام الأخير للأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله حول الانتخابات الرئاسية، بأنه مقفلي ونهائي، في اتجاه ترشيح رئيس تيار المردة سليمان فرنجية. وما عدا ذلك قطع الطريق أمام قائد الجيش العماد جوزف عون نحو قصر بعبدا.

لكن ثمة قراءات مختلفة منطلقة من معلومات تتحدث عنها أوساط سياسية على بينة من مسار الحزب الرئاسي. في القراءة أن الحزب لم يعط وعداً قاطعاً لفرنجية على غرار ما أعطاه للعماد ميشال عون قبل ثماني سنوات ونصف سنة، لأسباب عدة. حينها، انتظر لبنان سنتين ونصف سنة من الفراغ لينتخب عون. كانت ظروف الحزب مختلفة وكذلك كانت أوضاع المنطقة وما يحيط بها مغايرة تماماً. لكن ما جعل قرار الحزب يترجم عملياً، أن الداخل استوعب التسوية مع الرئيس سعد الحريري، وبعد تفاهم معراب الذي أسس لقاعدة واسعة من الترتيبات الرئاسية. اليوم، كل الظروف المحلية والخارجية، لا تقدم للحزب الفرصة ذاتها، فحتى أوضاع الحزب لم تعد على ما هي عليه ليس بمعنى فائض القوة إنما بمعنى تدهور العلاقات الداخلية التي تضع جميع خصومه في سلة واحدة ضده، عطفاً على عوامل إقليمية تحد من حرية تكرار تجربة عهد الرئيس ميشال عون. يعرف حزب الله أن المجيء بفرنجية لم يعد بالسهولة التي سمحت بمجيء عون. وهو من أجل ذلك لا يمكن أن يعطي وعداً علنياً وتبنياً لترشيح لن يكون قادراً على تحقيقه. ولأن الظروف الآنية تجعل من المستحيل انتخاب فرنجية، تصبح آلية التراجع عن أي وعد رسمي أكثر صعوبة، وتنعكس خسارة في رصيد الحزب إذا ما نضجت الترتيبات الخارجية. علماً أنه لا يزال في نظر خصومه يحاول التخفيف من أضرار وقع الترسيم البحري وانعكاساته السياسية. وهو من أجل ذلك يترك الباب مفتوحاً أمام المفاوضات التي تسمح له بأن يخوض معركة الرئاسة بمناورة مستترة تحمل اسم فرنجية من غير تبنيه رسمياً، لكن مع فتح المجال أمام أسماء حلفاء أو مستقلين وتوافقين يمكن أن يصل الخيار إليهم في حال نضجت ظروف الرئاسة خارجياً. وهذا لا يعني أن الحزب ميّال إلى فرنجية بالمطلق كخيار أول أو نهائي أكثر من ميله إلى رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل.

يمثل باسيل للحزب اطمئناناً مطلقاً وإن كان ينزعج من تصرفاته وبعض مواقفه ولا يرتاح إلى أدائه الفوقي. لكنه في المحصلة كان ولا يزال أحد أثبت حلفائه، الذين يعاندون ويهددون دوماً بفرط التحالف من دون أن يقدم عليه. وفي المقابل، يتصرف باسيل من موقع القوة كذلك على أساس أن الحزب يحتاج إليه وأنه لا يزال له في ذمة الحزب الكثير، لأنه غالباً ما غطاه داخلياً وخارجياً. ويعتبر أن الحزب لا يزال يحتاج إليه، وما هو قادر على توفيره لن يتمكن أي مرشح حليف آخر تأمينه. لكن مشكلة باسيل أنه لا يستطيع الإتيان به في ظل الظروف الراهنة التي تحيط به كشخص وموقع خارجياً، وداخلياً بعدما أكثر من أعدائه قلم يُبقِ على صلة اتصال واحدة مع القوى السياسية المعارضة، لا بل أضاف إلى رصيده عداوات مفتوحة. واستنفاد الوقت كي يتمكن باسيل من ترتيب أوضاعه في فراغ طويل الأمد قد لا يكون مضموناً في حال تضافرت عوامل خارجية لتسريع أوان الاستحقاق. ما يضع الحزب أمام استحقاق الاختيار بين مرشحين توافقيين قد لا يكون في الأصل ميالاً إليهما، لا سيما في ما يتعلق بعنوان أساسي أي وضع الحزب كمقاومة وتعامل الرئيس الجديد معها.

من هنا نظر إلى كلام نصرالله حول الجيش بنظرة متفاوتة. هناك شبه ثقة بأن حزب الله، وإن لم يكن قائد الجيش خياره الأول أو الثاني حتى، لم يقطع الطريق أمامه. وتوجيهه رسائل مباشرة إلى عون لا تعني إقفال باب الاجتهاد والحوارات التي سبق وبدأت، ولديها مؤيدون، كما لديها خصوم يعملون على التقليل من أهميتها وفرملة أي محاولة لتسويقها.

أن يكون الجيش ميالاً إلى الأميركيين

> آليات التنسيق بين الجيش والاميركيين قائمة بمعرفة جميع القوى بما في ذلك الحزب

فهذا معروف سواء وصل قائده إلى قصر بعبدا أم لم يصل، وكل آليات التنسيق بين الجيش والأميركيين قائمة بمعرفة جميع القوى على أعلى المراتب بما في ذلك الحزب. علماً أن الأخير يعرف كذلك أن أي قائد للجيش يصل إلى بعبدا، لن يكون بمنأى عن التنسيق معه، ولن ينتخب إلا وفق قاعدة تفاهمات عريضة عملانية. لذا فُهم كلام الأمين العام بأنه قد يكون بمثابة استدراج عروض من أجل الحصول على ضمانات داخلية، يثق الحزب بأن أي قائد جيش سيقدمها، ولو بعد حين، على مسار التمهيد للوصول إلى بعبدا. وهو أعطى تنبيهات حول شروط محددة تتعلق بالواقع الأمني ومستقبل العلاقة بين الجيش والحزب. ليكون الحزب بذلك يحدد شروطاً على طريق الرئاسة لا شروطاً للأشخاص ومواصفاتهم. علماً أن الحزب كما بات واضحاً لا يزال عاجزاً عن فك عقدة باسيل – عون لأن كل تعهدات الحزب ورسائل عون الإيجابية في المقابل لن تكفي باسيل للوثوق بقائد الجيش، ولا بمسؤولين ونواب ووزراء وطبقة سياسية ومالية تنقل البارودة من كتف إلى كتف. فيصبح أي اسم توافقي ولو من الدرجة الثانية أسهل على باسيل باشواط، كونه لا يتمتع بأي حيثية أمنية وطبقة ضباط تدعمه أو كتلة سياسية وإرث عائلي وإقطاعي، ما يسهل عليه أمر التحكم بمفاصل العهد المقبل من موقعه ككتلة نيابية مسيحية وازنة.

لذا يترك الحزب الباب مفتوحاً لمرشحين لا مرشح واحد، ويعطي مجال التفاوض عبر الرئيس نبيه بري، حيث يمكن الأخذ بأطر أوسع وأكثر ليونة سياسية على طريق اختيار الاسم في مراحل التصفية النهائية.

(هيثم الموسوي)

فضّ أسعار عروض الفيول الأربعاء المقبل

ست ساعات استغرق فضّ العروض الإدارية العائدة لثلاث شركات تنافست للفوز بمناقصة شراء فيول أويل A وفيول أويل B وغاز أويل لمصلحة «مؤسسة كهرباء لبنان». وفي نهاية الجلسة تبيّن أن اثنين من بين العارضين الثلاثة لديهم نواقص غير جوهرية في عروضاتهم، لذا تقرّر بناء على المادة 55 من قانون الشراء العام، والمادة 16 من دفتر الشروط، إمهال الشركات حتى يوم الأربعاء لتصحيح مستنداتها وفضّ العروض المالية.

الشركات الثلاث التي شاركت في المناقصة هي: «Coral Energy DMCC» وهي شركة أذربيجانية (لا علاقة لها بشركة كورال لبنان)، وشركة «BB Energy trading LTD» التي تعمل في أوروبا مع أنها لبنانية الأصل، وشركة «Vitol BAHRAIN» المملوكة من شركة «فيتول هولدنغ» السويسرية.

وبحسب دفتر الشروط، فإن مؤسسة كهرباء لبنان ستشتري من الشركة الفائزة الكميات التي تحتاجها لتشغيل معامل إنتاج الطاقة الكهربائية بما يؤمن «معدل تغذية يومي يصل إلى ما بين 8 ساعات و10 ساعات». وفق بيان الوزارة الذي أعلنت فيه المناقصة الشهر الفائت. وكانت الوزارة قد أطلقت المناقصة بعد «مشاورات واجتماعات أجريت بين رئيس مجلس الوزراء ووزير الطاقة والمياه ووزارة المالية وحاكم مصرف لبنان والتي أفضت إلى إبلاغ الوزير وليد فياض بتأمين التمويل اللازم».

تقرير

عراضة سامي تفتح الباب أمام معالجة ثغر الطائف

غسان سعود

لكثيرين لا تعني المادة 49 من الدستور وحتى الدستور نفسه أيّ شيء، كما لا تعنيهم كلمة "نصاب"، أو يفهمون علاقة هذا النصاب بالأرقام والمشروعية والميثاقية، ولا تعنيهم القوانين والآليات. سُخف كل ما سبق بنظرهم، كما سُخفت مفاهيم مثل "المقاومة" و"الممانعة" و"رفض التطبيع"، وبات أي حديث عن "تصحيح التمثيل" و"الرئيس القوي في طائفته" يثير زوابع ضحك صاخب في الإستديوهات بإشارة من المخرجين طبعاً. كل ذلك في ظل جيل – لا علاقة له بعمر محدّد – يريد الحديث عن رئيس الجمهورية ومسؤولياته هنا وهناك من دون أن يقبل الاطّلاع من قريب أو بعيد على صلاحيات هذا الرئيس أو التوقف عندها، تماماً كما يريد الحديث عن الفساد والفاسدين من دون الاطّلاع من قريب أو بعيد على ملفات الفساد والقوانين ودور القضاء وغيره، تماماً كما يريد الحديث عن تفجير المرفأ والمسؤوليات عنه من دون تكبيد نفسه عناء قراءة تقرير قانوني جدي واحد عن الموضوع، وهو يريد اليوم انتخاب رئيس من دون التوقف عند أي نقاش دستوري – أكاديمي – قانوني – سياسي – طائفي ممل في نظره بشأن الدستور والمواد والنصاب وغيرها. وهنا يلعب رئيس حزب الكتائب النائب سامي الجميل دوراً متقدماً (حتى على القوات اللبنانية) منذ 17 تشرين في التوفيق بين ما يطلبه السفير السعوديّ وما يطلبه الجمهور المنقاد بالكامل عن بعد عبر "ريموت كونترول" يتمثل بوسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي التي أتت لتقول إن كل فيديو تتجاوز مدته عشرين ثانية هو مضيعة للوقت، وكل تحقيق أو تقرير أو فكرة يتجاوز حجمها 280 حرفاً تفقد جاذبيتها.

عشية تكليف رؤساء الحكومات المتعاقبين، كان رئيس الجمهورية يطرح في كل مرة شروطاً تسبق التكليف بشأن مهمة الرئيس العتيد وكيفية إنجازها، ليستنفر حزب الكتائب قبل أن يتبعه نواب المجتمع المدني وآخرون في الهجوم على الرئاسة الأولى، مطالبين بتحديد موعد سريع للاستشارات النيابية، رغم عدم وجود أي نص دستوري بهذا الشأن، بحجة أن الظروف الاقتصادية والسياسية لا تسمح بإضاعة أي وقت. لاحقاً، لا يكاد رئيس الجمهورية يكلف أحدهم تشكيل حكومة، حتى تختفي غيرة الكتائب (وآخرين طبعاً) على الوقت ولا تعود الظروف تستوجب أن يسرع الرئيس المكلف بالتشكيل. ومع ذلك، لا يراجع أحد نفسه ليقول إن مبدأ الشروط المسبقة قبل التكليف كانا محقاً إذاً وكان يمكن ليومين جديين بهذا الشأن أن يوفرا أعواماً من الفراغ، فيما يمضي حزب الكتائب قدماً في تسخيف كل النقاشات الأساسية، وللتركيز على "وجوب انتخاب رئيس للجمهورية" بوصفه هدفاً بحد ذاته، لا يوجد قبله أو بعده، كأنه حدث منفصل عن كل شيء آخر.

وإذا كان الطفل في بديهيات غرائزه يتعلم أن يربط كل فعل يمكن أن يقدم عليه بالسؤال: من؟ ماذا؟ أين؟ كيف؟ ولماذا؟ فإن أطفال الكتائب والمجتمع المدني ومن خلفهم يريدون تعطيل هذه البديهيات الغرائزية لدى الرأي العام، بحيث لا يسأل أحد لماذا أو كيف يفترض اليوم انتخاب رئيس للجمهورية؟ حتى يقرر على هذا الأساس من يجب أن يكون المرشح للرئاسة وكيف ينتخب.

مع العلم أن ما يفعله سامي الجميل على هذا الصعيد يمثل، خلافاً لما يعتقد كثيرون، استمرارية لمسار كتائبيّ – قواتيّ أوصل رئيس للجمهورية إلى ما وصلوا - سياسياً وإدارياً – إليه نتيجة تفكيرهم في مصلحتهم المباشرة على حساب مصلحة طائفتهم والمصلحة العامة، وانشغالهم بالنكايات التكتيكية الضيقة على التفكير الاستراتيجيّ الواسع، حتى بدا رئيس حركة أمل نبيه بري ولقاء وليد جنبلاط الديمقراطي أمس أحرص من حزب الكتائب على ما تبقّى للمسيحيين من ضمانات، في مفارقة رهيبة طبعاً. ففي وقت تقول حركة أمل والحزب الاشتراكي إن إسقاط شرط الثلثين عن جلسة انتخاب الرئيس يفسح المجال اليوم وغداً أمام أي تنافسية شيعية – درزية أو شيعية – سنية أو سنية – درزية لإيصال رئيس بمعزل عن رأي النواب المسيحيين، يقول سامي الجميل بكل تصور سعوديّ وتصميم: افعلوا ذلك! وإذا كان رئيس نبيه بري قد استعاض عن النكات غير الموفقة في الجلسة السابقة، بتذكير موفق أمس لسامي الجميل بما سبق له هو نفسه أن قاله وبمواقف بكركي بهذا الشأن، طالباً منه أن يحضر موافقة والده معه على هذا الطرح، فإن إصرار الجميل يؤكد عدم الاكتراث بأي شيء وعدم وجود أي حياء حين يتعلق الأمر بالتوجيهات السعودية. علانية، يقول سامي الجميل: دعكم من الميثاقية، ودعكم من ثوابت بكركي التي يهرع إليها ويحتمي بعباءتها حين تقتضي مصلحته الشخصية ذلك، ودعكم من برنامج عمل الرئيس والمرحلة المقبلة، وانتخبوا رئيساً. وهو يحاكي بذلك أولئك "الكتيرين" السابق ذكرهم الذين يحل "الريموت كونترول" السابق ذكره محل العقل والمنطق في التحكم بانفعالاتهم ومواقفهم وتغريداتهم.

وهو ما يستوجب بطبيعة الحال نقل المعركة أو النقاش الحيوي في مجلس النواب من الوكيل المتمثل بالجميل إلى الأصيل المتمثل بالسعودية، حيث يمكن لما يطرحه الجميل أن يكون المقدمة الأنسب لفتح الباب أخيراً أمام الثغرات التي تعتري اتفاق الطائف: تحديد آلية واضحة لانتخاب الرئيس كما يريد ممثل السفير السعوديّ في مجلس النواب، يفترض أن تتزامن مع تحديد آلية واضحة مع مهل زمنية لدعوة رئيس الجمهورية النواب إلى الاستشارات الملزمة لتكليف شخصية ما بتشكيل الحكومة لمرة واحدة، تزامناً مع تحديد آلية واضحة مع مهل زمنية لتشكيل رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء للحكومة أو اعتذار الرئيس المكلف، تزامناً أيضاً وأيضاً مع إقرار وتطبيق اللامركزية الإدارية. وعلى السفير السعودي أن يحدد في هذا السياق إذا كان يريد التمسك بالطائف كما هو، كما يقول في احتفالاته السياسية، أو يريد فتح الباب عبر سامي الجميل وأصدقائه لتصحيح الثغرات الواردة في هذا الاتفاق بما يسمح بانتظام عمل المؤسسات. هكذا فقط يمكن وضع حدّ لما يفعله الجميل ويحلم به.

> يستعجلون تحديد مهلة للاستحقاق الرئاسي لكنهم لا يسألون عن مهلة لتأليف الحكومة

(هيثم الموسوي)

قضية اليوم

وزارة السياحة لعيون «الشيخ هادي»

تعليقاً على إعطاء الإذن بملاحقة قريبته المديرة العامة لهيئة إدارة السير والآليات والمركبات هدى سلوم، الأسبوع الماضي، قال النائب السابق هادي حبيش إن «الإكراميات» موجودة في كل الإدارات والوزارات. وهو «المبدأ» الذي لطالما انتهجه حبيش، ومكّنه من قطع آلاف الأشجار المعمّرة سابقاً لبناء قصر في القبيات، وشقّ طريق إليه على حساب المال العام، والسعي اليوم إلى «السلبطة» على أرض مشاع للدولة

(هيثم الموسوي)

غسان سعود

بين عامَي 2012 و2019، سادت ظاهرة «مهرجانات» المناطق، كمزراب إضافي لصرف النفوذ و«تقريش» علاقات السياسيين مع الوزارات والبلديات والمصارف وشركتَي الهاتف الخلوي والمتعهّدين. وقد مثّلت زوجات السياسيين الواجهة الأنيقة لـ«لجان المهرجانات»: مارلين زوجة النائب السابق بطرس حرب في لجنة مهرجانات تنورين، وستريدا جعجع في لجنة مهرجانات الأرز، وميريام سكاف في لجنة مهرجانات زحلة، وسينتيا زوجة النائب السابق هادي حبيش في لجنة مهرجانات القبيات... ونعمة أفرام نفسه في لجنة مهرجانات جونية. في العادة، تضم اللجنة أعضاء من الحاشية، وتتفق مع شركة تتولى تجهيز المسرح والإضاءة والصوت والفنانين والبطاقات والمواكبة الإعلامية. وغالباً ما تنحصر مهمة الزوجات - رئيسات اللجان في انتقاء الفساتين المناسبة لليالي المهرجان، فيما يتولى الزوج

> **نصار يطلب تخصيص عقار موازٍ لقصر حبيش لإقامة مشروع سياحي «لا مثيل له في العالم»**

استخدام نفوذه لتأمين الرعاية (الـ«سبونسور») من المصارف بأموال المودعين، أو من المال العام مباشرة عبر البلديات والوزارات وشركتَي الهاتف الخلوي. يبدأ المهرجان وينتهي بالسياسي وزوجته وأصدقائهم يرقصون على المسرح، فيما ينعدم أي أثر تنموي على تلك المناطق التي تبقى، قبل المهرجان وبعده، غارقة في مشاكلها المعتادة... في انتظار مهرجان السنة التالية. وفي العادة، أيضاً، تقدم لجان المهرجانات فواتير وهمية تصرّح بموجبها عن «خسائر» بدل الأرباح. ورغم أن ذلك حدث علناً، ولسنوات، إلا أن المنتفعين من المال العام لتحويل احتفالاتهم الخاصة إلى مهرجانات على نفقة الدولة، لم يكونوا يوماً هدفاً لـ«ثوار 17 تشرين»، بل إن بعضهم تحوّل إلى عضو في «مجلس قيادة الثورة». عام 2013، «أهدى» حبيش زوجته سينتيا «لجنة مهرجانات القبيات» بموجب علم وخبر رقم 1887 (2013/10/21) لـ«الاهتمام بالشؤون الاجتماعية والتربوية والحرفية والزراعية والصحية والثقافية والبيئية والإنمائية والسياحية»، ولا سيما «تنظيم مهرجانات ثقافية وتربوية وسياحية» و«الاهتمام بشؤون البيئة وتوجيه المواطنين لحمايتها وصيانتها»، ناهيك عن «البستة» أهداف لم يبرّ العكاريون منها شيئاً، من بينها «مكافحة الأمية وتعليم اللغات والكمبيوتر» و«تقديم المساعدات لكل محتاج في حالات العوز أو التطبيب أو المداواة ولا سيما للأمراض المزمنة أو ذات الكلفة المرتفعة»، و«إنشاء مراكز طبية - اجتماعية ومدارس أكاديمية ومهنية ومراكز تدريب»، و«تعزيز القطاع الزراعي وتطوير بنيته التحتية وتأهيل المزارعين وتسويق الإنتاج الزراعي»، و«تطوير الأعمال الحرفية»، و«تقديم المنح الدراسية»...

«الاهتمام بشؤون البيئة وتوجيه المواطنين لحمايتها وصيانتها»، كما جاء في أهداف الجمعية، لم يحل دون إقدام زوج رئيستها، هادي حبيش، عام 2016، على مجزرة اقتلاع أكثر من 4500 شجرة معمّرة من أجل شق طريق إلى قصر كان يبنيه في هضبة حرجية في القبيات، يملك فيها 200 سهم في العقار الرقم 3497.

بعيداً عن جريمة اقتلاع الأشجار على نفقة وزارة الزراعة، بواسطة شركة خاصة يشارك أحد أقرباء حبيش في ملكيتها، وبيعها حطباً (نحو 17 ألف طن تُقدر قيمتها بـ 900 ألف دولار آنذاك). وبعيداً عن شق الطريق وتعبيدها على نفقة وزارة الأشغال ومن مخصّصات بلدة القبيات وجوارها كرمى لصاحب 200 سهم في العقار، كانت عينا حبيش مسلطتَين على عقار (3498) جمهوري (مشاع) تبلغ مساحته مئات آلاف الأمتار من الأشجار الحرجية يحيط بالعقار الذي يملك بعض أسهمه.... ولكن كيف؟

في آب الماضي، جال وزير السياحة وليد نصّار في عكّار، بدءاً من القبيات، بدعوة من رئيسة «لجنة مهرجانات القبيات الدولية». يومها، دعا وزير السياحة إلى «الخروج من النمط التقليدي لمهرجانات سياحية كانت صورة عن اقتصاد ريعي أوصل البلاد الى ما نحن عليه اليوم». دعوة في محلّها، قبل أن يناقض الوزير نفسه بنفسه، عندما شكر «السيدة سينتيا حبيش» لدورها في «إنماء السياحة في القبيات وعكّار» بعد أن وضعتهما «لجنة حبيش» على «السكة الصحيحة»، متجاهلاً عشرات الناشطين البيئيين من أبناء المنطقة ممن بذلوا، متطوّعين، جهوداً مضنية في السنوات الماضية لإدخال عكار ضمن خريطة السياحة البيئية والسياحة الجبلية من خلال عشرات الدروب التي باتت مقصداً للبنانيين والأجانب.

بعد الزيارة، وجّه وزير السياحة مطلع أيلول الماضي كتاباً إلى وزير المال يوسف خليل يطلب فيه تخصيص جزء من العقار الرقم 3498 (المنطقة الحرجية الضخمة المحيطة بقصر حبيش) من منطقة القبيات لمصلحة وزارة السياحة لـ«إقامة مشروع سياحي - ديني» يزيد عدد السياح القادمين إلى لبنان «نظراً إلى عدم وجود أي مشروع مماثل له في العالم»!

لكنّ أحداً في العالم لم يسمع بهذا المشروع «الفريد» الذي «لا مثيل له». في القبيات، لم يسمع أحد عن مستثمرين أو رجال أعمال أو تصاميم للمشروع «الأعجوبة» الذي سيستقطب السياح من أصقاع الأرض. وما من مؤشر أو وثائق تشير إلى أن نبياً أو قديساً مرّ بتلك الهضبة، أو أن عجيبة وقعت فوقها. حتى «المكتب السياحي الأول» الذي افتتحه نصّار في البلدية أثناء زيارته «ما معو خبر»، وكذلك الناشطون في الملفين البيئي والسياحي في المنطقة. كل ما هو معروف عن تلك المنطقة أنها تعرّضت سابقاً لتشويه من أجل بناء قصر لـ«الشيخ هادي» وتزنيره بـ«أوتوستراد» للوصول إليه، وأن المشروع الذي «لا مثيل له في العالم» ليس إلا توسيعاً لحديقة قصر «الشيخ» واقتلاعاً لمزيد من الأشجار وإعادة تفعيل المرملة التي استُحدثت عند شق الطريق سابقاً، وتشييد مدرج باطوني محاط بعشرات الشاليهات تديرها «لجنة المهرجانات» التي لا تتوخى الربح وتسجّل كشوفاتها المالية خسائر دائمة.

بعد اتصالات أجراها مهنيون في المنطقة تبيّن أن وزير السياحة لا يملك سوى «أفكار» عن المشروع، وهو أكّد لـ«الأخبار» أن السيدة حبيش هي «مصدر الأفكار»، مؤكداً أنه سيظهر جديته وحرصه على المال العام عبر إجراء مناقصة شفافة بإشراف رئيس دائرة المناقصات جان العلية، وأنه يتطلع إلى «تكرار التجربة مستقبلاً وتعميمها على مناطق أخرى لدعم السياحة». وأصدر نصّار بياناً أكد فيه أنه سيطلق «مناقصة علنية» فور الانتهاء من «الأفكار والخرائط للمشروع المنوي إقامته»، وهو ما يثير عدداً من الأسئلة:

- هل تكريم السيدة حبيش وزير السياحة بـ«ترويقة قروية» في «مطعم شلال السمك» وإطراؤها على «اهتمامه ومتابعته»، كافيان لدفعه إلى الأخذ بهذه «الأفكار» والمسارعة إلى الطلب من وزارة المال تحويل مشاعات إلى وزارته للتصرف بها؟

- هل راسل وزير السياحة وزارة البيئة لأخذ رأيها في المشروع الفريد؟ وهل طلب دراسة أثر بيئي قبل أن يطلب تخصيص الأرض لوزارته؟

- هل لدى وزارة السياحة قدرات مالية لإعداد الخرائط ودراسة الجدوى والكلفة التقديرية للمشروع أم أن من قدّم الأفكار مجاناً لمعاليه، هو نفسه من سيقدم الخرائط ويحدد بنود «المناقصة الشفافة»؟

- هل شاهد نصّار اللقطات الجوية (الفيديو على الموقع الإلكتروني) لهذه المساحة الخضراء التي لا يكاد يوجد مثيل لها في لبنان والتي يسعى إلى وضعها في تصرف حبيش؟

أخيراً، هل يدرك نصار أن ما يفعله هو - لا هادي حبيش ولا لجنة المهرجانات - اعتداء على المال العام وتشريع استيلاء نافذين عليه تحت شعارات إنسانية وبيئية وسياحية؟

تقرير

ترقيع النقل المشترك
من يعرقل الباصات الفرنسية؟

صهيب العتر

اعتادت قوى الحكم في لبنان الترقيع والعمل على «قطعة»، هي لم تثبت فقط أنها قادرة على التدمير، بل هي فاشلة في الترقيع أيضاً. الشواهد على عجزها هذا تتبدّى يومياً. وأحدثها «الباصات الفرنسية»

قبل عام وشهرين، تسلّم علي حمية وزارة الأشغال العامة والنقل، فيما كان حاكم «مصرف لبنان» رياض سلامة، يُطلق مسار رفع الدعم عن المحروقات، في بلدٍ ليس فيه وسائل نقل عام ويعتمد معظم المقيمين فيه على السيارات الخاصة لتغطية تنقلاتهم. وخلال تواصله مع الفرنسيين، طلب منهم وهب لبنان باصات للنقل المشترك. وافقت فرنسا، ومنحت لبنان في أيار الفائت 50 باصاً ستضاف إلى 45 باصاً مملوكة أصلاً من «مصلحة السكك الحديد والنقل المشترك». وأعدّت خطّة لتشغيل هذه الباصات في بيروت الكبرى، وبين بيروت والشمال والجنوب، بالشراكة مع القطاع الخاص. لكن مضت أكثر من خمسة أشهر منذ وصول الباصات إلى مرفأ بيروت، ولم يبدأ تشغيلها بعد. فقد أُغرق المشروع في غياهب «الروتين الإداري». إذ قرّرت إدارات الدولة البحث «في جنس الملائكة» من خلال النظر في مدى خضوع هذه الباصات للرسوم الجمركية ولضريبة القيمة المضافة، رغم أنها هبة يفترض أن تكون معفاة. استغرق النقاش حتى نهاية أيلول الفائت ورسا «الجدل البيزنطي» على أنها معفاة. لكن الفرحة لم تدم، إذ تبيّن أن تسجيل الباصات يتطلب تأميناً إلزامياً ليس لدى «مصلحة السكك الحديد والنقل المشترك» القدرة على سداد ثمنه، وهو ما استدعى الحصول على هبة عينية عبارة عن خمسين بوليصة تأمين إلزامي. وعندما تأمّنت الباصات، عُلّقت عملية التسجيل في «النافعة» بسبب إضراب موظفيها والتحقيقات الجارية فيها، على خلفية قضايا فساد، والتوقيفات التي طالت في المباشر «مصلحة تسجيل السيّارات والآليّات». استدعى ذلك اتصال حمية بوزير الداخلية والبلديات، بسام مولوي، لتذليل العقدة التي تحول دون تسجيل الباصات. لكن تسجيلها ليس نهاية المطاف، فـ«مصلحة السكك الحديد والنقل المشترك» لا قدرة لها على تشغيلها. هي بحاجة إلى عدد سائقين ليس في ملاكها. وبما أن التوظيف في القطاع العام ممنوع حتى إشعار آخر، وبما أن مجلس الوزراء أجاز للوزارة القيام بما يلزم لتشغيل المشروع، كان الحل بالاستعانة بالقطاع الخاص لتأمين اليد العاملة اللازمة للمشروع. أُطلقت المناقصة الأولى؛ لم يأتِ أحد. أُطلقت مناقصة ثانية؛ وأيضاً لم يتقدم أي عارض.

في الواقع، إن إدارات الدولة عاجزة منذ بدء الانهيار في عام 2019 عن شراء حتى «ماعون ورق»، بسبب اللااستقرار في سعر صرف الليرة مقابل الدولار. المعادلة كالآتي: تدفع الدولة بالعملة الوطنية، وتحت سقف الاعتمادات المرصودة، أمّا المُشتريات فجميعها بالدولار. إذاً، الحل بانتظام سعر الصرف، ورصد الاعتمادات المالية، التي طلبتها المصلحة من وزارة المالية، ولم تأتِ الموافقة عليها، وفق المدير العام لـ«مصلحة السكك الحديد والنقل المشترك»، زياد نصر. بمعنى أوضح، بدون تلك الاعتمادات، التي عليها تغطية كلفة المحروقات، وقطع الغيار؛ من زيوت وبطاريات وفرامل، إضافة إلى السائقين: لن تتحرك الباصات من مكانها. فليس لدى المصلحة ما يكفي لثمن حتى عقود التأمين الإلزامي لباصاتها. وإن أرادت الاعتماد على من هم في ملاكها لقيادة الباصات، فبعيداً من عدم كفاية عددهم لجميعها، أعمار بعضهم قاربت سن التقاعد، علماً بأن سائقي المصلحة كانوا قد أبدوا «رغم تدني رواتبهم، استعدادهم لتسيير الباصات ضمن بيروت الكبرى»، وفق قوله. وهو كان قبل أقلّ من شهرين قد نبّه إلى أن «استمرار ارتفاع أسعار المحروقات اللازمة لتسيير الباصات ربما يؤدي إلى فرملة وضعها في السير في حال عدم تأمين المحروقات اللازمة لها».

> **مصلحة السكك الحديد والنقل المشترك لا قدرة لها على تشغيل الباصات**

بالنسبة إلى الباحث في مجال النقل، في جامعة «ليون» الفرنسية، علي الزين، كل ما يجري هو «ترقيع بترقيع»، والسبب هو سياسي، لا تقني ولا مالي. يضرب الزين مثلاً على أنه ليس هناك نية لدى القوى السياسية لإنشاء نقل مشترك: قرض الـ 295 مليون دولار الذي وافق عليه «البنك الدولي» لمصلحة النقل العام في لبنان، وأُقرّ في مجلس النواب في عام 2019. ثلاث سنوات لم تضرب الدولة مسماراً، حتى جمّد البنك القرض، في العام الجاري («الأخبار»، 4 نيسان 2022). ويستغرب كيف طلبت الدولة من فرنسا 1000 باص، وهي عاجزة منذ ستة أشهر عن تشغيل 50 باصاً؛ بالنسبة إليه، تقدر الدولة، لو وُجدت الإرادة السياسية، على تأمين عوامل النجاح لمشروع الباصات، بقدراتها الذاتية. ويرى أن من الممكن تحويله إلى نموذج يُبنى عليه، أمام «البنك الدولي» والمانحين، لتأمين التمويل اللازم لتطوير النقل العام في لبنان.

استشاري النقل، رامي سمعان، يقرّ بـ«صعوبة» الوضع الراهن، لكنه يلفت إلى المعارضة التي «حُوربت» بها مشاريع النقل المشترك، طوال العقود الثلاثة الفائتة، ويرى أن رفع الدعم عن المحروقات كان يمكن أن يكون وقفه أقلّ على اللبنانيين والمقيمين لو كان هناك اليوم شبكة نقل عام في لبنان. بين عامَي 1992 و2018، رُصد نحو 2,63 مليار دولار لتطوير النقل العام، من دون نتيجة. إذ أُنجزت دراسات وخطط لتفعيله وإنشاء خطوط «ميترو» و«ترامواي»، ولم تنفذ. واتُخذت قرارات لشراء باصات للنقل المشترك، لكنها أُجهضت بتحريض من القطاع الخاص.

(مروان بو حيدر)

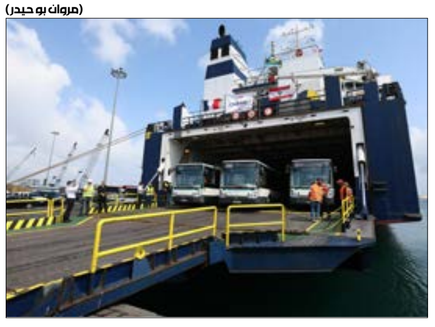

تقرير

منصات التنقيب: أفضلية الخدمة لمرافئ لبنان

ميسم رزق

في خطوة استباقية لعملية البدء بالتنقيب عن الغاز والنفط في البلوكات اللبنانية، أصدر وزير الأشغال في حكومة تصريف الأعمال علي حمية قراراً أبلغه إلى وزارة الطاقة، يقضي بمنح الأولوية والأفضلية للمرافئ اللبنانية لتقديم الخدمات اللوجستية لمنصّات التنقيب عن النفط والغاز في مختلف البلوكات والمناطق، وحدّد هذه الأولوية والأفضلية باعتبارها شرطاً لإصدار الوزارة تراخيص ممارسة العمل في أنشطة قطاع النقل البحري. هذا القرار أبلغه حمية إلى وزير الطاقة وليد فياض وإلى هيئة إدارة البترول والمديرية العامة للنقل البري ومصالح استثمار مرافئ طرابلس وصيدا وصور وإدارة مرفأ بيروت أيضاً. وبرّر قراره بالإشارة إلى أنه يسعى إلى «الاستخدام الأمثل للأنشطة الاقتصادية والتجارية ذات الصلة بملف التنقيب عن الغاز والنفط في مختلف البلوكات، بما يؤمّن أعلى وأنجح مردود على الاقتصاد الوطني، والخزينة العامة، ويوفّر فرص عمل لكافة شرائح المجتمع اللبناني في مختلف الاختصاصات».

يستند حمية في قراره هذا إلى مجموعة من المواد القانونية أهمها الفقرة الخامسة من المادة 13 من المرسوم 2382، المتعلقة بتشجيع استعمال المرافئ اللبنانية والعمل على تحسينها، فضلاً عن المادة 16 (ب) التي تتعلق بمهام وزارة الأشغال في مراقبة السفن التي تدخل المياه الإقليمية وتحديد مسارات إبحارها، فضلاً عن مواد أخرى متصلة بصلاحيات الوزارة لممارسة العمل في أنشطة قطاع النقل البحري. ففي البداية يفترض أن يتم تشجيع المرافئ الأربعة المذكورة (بيروت، صيدا، طرابلس، صور) على أن يكون هذا القرار بمثابة مقدمة للتوافق السياسي على إنشاء مرافئ متخصصة تقوم بهذه المهمّة. ففي الفترة التي قامت خلالها شركة توتال بعمليات استكشاف، كانت تحصل على الدعم اللوجستي من خارج لبنان، وكانت تستقدم العمالة من الخارج أيضاً، أي أن أنشطتها لم تدخل ضمن دورة الاقتصاد اللبناني. وتُعد هذه الخطوة بمثابة مرحلة تحضيرية مواكبة لمراحل أخرى من الاستكشاف إلى الاستخراج ثم التصدير حيث ستتحول هذه المرافئ إلى مساحات خدماتية لكل الشركات التي ستقوم بخدمة المنصّات النفطية الموجودة في المياه اللبنانية، بشرط أن تقوم الشركات بكل أنشطتها في البر اللبناني والمرافئ اللبنانية وإلا لن تحصل على أي ترخيص.

يقول حمية لـ«الأخبار»: «قمت بإرسال مذكّرات إلى إدارات المرافئ، أطلب منها أن يكون سعر الإيجار للأراضي مختلفاً عن المتر المربع العادي، إذ إن كل منصّة تحتاج إلى 50 ألف متر مربع أرض وفق الدراسات»، وهذه الأراضي «تستأجرها الشركات وتقوم منها بخدمة المنصّات ما يؤمّن زيادة في إيرادات المرافئ وتأمين وظائف لنسبة كبيرة من اليد العاملة». وخلال هذه المدّة سيبدأ العمل على حلول استراتيجية تقوم على «إنشاء مراكز متخصّصة بالخدمات اللوجستية للأنشطة البترولية» للهدف نفسه، بحسب حمية الذي أكد أننا «كوزارة لن نمنح رخصاً لأي شركة تقوم بتقديم الخدمات للمنصات من خارج المرافق اللبنانية».

أما صياغة مشروع للمرافئ المتخصصة، فهو مشروع تابعه حمية منذ توليه الوزارة. إذ ظهرت الحاجة إلى هذه المرافئ مع بدء مرحلة الاستكشاف في البلوك رقم 4 الذي يقع قبالة جونية وجبيل والبترون. يومها جرت الاستعانة بقاعدة مرفأ بيروت لتقديم الخدمات، لكن دعمها الأساسي ارتكز على قبرص.

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [16]

أسعد أبو خليله*

لا يزال حديثنا هنا عن مذكرات صائب سلام التي صدرت حديثاً في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة مهمّة شارك هو في صنع بعضها. وتضمّنت اليوميّات في الجزء الثالث بعض ما جاء في أحاديث صائب مع الصحافي شكري نصر الله في سنوات إقامته في جنيف.

تقرأ اليوميّات وتتبيّن مدى الفارق بين الخطاب العام والخاص عن سوريا. هذا يسري على صائب سلام كما يسري أكثر على رفيق الحريري، في ما بعد. الأخير كان يطنب في مديح النظام السوري في العلن ويتآمر ضده في السر. هذا ديدن السياسة في لبنان. كانوا يتنافسون لالتقاط صورة مع غازي كنعان، ونكروه بعد خروج الجيش السوري من لبنان. مروان حمادة علّق أخيراً على ظهور صورة تجمعه مع غازي كنعان بالقول: كنا نختلف، على أساس أن كنعان كان محاوراً ديموقراطيّاً رحب الصدر، ويتقبّل كل نقد لدور المخابرات السوريّة في لبنان. وصائب كان يتحادث في تفاصيل شؤون النظام السوري والإخوان المسلمين مع الدبلوماسيّين الأجانب. وكان في السرّ يلوم النظام السوري على ما يجري في لبنان، لكنه لم يكن يجاهر بالموقف.

> المُشين أن صائب يردّ على أخبار العدوان الإسرائيلي المستمرّ على لبنان بنقد المقاومة الفلسطينيّة تماماً على طريقة شمعون والجميّل وصحبهما من أعوان إسرائيل في لبنان

> طالب صائب بإنزال الجيش وهذه دعوة كانت في مصلحة الاحتلال لأن إسرائيل كانت تعلم آنذاك أن قيادة الجيش متناغمة ومتطابقة في توجّهاتها مع سعد حدّاد في الجنوب

عن فصل مهم من تاريخ تلك الفترة، عن الاشتباكات بين حركة «أمل» والشيوعيّين: السرديّة الحاليّة تتطلّب إقحام حزب الله في الصراع ضد الشيوعيّين، وغالباً بإرادة شيوعيّين هجروا الشيوعيّة نحو نموذج الدول الفاضلة في الخليج. وقع في جولة اشتباكات واحدة بين «أمل» والشيوعيّين «ما يزيد على خمسين قتيلاً في عشرين قرية في الجنوب». محظوظة حركة «أمل» كيف أنّ اليمينَ الحالي السائد برّأها من كل تلك الاشتباكات الدمويّة. طبعاً، ناصر صائب «أمل» ضد الشيوعيّين. ثم يأتيه وفد سوري قريب من بدوي الجبل يطلب، مرّة أخرى، وساطة صائب للحصول على مساعدة ماليّة من السعوديّة. يوضح صائب لهم أن «لا علاقة لي مع السعوديّين على هذا الصعيد». وأوضح للوفد أنه لا يتدخّل حتى في شؤون أعمال ابنه فيصل المقيم في الرياض، والذي «يتكبّد خسائر جمّة»» (ص. 1024، ج2). يقول لنا صائب: «ففي الحقيقة والواقع أن وضعي مع الإخوان السوريّين في عدم اهتمامهم بمشاريعنا الخيريّة كما أطالبهم، يدفعني إلى ألّا أخاطبهم بشيء يتعلّق بأيّ مساعدات». يعتب صائب مرة أخرى على وزير الإعلام آنذاك، ميشال إدة، ويعيب عليه «ميوله الشيوعيّة في عدم إبراز أي شأن إسلامي مهما كان» (كان وليد جنبلاط يثني على يسارية إدة المفترضة حينا ويتهمه بالانعزاليّة والرجعيّة حينا آخر – زلّات لسان، لا أكثر).

يذكر صائب اغتيال الشيخ أحمد عسّاف، يتهم شخصاً شيوعيّاً (ص. 1026، ج2) من منظمة العمل الشيوعي، مع أن الشبهات حامت يومها حول ضلوع «اشتراكي» لا شيوعي (لم يُفتح يوماً ملف اغتيالات عديدة قام بها الحزب التقدمي الاشتراكي). زاره الشيخ محمد علي الجوزو فوجده «في حالة خوف». والجوزو بنى علاقات وثيقة جداً مع أجهزة النظام السوري في لبنان، قبل أن ينقلب عليهم بعد خروج الجيش السوري من لبنان. وتوالت زيارات قادة من فصائل وتنظيمات من الحركة الوطنيّة لصائب لعلمهم أن الرأي الأسد بات ينفرد منهم. كان انهيار قادة الحركة الهجينة والسقيمة قد بدأ وهجر صفوفها عناصرها وقادتها على حدّ سواء. لكن السردية الحاليّة تصرّ على أن حزب الله أتى وقضى بالقوّة، وبضربة واحدة، على الحركة الوطنيّة بعدما كانت تستحوذ على قلوب المسلمين واليساريّين وعقولهم وتقود عمليّة مقاومة لا سابق لها ضد إسرائيل. هي سرديّات من الخيال الـ(لا) علمي.

ينزعج صائب من سليم الحصّ. يقول عنه: «صرنا نلاحظ أن الحصّ يحاول إبراز نفسه بمناسبة وبدون مناسبة. وهو آخذ يتقرّب أخيراً من الفلسطينيّين والسوريّين» (ص. 1030، ج2). لماذا لا يتحمّل صائب وجود أي زعيم سنّي غيره يا ترى؟ يشكو صائب من حسين القوتلي، المدير العام للإفتاء آنذاك. وكان صائب يكنّ له كراهية شديدة، لكنها كانت متبادلة. كان القوتلي شديد العداء للقوى الانعزاليّة، وكان أوّل من طرح فكرة جمهوريّة إسلاميّة في لبنان، قبل أن يطلع حزب الله بتلك الفكرة المجوجة التي عاد وتراجع عنها في زمن حسن نصر الله. وزار صائب أساتذة من كليّة العلوم الاجتماعيّة في الجامعة اللبنانيّة، من السنّة والشيعة. سُرّ صائب بالاجتماع: «سررتُ جداً بأنهم جميعاً يدركون الخطر الشيوعي الذي يتعرض له المسلمون، حتى إن أحدهم قال إنه كان شيوعياً ولكنه عاد إلى إسلاميّته» (ص. 1033، ج2). لكن غريب أمر صائب: له كل الحقّ أن يكنّ كل هذه البغضاء ضد الشيوعيّة، لكنه لماذا لا يبدو أنه يكنّ أيّاً من البغضاء ضد الذين قتلوا المسلمين في السبت الأسود وهجّروا الآلاف منهم، وهو الذي ينبري للنطق باسم المسلمين في لبنان والدفاع عن حقوقهم بوجه الحركة الوطنيّة؟ لا يذمّ صائب الكتائبيّين كما يذمّ الشيوعيّين: على العكس من ذلك. يحافظ صائب على أقنية تواصل وتلاق مع القوى الانعزاليّة، ومع بشير الجميّل بالذات، حتى صيف الاجتياح الإسرائيلي للبنان بغيْر مجرى الأحداث كلّها. صائب يتصل بأبو عمّار «لإبداء شيء من العاطفة نحوهم». كعادة صائب في حديثه عن الزعماء السياسيّين اللبنانيّين وخصوصاً من السنّة، صائب وجد أن معنويّات عرفات «ضعيفة فحاولتُ تشجيعه» (ص. 1040، ج2). يجري حديثاً مع هاني الحسن الذي يزور صائب باستمرار مع أن صائب لا يكنّ له الكثير من الودّ. صائب يقول لهاني الحسن، ومن دون مبالغة منه، «إن الحركة الوطنيّة كانت قد انهارت بعد خسارة معركة المجالس المحليّة» (صحيح أن صائب لعب دوراً مهماً في تقويض مشروع الحركة الوطنيّة، لكن اتحاد قوى الشعب العامل التابعة لكمال شاتيلا – الذي كان قد تحوّل من الصف السوري إلى الصف السعودي آنذاك – لعب دوراً كبيراً أيضاً في تعبئة الناس ضد مشروع الحركة الوطنيّة). صائب يحذّر هاني الحسن من محاولة تعويم الحركة الوطنيّة: قال له إن عرفات أخطأ في «دعم الزعران ضد المجتمع الأدمي». يتصل صائب بعرفات مرّة أخرى فيجد «معنويّاته ضعيفة». ليس هناك من يشدّ أزر المنهارين من قادة منظمة التحرير وزعماء السنّة مثل صائب. مرة أخرى يجد «معنويّاته تعبانة». هذه الحالة لعرفات «والمؤسف أن صورة مالك عند الناس تدنّت كثيراً في الآونة الأخيرة، ليس لهذا السبب وحده بل لتصرّفات عديدة أخرى» (ص. 1038، ج2). مسكين مالك. وعلى عكس ما يقول صائب، لم تكن لمالك أيّ سمعة سيّئة عند الناس، وهو الذي كان معروفاً برصانته ورزانته ونزاهته وجديّته. وكنّ صائب عداءً شديداً ضد أسعد نصر، المدير في شركة طيران الشرق الأوسط، واتهمه بالفساد وفرح باستقالته (ص. 1035، ج2).

والمُشين أن صائب يردّ على أخبار العدوان الإسرائيلي المستمرّ على لبنان بنقد المقاومة الفلسطينيّة تماماً على طريقة شمعون والجميّل وصحبهما من أعوان إسرائيل في لبنان. يذكر أخبار قصف إسرائيل العنيف في حزيران 1982 ويتحفّظ عن التنديد بإسرائيل ويقول: «كدتُ أخرج عن طوري فأدلي بتصريح أضع فيه النقاط على الحروف للفلسطينيّين، في ما يسبّبونه من خراب للبنان بسبب وجود قواهم» (ص. 1039، ج2). تقرأ ذلك وتتأكد أن الانعزاليّة ليست ظاهرة مسيحيّة لبنانيّة صرفة.

ويتأخر التمويل العراقي لـ«كليّة صدام حسين الطبيّة». يلتقي صائب القائم بالأعمال العراقي ويحذّره من أن التلكؤ «يرتدّ أيضاً على العراق وعلى سمعة صدام حسين بعواقب وخيمة» (ص. 1940، ج2). لكن الاجتياح الإسرائيلي للبنان يغيّر مجرى الأحداث كلّها. صائب يتصل بأبو عمّار «لإبداء شيء من العاطفة نحوهم». كعادة صائب في حديثه عن الزعماء السياسيّين اللبنانيّين وخصوصاً من السنّة، صائب وجد أن معنويّات عرفات «ضعيفة فحاولتُ تشجيعه» (ص. 1040، ج2). يجري حديثاً مع هاني الحسن الذي يزور صائب باستمرار مع أن صائب لا يكنّ له الكثير من الودّ. صائب يقول لهاني الحسن، ومن دون مبالغة منه، «إن الحركة الوطنيّة كانت قد انهارت بعد خسارة معركة المجالس المحليّة» (صحيح أن صائب لعب دوراً مهماً في تقويض مشروع الحركة الوطنيّة، لكن اتحاد قوى الشعب العامل التابعة لكمال شاتيلا – الذي كان قد تحوّل من الصف السوري إلى الصف السعودي آنذاك – لعب دوراً كبيراً أيضاً في تعبئة الناس ضد مشروع الحركة الوطنيّة). صائب يحذّر هاني الحسن من محاولة تعويم الحركة الوطنيّة: قال له إن عرفات أخطأ في «دعم الزعران ضد المجتمع الأدمي». يتصل صائب بعرفات مرّة أخرى فيجد «معنويّاته ضعيفة». ليس هناك من يشدّ أزر المنهارين من قادة منظمة التحرير وزعماء السنّة مثل صائب. مرة أخرى يجد «معنويّاته تعبانة». هذه الحالة لعرفات في سفن عن لبنان. قائد المقاومة الفلسطينيّة يجد نفسه بلا خطّة مقاومة عسكريّة لمقاومة الغزو، فيرغي ويزبد بلا هوادة. سألتُ رجل أعمال عربيّاً كان قريباً من قيادة منظمة التحرير عن صراخ عرفات هذا، فوافق على رواية صائب وأضاف إن عرفات كان في ساعات الغضب يهدّد ويصيح ويخرج عن طوره. تذكّر رجل الأعمال ذات مرّة عندما سخر عرفات من سليم الحص، الداعم الثابت للمقاومة الفلسطينيّة في لبنان.

يظهر من خلال المذكّرات كم أن بعض الصحافيّين يمتهنون النميمة والتحريض ونقل رسائل تخريب مع السياسيّين. سركيس نعوم (الذي اعترف في كتابه «من مزيارة إلى واشنطن: حين تستفيق الذاكرة» أنه كان، ببساطة، يتقاضى مرتّبات من فؤاد مخزومي ورفيق الحريري، لكنه تاشف لأن آل الشاشغوري تجاهلوه) ينقل إلى سلام أن ناساً (من؟) في الحركة الوطنيّة لن يسامحوا صائب على تصريحاته وأنهم «سيخردقون» التجمّع الإسلامي من الداخل. (ص. 1047، ج2).

هناك المزيد عن فضائح السيرة السياسيّة لوليد جنبلاط وعن مواقفه في السرّ وخطبه الرنّانة في العلن. نكتشف أن جنبلاط شمت بالفلسطينيّين أثناء حصار بيروت، إذ يقول صائب: «أتاني من يخبرني أنه (عن جنبلاط) قال إن اليوم يوم التشفّي من الفلسطينيّين، لأنهم ضربوا والده من قبل سنة 1977، يوم دخل السوريّون، وهم اليوم يضربونه أيضاً في ما يقومون به في الشوف» (ص. 1047، ج2). وينقل عن اجتماع جمع جنبلاط مع كل القادة الفلسطينيّين أنه حثّ الفلسطينيّين: «يجب أن ينسحبوا من البلد فوراً» ونقل تخويفاً من فيليب حبيب مفاده أن «الفلسطينيّين سيُزالون». كيف كان يمكن أن تصمد قوى المقاومة الفلسطينيّة بوجود هذا الحليف اللبناني الذي انهار عند أول يوم من الاجتياح، والذي كان يحرّض ضد رفاقه في منظمة التحرير، التي كانت تمدّه بالوفير من المال والسلاح؟ طبعاً، لا يعفي هذا قادة المقاومة من المسؤولية عن أخطاء كارثيّة جعلت من الانسحاب من بيروت لا مفرّ منه بسبب نقمة الناس ونفورهم من المقاومة. قائد القوات الإسرائيليّة العام ينقل له رسالة مع خولة أرسلان أن «عليه أن يسحب السوريّين من بيروت» (ص. 1048، ج2). يجيب صائب أن السوريّين باقون للتخريب، مع أن القوّات السورية التي بقيت في بيروت المحاصرة ساهمت – الحقّ يُقال – في الدفاع عنها. طلب صائب من السعوديّين الضغط على السوريّين لسحب قواتهم من بيروت، وتناغم في ذلك مع الرسالة الإسرائيليّة التي وصلته من خولة أرسلان.

استمرّ توافد قادة الحركة الوطنيّة المنهارون لصائب. زاره محمد قباني (ما غيره، الذي انتقل من الحركة الوطنيّة إلى صائب سلام إلى سليم الحصّ إلى رفيق الحريري، وبرشاقة شديدة) وعصام نعمان، وحتى عصام العرب الذي كان منضوياً في تنظيمه في صفوف «جبهة الرفض» في زمانها. أما إنعام رعد، رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي، فقد زاره في منزله وصرّح بأنه يؤيّده «في كلّ» مواقفه. رشيد كرامي وريمون إدة حذّرا من الخيانة، وكان إدة قد شبّه – والتشبيه في محلّه – شفيق الوزّان ببيار لافال. نفر صائب من التشبيه الذي تكرّر في بلاغات إذاعة «المرابطون»، «صوت لبنان العربي». يسخر صائب من وصف الوزّان وسركيس وفؤاد بطرس، وحتى بشير الجميّل، بالخونة. لكن هؤلاء كانوا بالفعل خونة في التاريخ اللبناني، إذ تحالفوا مع غزو إسرائيلي قتل نحو 20 ألفاً من اللبنانيّين والفلسطينيّين والسوريّين. لم تصدر إدانات عن صائب لمواقف المتحالفين مع إسرائيل. وتماماً مثل بشير الجميل، صبّ جام غضبه على المقاومة الفلسطينيّة وعلى الشيوعيّين، طبعاً، وعلى شقيقه مالك.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

فلسطين والمونديال و«بيع الوهم»

حسين فودة*

من الصعب مقاربة أيّ حدثٍ، فلسطينياً، بغير عدسة الحرب. لا بل إنّ غياب هذه المقاربة يشي بقصورٍ في التحليل يجب الحذر منه عند أيّ متلقٍّ. وكأس العالم ليست استثناءً من هذه القاعدة. فمن منظورٍ فلسطيني، لطالما ارتبط الحدث الكروي الأكبر ببُعد سياسي أو اجتماعيّ مهم، ليس من باب المصادفة، بل لأنّ التجربة الفلسطينية في عمقها هي تجربة حرب. من كأس العالم عام 1982 والاجتياح، إلى كأس العالم 2002 والانتفاضة الثانية، وليس انتهاءً بكأس العالم 2006 وحرب تمّوز، تتشكّل الذاكرة الكروية عند محبّي اللعبة من أبناء شعبنا ضمن ذاكرةٍ سياسية مكثّفة. وعمليّة التشكّل هذه لا تقتصر على ربط الأحداث زمنيّاً، بل تمتدّ لتشمل جزءاً من التشجيع الكرويّ نفسه. كلّ منافس لمنتخب الولايات المتحدة الأميركية يحظى بتشجيع تلقائي من المتابع الفلسطيني، والمعادلة نفسها تنطبق على منافسي المنتخب الإنكليزي. أمّا اللاعبون، فبعد المواهب، لا بدّ من استحضار المواقف السياسية، تحديداً تلك التي تتعلّق بقضيتنا، قبل تحديد القرار في تشجيع اللاعب الفلاني أو ذمّه.

وكما سابقاتها، تحمل هذه النسخة من كأس العالم ارتباطاً زمنيّاً مع الحدث الأضخم الجاري في الضفة الغربية المحتلة، حيث سيل الدماء، والمواجهات البطولية، يفرض كل ذلك نفسه في الوعي والذاكرة للحاضر والقادم من الأجيال. لكن، وخلافاً لسابقاتها، تشكّل نسخة 2022 في قطر بُعداً سياسياً جديداً في الساحتين العربية والعالمية، عنوانه: بيع الوهم.

تُقدّم هذه النسخة على أنّها «إنجازٌ عربي»، وتُسخّر لأجل هذا الترويج إمكاناتٌ هائلةٌ، سواء أكانت ماديةً أم إعلامية. لكن، وبعد انقضاء الضجيج، يحقّ لنا -كشعوب عربية- أن نسأل: أين هو الإنجاز؟ كرويّاً، يصعب استخراج أيّ «إيجابيات» من هذه الاستضافة على كرة القدم العربية. القاصي والداني يعلمان أنّ أزمات كرة القدم العربية هي فرعٌ من فروع أزمات الهيمنة على شعوبنا وما تنتجه من اختلالٍ إداريّ وفكريّ وماديّ لا يسمح لنا بالتطوّر طبيعياً بعيداً عن مركز الهيمنة في الغرب. ومن تجليات هذه الأزمة احتكار رأس المال الكروي -النفطي تحديداً- واستخدامه أداةً لتعزيز علاقات كياناته الدولية عبر البذخ في أوروبا على حساب حاجات شعوبنا العربية الأساسية. وإلا، ماذا يعني أن تصرف قطر على استضافة حدثٍ رياضي ما عشرات المليارات من دون أن يحمل لها هذا الحدث أيّ عائدٍ ماديٍّ مباشر؟ من هنا تظهر الشذرات الأولى لسياسة «بيع الوهم». وتكفي متابعة الإعلام القطري وتصريحات المنظّمين باللغة الإنكليزية ليدرك الجمهور العربي بأنّه «آخر همّ» المسؤولين عن هذا المشروع.

أمّا سياسياً، فيتكشّف الجزء السفلي من جبل الجليد في سياسة «بيع الوهم» عبر الخطاب الإعلامي السياسي الذي يوجهه النظام القطري. فمن المعروف أنّ حكّام قطر كانوا السابقين في التطبيع مع الكيان الصهيوني، وأنّ إمبراطوريتهم الإعلامية، «الجزيرة»، تشتهر بكونها أوّل قناة عربية أدخلت «الرأي الإسرائيلي» إلى كل بيت عربي. ومن المعروف أيضاً، أنّ الدوحة اليوم هي مركز الاستقطاب الأكبر لعدد كبير من الإعلاميين والكتّاب والمثقفين وحتى «المؤثرين» في وسائل التواصل الاجتماعي، حيث تُخصّص ميزانيات ضخمة لاحتضان جرائد ومنصّات وحتى قنوات إعلامية تدور جميعها في فلك المال القطري. والعجيب أنّ الفلك نفسه الذي تتمركز فيها «الجزيرة» وضيفها الدائم أفيخاي أدرعي، تدور فيه منصات وشخصياتٌ تدّعي «مجابهة التطبيع»، وهو ما يردّنا إلى سياسة «بيع الوهم». «محاربة التطبيع» في الأجندة القطرية هو عنوانٌ يتمّ من خلاله استقطاب الورقة الفلسطينية عبر مثقفين ومؤثرين وشعراء يُسمح لهم بانتقاد كلّ تطبيع - إلا تطبيع النظام القطري وحلفائه. وبالتالي تتحوّل قضية «التطبيع» إلى ورقة يسحبها حكّام الإمارة بوجه خصومهم السياسيين.

وفي ذلك الأمر تجسيدٌ لشكلٍ من أشكال قرصنة المبادئ. إن كنت عاجزاً عن إغراق السفينة، فبإمكانك الاستيلاء عليها وقيادتها حيثما تشاء. وهو تماماً ما يفعله القيّمون على المال السياسي-الإعلامي القطري في بلادنا.

على سبيل المثال، خرجت صفحاتٌ مموّلة قطرياً لتزفّ إلى الجمهور خبر «منع قطر حضور الإسرائيليين لبارات كأس العالم»، عبر «تجميد خيار «إسرائيل» على موقع شراء التذاكر». بالطبع، عدا التأكد من صحة الموضوع، فإنّ سوريالية الكذب على الجمهور العربي مخيفة. بالتأكيد، لن تمنع قطر (ولا غيرها ممن يدور في الفلك الأميركي) حضور الصهاينة، ورئيس «الشاباك» الذي يطير إلى الدوحة للتنسيق بشكلٍ غير منقطع، خير دليل. هذا ولا يجب علينا أن ننسى حسن الضيافة في الدوحة عبر احتضان آلاف الجنود الأميركيين ومئات الطائرات الحربية التي تفتك بشعوبنا من أفغانستان إلى ليبيا. هذه المحاولات البائسة لمسح صفة «التطبيع» عن النظام القطري أمام الجمهور العربي تتناقض مع الدور الوظيفي لهذا النظام، ومع الخطوات العمليّة التي عليه تنفيذها لتأمين عرشه ودوره. والعجيب في سياسة «بيع الوهم» هو أنّها ليست جديدة، بل تمّ تجريبها قبل عام كامل في مسابقة «كأس العرب 2021».

تمّ تقديم هذه المسابقة على أنّها «إنجازٌ» عربي آخر، وتم صرف الملايين على اللوجستيات والتغطية الإعلامية وغيرها. وركّزت فروع الإعلام الممول قطرياً (التقليدي منها والرقمي) على مشهدية الافتتاح التي شملت عزف أناشيد الدول العربية، ومنها نشيد «فدائي». وراوحت التعليقات بين التطبيل والاحتفاء، والتأثّر بهذا الإنجاز العظيم. لتُختتم البطولة بحفلة تطبيع كبرى شملت أكثر من عشرة لاعبين وصحافيين عرب حين لعبوا مباراة «وديّة» ضدّ فريق عالمي بقيادة المدرب الصهيوني شيموني أفرام غرانت. كلّ ذلك حدث في الدوحة، وفي الملعب نفسه الذي عُزف فيه النشيد الفلسطيني قبل أيام. بالتأكيد، مرّ الموضوع مرور الكرام، وذلك دليلٌ على نجاح المال القطري في قرصنة مفهوم «التطبيع» بالتواطؤ مع مدّعي الوطنية من نخب ومثقفين. وما يغيب عن جزء كبير من الجمهور العربي هو أنّ استضافة أفرام غرانت والسماح للصهاينة بحضور مباريات كأس العالم على أرض عربية، ليسا غريبين عن دور ووظيفة النظام القطري. المستغرب هو موقف النخب التي تتغطّى بعباءة المال السياسي القطري فتشارك في حملات كيّ الوعي وقرصنة المفاهيم.

لهذا وأكثر، إن كان من عبرةٍ نستقيها من هذه النسخة من كأس العالم، فهي الحاجة إلى خوض معركة تحرير المفاهيم من قراصنة المبادئ الوطنية لنضالنا العربي نحو التحرّر من الهيمنة الغربية، ومن مخفرها المركزي: إسرائيل.

* كاتب فلسطيني

على الغلاف

قطر... إمارة الاشتباه

دعاء سويدان

«نحن في الشرق الأوسط نحبّ أن نتحدّث عن السياسة نحبّ أن نجادل. أنظر فقط إلى الأنبياء الثلاثة موسى وعيسى ومحمد. كلّهم من هذه المنطقة الصغيرة التي تخلف مشاكل في كلّ وقت»

حمد بن خليفة آل ثاني، أمير قطر السابق

«أحنا تهاوشنا على الصيدة (سوريا)، وفلتت الصيدة وأحنا قاعدين نتهاوش عليها»

حمد بن جاسم، رئيس الوزراء القطري السابق

في كتابه الشهير الصادر في ثلاثينيات القرن الماضي، «المرض النفسي والسياسة»، يرى عالم الاجتماع الأميركي، هارولد لاسويل، في سياق محاولته استكشاف العلاقة بين علم النفس والسياسة، أن «الحركات السياسية تكتسب حيويتها من إحلال العاطفة الخاصة على الموضوعات العامة»، معتبراً أن «الطموح السياسي والسعي إلى القوّة» يعملان، والحال هذه، «كتعويض للتغلّب على التقدير المتدنّي للذات» (1). قد تصحّ تلك اللمحة، على رغم إمكانية اعتبارها لدى البعض مجرّد «ثرثرة نفسية»، مدخلاً مناسباً، إنْ لم يكن الأكثر مناسبة، للحديث عن قطر، الإمارة الخليجية الصغيرة، والتي يكاد هذا الصِّغَر يشكّل بالنسبة إليها «عُقدةً»، انفجر «الربيع النفطي/ الغازي» الكبير، وينطلق مسار «صعود» الإمارة ونظيراتها في شبه الجزيرة العربية، وتُنفتح في المقابل، بدفع من العاملَين المذكورَين سواهما، أبواب «البؤس العربي» على مصراعَيها. بؤسٌ سيكون له حديث في ما سيأتي، لكن الرِّيدة الأهمّ الآن هي أن «التسلّم والتسليم» لاحقاً، بين الإمبراطوريتَين، المنصرفة (البريطانية) والصاعدة (الأميركية)، لم يبدّل في واقع الحال القطري شيئاً؛ إذ إن الإمارة تحوّلت سريعاً إلى العيْش في الجلباب الأميركي، مع بعض التمايزات التي وسمَتْها عن جيرانها، خصوصاً منذ صعود حمد بن خليفة آل ثاني إلى سدّة الحُكم عام 1995.

يُنقل عن هذا الأخير، والكلام على ذمّة الراوي في كتاب «قطر، الصغيرُ القبيح... هذا الصديق الذي يريد بنا شرّاً» (Le vilain petit Qatar... Cet ami (qui nous veut du mal، قوله: «أنا قرمط الجديد»؛ والقرامطة، كما يَذكرهم التاريخ، هم أتباع حمدان قرمط، الذي قاد حركة تمرّد مسلّحة ضدّ الدولة العباسية، واستطاع فرْض نفوذه على مناطق واسعة، قبل أن يقيم دولته في شرق شبه الجزيرة، حيث كانت أشهر معاركه، تلك التي خاضها مع أنصاره في مكة، قُبالة الحرم، وخالعين «باب الكعبة»، ومقتلعين الحجر الأسود الذي احتملوه إلى البحرين، واحتفظوا به هناك لما يزيد عن عشرين عاماً. وسواءٌ صحّ الكلام المنسوب إلى حمد أم لم يصحّ، فإن الفعل لا يكذّبه، بل هو دائماً ما يأتي ليبنيَ عن حالة من الطموح الجامح، لا إلى التفوّق على الجيران الأقربين الذين غالباً ما طبَع علاقاتهم الحسدُ والتنابذ، فحسب، بل وأيضاً إلى التغيير السياسي في البلدان العربية التي كان أسهم ازدهار الثروة النفطية في نقْل «عوامل القوّة السياسية والاقتصادية والثقافية» منها، إلى «المجتمعات ذات الأساس البدوي» المتشكّلة حديثاً، والتي تكتّلت لاحقاً في ما بات يُعرَف بـ«نادي الأغنياء» الخليجي - وفي ذلك واحد من عوامل الشقاق في المشرق العربي وفق ما يحدّدها جورج قرم -؛ فضلاً عن تمديد أذرع النفوذ في الدول الغربية، ومن بينها فرنسا التي يفنّد الكتاب الفرنسي المُشار إليه أنفاً، حقيقة التغلغل القطري فيها، حيث جعل «أمّة» هي أيضاً ضمن القوى الكبرى، ترتجف، عندما تقطّب شبه جزيرة صغيرة جدّاً، تكفي شحطة قلم لمحوها عن الخريطة، حاجبَيها» كما يقول المؤلّفان نيكولا بو وجاك ماري بورجيه.

الاستعانة في استضافة كأس العالم لم تُعفِ المشيخة من تلقّي سيْل من التنظر والازدراء من الحكومات والمنظمات والمعنيّة نفسها «على قلبها» (أ ف ب)

> الاشتباه ليس عارضاً في سياسات المشيخة، بل هو متأصّل وثابت

التقت تطلّعات حمد إلى جعْل بلاده «لاعب ارتكاز» في المنطقة والعالم، مع رغبة الولايات المتحدة في الحفاظ على «باب دوّار» من صنف «الليبرالية الإسلامية»، يتيح لها عند الحاجة العودة إلى خصومها ومُفاوضتهم ومُراوغتهم بل وعقْد الصفقات معهم. بتعبير آخر، استنصر واشنطن في هوس الدوحة بـ«التفرّد»، والذي تُرجم علاقات متنافرة/ متزامنة في ما بينها وبين الأميركيين وأصدقائهم وأعدائهم وإعداء أعدائهم على السواء - بما لا يستثني طبعاً إسرائيل التي كان لقطر قصَب السبْق في مدّ الجسور معها على رغم كثرة الجعجعة الرافضة للتطبيع -. وذلك من أجل تثبيت «خطّ رجعة»، لم يبقَ في حقيقة الأمر خطّاً، بل استحال قاعدة هي اليوم من بين الأكبر والأهمّ في «الشرق الأوسط» (العُديد بوجودها المادّي ووزنها الرمزي). من هنا، يمكن فهْم القصّة ببساطة إذاً، ومع هذا، يكاد لا يخلو الفضاء أبداً من «أفكار مجهولة المصدر والسياق»، من النوع الذي يُجيز التساؤل: «كيف يَخطر في بال قطري أن يتحدّث عن 'تحالف' بين دولته وبين الولايات المتحدة الأميركية؟ يَخطر» (5). يَخطر؛ لأن أمراء شبه الجزيرة العربية، فاحشي الثراء، عموماً، يفتقرون إلى فضيلة التواضع، ويعتقدون أن «الدُّنيا» ستظلّ مُلك أيديهم على طول الخطّ، على رغم أن شيمتها الثابتة «اللفّ والدوران»، وأن أحداً لا يستطيع تلافي ضوائقها دائماً.

قد تحقّ لقطر «المباهاة» بأن «حليفها» الأميركي لم يتاهون بالتهديد السعودي بغزوها عام 2017، وأنه كانت له كلمته الحاسمة دون هذا سيناريوات، تماماً كما كان للبريطانيين دورهم الرئيس في منْع عبد العزيز آل سعود من اجتياحها عام 1922 - الأمر الذي لا يرغب السعوديون في نكئه البتّة، وفق ما يُظهره تحذير الملك سلمان من «خطورة قيام قطر وبريطانيا برقمنة الجزء العربي من الأرشيف البريطاني» (6) -، لكن المحنة التي يمرّ بها «الجار اللدود» اليوم في علاقته مع المركز الأميركي، تجعل من العبث واللاعقلانية إغماض العينَين عمّا تشهده المنطقة من «انشطارات خلوية» للتحالفات، على رغم أن الممالك والإمارات والسلطنات تُظهر جميعها، منذ مدّة، ميلاً إلى التكيّف والتحوّط. تحوّطٌ، على أهمّيته ودلالته، لم يمنع الدوحة من إنفاق ما لا يقلّ عن 24 مليون دولار، خلال سنوات «الحصار»، من أجل تبييض صفحتها في واشنطن، حيث اشتغلت بجدّ واهتمام على مستويات مختلفة، بدءاً من تعزيز سياسة «حمْل المباخر» في البيت الأبيض، مروراً بتكثير «أوراق الاعتماد» في المفْيَن الحقوقي والعسكري، وصولاً إلى مفتاح «التلميع» الأهمّ، والمتمثّل في استرضاء أنصار إسرائيل.

وإذا كان ذلك ما فعلته الإمارة من أجل موازنة التحريش السعودي - الإماراتي عليها لدى الأميركيين وإعادة قلْب الموقف لصالحها، فهو - على جسامته - لا يضاهي حتماً استماتتها لانتزاع الحق في استضافة «بطولة كأس العالم»، بدءاً من الرشاوى التي اشترت بها أصوات مسؤولي «الفيفا» لدى اشتداد التنافس على البطولة عام 2010، وصولاً إلى «الفرجة» الخيالية التي تُقيمها اليوم على أراضيها، والتي تَمنّ علينا، من ضمن ما تمنّ به على «العالم»، بأنها ستكون «لكلّ العرب»، وأيّ «نعمة» تلك، على أن المفارقة أن هذه الاستماتة لم تُخفِ المشيخة من تلقّي سيْل من التنمّر والازدراء - اللذَين يُواجهان الآن بحملات دبلوماسية وإعلامية مثيرة للشفقة -، من الحكومات والمنظّمات نفسها «العزيزة على قلبها»، والتي يتّخذ القطريون من أدنى رفّة جفن لها، حجّةً «مقدّسة» على الجهات التي نصّبوا أنفسهم «مُحاربين» لإصلاحها. والواقع أنه لا غَرْو في «هجمات» تهشيم الدوحة على خلفيّة قصورها عن تلبية جميع بنود «دفتر الشروط» الغربي؛ فالإمارة القطرية ليست في نهاية الأمر إلّا «دغلاً من الأدغال» بحسب التقسيم «البوريلي» للعالم - نسبةً إلى مسؤول السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل -، ولو اشتبه عليها الأمر يوماً ما، وظنّت نفسها «حديقة» أو «شبه حديقة».

والاشتباه ليس عارضاً في سياسات المشيخة، بل هو متأصّل وثابت، وما نموذجه الأهمّ الذي تجلّى مع انطلاق انتفاضات «الربيع العربي»، عنّا ببعيد. آنذاك، وفي ما يجسّد طفرة للتدخّلات الخارجية التي أصبحت قاعدة متّبَعة بين الدول العربية منذ الاستقلال، أرادت «دولة صغيرة وغير ديموقراطية، كإمارة قطر، أن تكون عاملاً فاعلاً على مسرح الثورات العربية، مُقدّمةً الدعم للحركات الإسلامية المتنوّعة كالإخوان المسلمين، أو الجماعات المسلّحة المرتبطة بتنظيم القاعدة» (7). ولـ«الإخوان» مع قطر قصة طويلة عائدة إلى تاريخ هجرتهم الأولى إليها من مصر عام 1954، حيث حظوا بمآذ بـ«سطوة معنوية كبيرة» على الشعب القطري، وتفرّدوا بـ«السيطرة البيروقراطية للدولة القطرية» - بعدما وجد فيهم الأمير الجديد خيْر مطيّة لتوسيع نفوذ بلاده الخارجي -، وفق ما يروي فؤاد إبراهيم سيرتهم في هذه الدولة في كتابه «الإخوان المسلمون في الخليج». وبمعزل عن حقيقة السبب الكامن خلْف قرار حلّ الجماعة هناك، وانصرافها إلى «إصلاح العالم الداخلي»، فإن هذا التلاشي السياسي ترافق مع انفتاح أبواب «التعاون» على مصراعَيها مع «إخوان الخارج»، إلى حدّ باتت تُوصف معه قطر بأنها «إخوانستان صغيرة».

«الأخونة» التي شكّلت أحد الجناحَين اللذَين «حلّقت» بهما قطر إقليمياً، وازاها جناحٌ آخر لا يقلّ أهمّية، متمثّل في بناء «إمبراطورية عابرة للأقطار»، تضمّ صحفاً ومجلّات ومحطّات تلفزة وصناديق خيرية ومؤسّسات بحثية وجوائز دولية - تكفي لإبطاله، مثلاً، إحباة الشرطة القطرية أحد العمّال الكينيين في «مطحنة» كأس العالم، لدى احتجاجه على حشْره ورفاقه في «زريبة» تعجّ بالصراصير والبقّ وتفتقر إلى التكييف في بلد تصل فيه الحرارة إلى خمسين درجة مئوية، بالقول: «ماذا تريد؟ أن تكون بمرتبة ملك؟ أو أن تكون لديك فيلا؟» (9) -، إلّا أن ما تقدّم كلّه لا يعدو كونه مسعًى للتغطية على الحقيقة التي تقول إننا أمام ضمّنية حديثة، تُمجّد «الديلوكس»، وتؤلّه الاستعراض، وتُهيم بـ«الأعلى» و«الأكبر» و«الأفضل» و«الأفخم» من دون أن تستبطن أفعل التفضيل هذه سوى الخواء الحضاري، الذي كانت دبي سبّاقة في تقديم وصْفة الانعتاق منه، عبر التوحّش في المظاهر، وتربيب المال، وتبجيل العبث، والإسراف في التجمّل بصورة مثيرة للهُزء.

وعلى ذكْر دبي و«نموذجها» الملهم لـ«شقيقاتها» في الخليج، قد تجوز، هنا، الاستعانة بشهادة واحد ممّن تحوّلوا إلى أصحاب افتتاحيات لاذعة في وسائل إعلام عربية ممولّة من ممالك النفط»، حيث يتجاهلون «السلطوية المطلقة العنان لأنظمة إقطاعية الطابع ولاقتصاديات الملكيات النفطية، تجاهلاً تامّاً»، كما لو أن «السعودية أو قطر هما ديموقراطيتان متقدّمتان من الأنموذج الإسكندنافي» (10). يقول حازم صاغية، في لحظة بدا فيها بالفعل «على كوكبنا» - الذي يرمي الكاتب جميع المؤمنين بالمقاومة خارجه، مسخّراً مقالاته للتنظير للهزيمة -، متناولاً بالنقد ظاهرة برج دبي: «بلوح هذا العشق للجدّة الدائمة كأنّه هرب ممّا 'نحن فيه'». وضجر عميق يبحث عن علاج لنفسه بلا انقطاع، لأن صاحبه ما إنْ يخلو بنفسه حتى يموت» (11).

على أن «الموت» الذي تفرّ منه الممالك والإمارات الواهمة أن الخلود يُشترى بالمال، سيأتيها حتماً، وما خلاف ذلك إلّا أفكار «تبشيرية» تُصلح للقصص الخرافية فحسب.

المراجع:

1- علم النفس السياسي/ ديفيد باتريك هوتون
2- قطر من النشوء إلى قيام الدولة الحديثة/ طارق الحمداني
3- تاريخ قطر المعاصر / مفيد الزيدي
4- قطر من النشوء إلى قيام الدولة الحديثة
5- أفكار مجهولة المصدر/ جوزيف سماحة/ السفير 1-5-2003
6- رسالة رئيس مجلس إدارة «دارة الملك عبد العزيز»، سلمان بن عبد العزيز، إلى وزير الخارجية الراحل سعود الفيصل/ ويكيليكس
7- الفكر والسياسة في العالم العربي/ جورج قرم
8- المصدر نفسه
9. شهادة مالكولم بيدالي وفق ما يوردها موقع «أوريان 21» في مقالة بعنوان: كأس العالم 2022 في قطر/ الخليج: نظام تشغيل يجب تفكيكه 2022 Coupe du monde de football au Qatar

Golfe. Un système d'exploitation (qu'il faut démanteler - تشرين الأوّل 2022

10- الفكر والسياسة في العالم العربي
11- أبراج الله وبرج دبي - قضايا قاتلة/ حازم صاغية

يبدو أننا أمام صنمية حديثة، تُمجّد «الديلوكس»، وتؤلّه الاستعراض، وتُهيم بـ«الأعلى» و«الأكبر» و«الأفضل» و«الأفخم» (أ ف ب)

من «علَم قطر» إلى «يا تميم المجد»
رحلة ابن سلمان إلى «القِمّة»

محمود علي

علاقة وليّ العهد السعودي محمد بن سلمان بكُرة القدم أكثر من ممتازة. تتوافق بشكل مُطّرد مع مسعاه لتغيير المجتمع وخلْق طبقة شابّة يستمدّ منها شرعية مُطلقة. وهي أيضاً فرصة ذهبية بالنسبة إلى «قائد الشباب» الذي يُجيد استثمار كلّ نصر كُروي في مشروعه السياسي. صحيح أن صعود دونالد ترامب إلى رئاسة الولايات المتحدة، في عام 2017، هو الذي لعب الدور الأكبر في انفراد الملك سلمان وأبنائه بالحُكم، بعد شهر واحد من الزيارة الخارجية الأولى للرئيس الأميركي السابق إلى «مؤتمر الرياض»، حيث جرى الانقلاب على وليّ العهد ووزير الداخلية محمد بن نايف، بيد أن الانقلاب الأكثر عمقاً، أيْ اجتثاث القوى المُحافظة المُوالية لابن نايف، بدأ لاحقاً، في شهر أيلول من العام نفسه. منذ البداية، بادر ابن سلمان إلى شراء جميع تذاكر الجمهور السعودي في المواجهة الحاسمة ضدّ اليابان ضمن تصفيات مونديال روسيا 2018، وهو ما سُوِّق إعلامياً تحت هاشتاغ «#شكرًا_محمد_بن_سلمان». ثمّ جاء الفوز والتأهّل رسمياً إلى كأس العالم لأوّل مرّة منذ اثني عشر عاماً، لتُنسب آلة الدعاية السعودية كلّ الفضل إليه، تحت هاشتاغ «#وجه_الخير»، في إشارة إلى حضوره داخل الملعب ومؤازرته المنتخَب الوطني.

لم تكن لحظة تأهُّل «منتخب الخضر» في أوائل أيلول 2017، مجرّد حدث عرضي. هنّأ نائب رئيس دولة الإمارات، محمد بن راشد، لاعبي المنتخَب السعودي بصفتهم «رجال سلمان». وتضمّنت تهاني أمراء المناطق الإشادة باهتمام ودعم ورعاية «القيادة الرشيدة» للرياضة والشباب. بشكل أو بآخر، يمكن أن يُلمَس استثمار الحدث الرياضي دعائياً لصالح مشروع ابن سلمان، الذي بدا بوتيرة سريعة في أعقاب تلك اللحظة الرياضية المشحونة بالمشاعر الوطنية، لينتهي إلى «أسبوع الانفتاح» أواخر الشهر عينه. منْح النساء، أخيراً، حقّ قيادة السيارة، والسماح لهنّ بدخول الملاعب الرياضية، وتعيين امرأة ناطقة باسم سفارة المملكة في الولايات المتحدة، ومشاركة المرأة في الإفتاء، كلّها حقوق طبيعية وبديهية بدت متعلّقة بالنساء حصراً، لكنها في جوهرها تسير بشكل مُوازٍ مع مشاريع الترفيه ودعم الشباب. وكلاهما يسيران في خطّ مُعاكس للطبقة المحافظة السائدة بهدف إزاحتها، ولا سيما أنها تزامنت مع توقّف (إيقاف؟) الأمير «عزوز»، ابن الملك السابق فهد بن عبد العزيز، عن التغريد عبر منصّة «تويتر»، وهو من أكثر أمراء الجيل الثاني عداءً للبيراليين والإماراتيين.

عاود ابن سلمان الكَرّة. قُبيل وقت قصير من انطلاق مونديال 2018، قدّم ما يزيد عن 1.2 مليار ريال سعودي، تسديداً لديوان الأندية المحلية، ودعماً لها في التعاقدات الصيفية، وإيفاءً برواتب اللاعبين المتأخّرة. حدث هذا طبعاً تحت هاشتاغ آخر، «#محمد_بن_سلمان_ينقذ_الأندية»، لكن هذه المرّة سرعان ما اصطدمت آلة الدعاية بواقع خُماسية المنتخَب الروسي في شباك السعوديين. في تلك اللحظة، خلال المباراة الافتتاحية للمونديال الروسي، بدا ابن سلمان مطأطئاً رأسه بجوار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. لم يُبَأس. استمرّت الحاشية في العمل على قدم وساق. أعلن تركي آل الشيخ تغيير مسمّى الدوري السعودي لموسم 19-2018 بشكل استثنائي إلى «كأس دوري الأمير محمد بن سلمان». وسيصبح الاستثناء، دائماً (وفق تعبير جورجيو أغامبين) في المواسم التالية، بفضْل رئيس «الهيئة العامة للرياضة»، عبد العزيز بن تركي الفيصل. ومنذ ذلك الوقت، فاز «نادي الهلال السعودي» في دوري أبطال آسيا مرّتين في ظرف ثلاث سنوات. كما فازت منتخبات الشباب ببطولة كأس العرب (تحت 20 سنة) مرّتين، وكأس آسيا (تحت 23 سنة) مرّة، وكأس آسيا تحت 19 سنة. والأهمّ، تأهّل المنتخب الأوّل للأولمبياد للمرّة الأولى منذ أربعة وعشرين عاماً. وكالعادة، نُسبت جميع هذه الإنجازات الرياضية، حصْراً، إلى شخْص ولي العهد وما أوْلاه من اهتمام ورعاية للشباب.

إلى ذلك، ليس غريباً أنْ يصف الحساب الرسمي للمنتخَب السعودي، ابن سلمان، بـ«قائد الشباب» وبربط هذا بـ«رؤية 2030» (أو ربّما 2040). بالنسبة إلى الأخير، فإن كلّ حدث ينبغي تطويعه لخدمة رؤيته المستقبلية، كَمَن يَدفع الكُرة أمامه ويركض خلفها. وإنْ كان ما سبق يتعلّق بكرة القدم في الداخل، فإن شراء «صندوق الاستثمار السعودي» لنادي «نيوكاسيل يونايتد» الإنكليزي يرتبط أكثر بتلميع صورة ابن سلمان في الخارج، وهو ما وصفتْه «منظّمة العفو الدولية» في حينه بـ«ديناميكية الغسيل الرياضي». وأشارت المنظّمة، أيضاً، في وقت لاحق، إلى «قوّة المال السعودي، وتصميم المملكة على استغلال الرياضة لتحسين سمعتها وسجلّها الحقوقي الملطّخ بالدماء». تنطبق الإشارة نفسها على الشأن الداخلي، ولا سيما أن التغيير الاجتماعي القسري الذي بدأ قبل خمس سنوات، لا تزال أمامه أشواط طويلة.

في ملاعب الدوحة وضواحيها، لن يَجمع المنتخب السعودي بأحلامه بعيداً. أعرف أن مجموعتنا صعبة، لا أحد يَتوقّع منّا أن نتعادل أو نفوز، فقط كلّ ما أقوله لكم كونوا مرتاحين، العبوا لعبكم واستمتعوا بالبطولة (...) لا أريدكم أن تكونوا تحت ضغط نفسي يمكن أن يؤثّر على أدائكم الطبيعي». جاءت هذه التوصيات خلال استقبال ابن سلمان المنتخَب السعودي قُبيل خوض المباريات الوَدّية. فوضعها الصحافي الرياضي، فواز الشريف، بأنها «كلمات فنّية أكثر منها إدارية ومثّلت دافعاً حقيقياً للأداء المثالي حين أزاح - حفظه الله - مِن على أكتاف نجوم الأخضر ضغوطاً نفسية ثقيلة (...)» (عكاظ، 24 تشرين الأول 2022). وكذلك فعل الناقد الرياضي، عبد الكريم الجاسر، باعتبار حديث ابن سلمان «وصْفة المونديال الملكية» (الرياضية، 25 تشرين الأوّل 2022).

لا أحلام وردية إذاً، على وقْع أغنية «يا سعودي منصور» (كلمات رئيس الهيئة العامة للترفيه تركي آل الشيخ)، وإنّما، كما حدث في النسخة السابقة، خطوات محسوبة بعناية في الطريق إلى قطر المجاورة. الأغنية المصاحبة للمنتخَب هذه المرّة، تقول بصوت محمد عبده «امضوا بعزم سلمان ومحمد لأعلى القمم والمجد يتجدّد». مع هذا، لا يبحث السعوديون عن ما هو أكثر من «خسارة مُشرّفة» أمام الأرجنتين، أو «أداء بطولي» ضدّ المكسيك، وربّما «تعادُل عادل» مع بولندا. نتائجٌ مهما بدت باهتة يمكن استثمارها سياسياً بالنسبة إلى مَن أصبح منذ أواخر أيلول الماضي يشغل أيضاً منصب رئيس مجلس الوزراء، ويسعى إلى تحقيق قفزات سريعة قبل وصول نبأ وفاة الملك سلمان مهما بدت نتائجُ المنتخَب السعودي باهتة فسيكون بالإمكان استثمارها بالنسبة إلى ابن سلمان

على الغلاف

مونديال المفارقات... كَفانا «ضحكاً على الذقون»

لا ريب في أن مونديال قطر يثير حسد نظامي السعودية والإمارات اللذين ينافسان الجار، مزة حيا ومرات صراعاً (أ ف ب)

في هذا المحفل، لا تفيد كليرا محاولة إقامة التوازن من خلال المبالغة في «تدليل» المشجّعين الفلسطينيين (أ ف ب)

حسين إبراهيم

عادةً ما تستميت دول كثيرة لاستضافة حدث رياضي عالمي كالمونديال، وتتعامل مع فوزها بالتنظيم باعتباره «جائزة»، لما له من فوائد على الصعيد المالي، والترويج الثقافي والسياحي الأبعد مدًى للبلد المُضيف. في حالة قطر، لا فائدة مالية كبيرة تُرتجى من المونديال، والترويج هذه المرّة يأتي بطعْم السياسة أكثر منه ثقافياً، وإنْ كان إظهار الثقافة العربية الخليجية وإحدى ثمار هذه الفوائد التي لا جدال فيها، والتي ستتأتّى من ذلك الحدث، مظاهر الترويج السياسي لدور قطر «العالمي»، تطلّ سريعاً من بين المشاهد المؤلّفة التي تُحفل بها الإمارة حالياً. والكثير منها، بلا شكّ، مفتعل لاستكمال الصورة التي يجب أن تكون عليها كأس العالم، بغضّ النظر عن الاتّهامات الموجّهة إلى الدوحة بتوظيف جمهور «غير حقيقي»، هندي في الغالب، وعربي بالدرجة الثانية، بديلاً للجمهور «الحقيقي» الذي لم يأتِ بأعداد كبيرة. وهو عزوف يُعزى إلى أسباب كثيرة، بينها ما هو تقني محض من مثل أن المونديال يُنظَّم للمرّة الأولى في تاريخه خارج موسم الإجازات الصيفي، وبينها ما هو سياسي واقتصادي، بالنظر إلى ما يعيشه العالم من أزمة مركبة تُجمع تضخّماً كبيراً أفقرَ الكثير من سكّانه وشغلهم عن الاهتمام بالحدث، وتحوّلات سياسية وعسكرية من النوع الذي قد يغيّر التوازنات القائمة، ويترك تأثيراته على الخريطة العالمية برمّتها في السنوات المقبلة.

إلّا أن المظهر الأكثر استفزازاً، هو مشهد التطبيع مع العدو، والذي سمحت به الدوحة للمناسبة، واستغلّته إسرائيل إلى الحدّ الأقصى، فسبق التلفزيون الإسرائيلي الجميع إلى البثّ المباشر من مركز الحدث، وهل تحلم دولة الاحتلال بأفضل من المونديال لمحاولة تنظيف صورتها المطبّخة بالدم الفلسطيني؟ في هذا المحفل، لا تفيد كثيراً محاولة إقامة التوازن من خلال المبالغة في «تدليل» المشجّعين الفلسطينيين، تزامُناً مع اتّخاذ قرار السماح بإقامة خطّ جوّي مباشر بين تل أبيب والدوحة لنقل «المشجّعين» الإسرائيليين الذين يُتوقّع أن يحضر منهم بين عشرة آلاف وعشرين ألفاً - في ما يبدو تدقيقاً مقصوداً؛ إذ من غير المعروف عن الإسرائيليين شغفهم بكرة القدم -، فضلاً عن فتْح مكتب اتصال إسرائيلي في العاصمة القطرية لرعاية شؤونهم، لا يخفي العدو رغبته في تحويله إلى مكتب دائم. ولذا، تُصبح الصورة الفلسطينية هناك، مثلما هي في الواقع السياسي، من متمّمات الدور، تماماً كما أن العلاقات مع فصائل المقاومة الفلسطينية، واستضافة بعض قادة حركة «حماس» في الدوحة، والمساعدات التي تُقدّمها قطر للفلسطينيين، تخدم الدور المذكور، وإنْ كان ذلك يظلّ أفضل بما لا يُقاس مما تفعله دول خليجية أخرى تتاجر على الفلسطينيين وقضيّتهم، من دون أن تقدّم لهم أيّ مساعدات، من مثل السعودية والإمارات.

ولأن الدور مرسوم سلفاً، في إطاره العام على الأقلّ، من مركز القرار خلْف البحار، ربّما في لاتاميا في فلوريدا حيث مقرّ القيادة الأميركية الوسطى، فإن كلّ المتمّمات لن تفلح في حجب هذا الواقع، بما فيها الأغنية الفلسطينية المُهداة إلى منتخب قطر الوطني: «تحية فلسطينية... وبنلوحلو بالكوفية»، والتي تظلّل الفيديو المُرافِق لها هالةُ الموروث البلدي الفلسطيني، بل والتراث الثوري الذي رافق صعود المقاومة الفلسطينية بأناشيده الحماسية، حتى ليبلغ بك الظنّ أن المشهد التالي سيكون مجموعة من المقاتلين وهم يلوّحون برشاشات الكلاشينكوف

> المبالغة في «تدليل» المشجّعين الفلسطينيين لا تُخفي فداحة «التطبيع المونديالي» مع العدو

وبطلقون بضع صليات من رصاص الابتهاج في الهواء. فبغير ذلك، ما كانت قطر لتنال «شرَف» التنظيم من بين المنافسين الكبار والشرسين عادة، ولا سيما في ظلّ ما رافق قرار «الفيفا» في حينه من اتّهامات في الصحافة وبالبحث عن العالم، وبين فشل السعودية في اجتذاب لاعب واحد من مثل ليونيل ميسي أو كريستيانو رونالدو لزيارة المملكة بغرض الترويج لها، على رغم المبالغ المالية الطائلة التي رصدها تركي آل الشيخ منذ سنوات، لاستضافة أحدهما أو كليهما.

ولأن حجم قطر التي لا يصل عدد مُواطنيها إلى نصف مليون نسمة، غير متناسب مع حدث كبير من هذا النوع، فلا ضيْر في أن «تستعير» بعض الجماهير لإضفاء نكهة لا يستقيم المونديال من دونها. وبغضّ النظر عن حجم استقدام جماهير للتشجيع، سواء لمنتخَب قطر أو للمنتخَبات الأخرى، فإن بعض مشاهد المشجّعين في فيديوات تمّ تداولها على وسائل التواصل الاجتماعي، انطوت على مفارقات مضحكة من مثل استخدام الهنود الذين يشكّلون النسبة الطاغية من العمالة في الخليج، ومن ضمنه قطر، لتشجيع منتخَبات أوروبية أو من أميركا الجنوبية، فهل سيصدّق أحد أن مشجّعي المنتخَب الأرجنتيني، مثلاً، أو البلجيكي، غالبيّتهم من ذوي سحنة سكّان شبه القارة الهندية؟ هذا مع العلم أن الهنود مولَعون برياضات أخرى مثل «الكريكت»، ولا تعنيهم كثيراً كرة القدم، إلى درجة لم يخرج في تاريخ الهند ذات الأكثر من مليار نسمة، 11 لاعباً يمثّلونها في مونديال «الساحرة المستديرة». ومن الواضح أن استخدام هؤلاء، إذا صحّ، كان بغرض توفير المال؛ فهم مقيمون في الدولة بالفعل، ولا يحتاجون إلى طائرات تقلّهم أو فنادق تؤويهم. لكن كان الأجدى بقطر أن تستقدم المزيد من المشجّعين العرب، فهؤلاء سيتعاطفون بشكل طبيعي مع المنتخَبات العربية، ومنها «العنابي». كما كان يمكن لذلك أن يمثّل استجابة لبعض العتب على وسائل التواصل الاجتماعي من قِبَل يمنيين، حول سبب عدم استقدام الدوحة بضعة آلاف منهم، تعويضاً عن انضمامها إلى تحالف العدوان، ولو صُورياً، في بداية الحرب.

ومن بين التلوينات التي جرى الحديث عنها لإضفاء طابع خليجي أوسع على المونديال، ولا سيما أن المنتخَب السعودي متأهّل وسيَحضر معه جمهوره الذي قد يكون الجمهور «الحقيقي» الأضخم، نظراً إلى التجاور الجغرافي مع قطر وانتفاء الحاجة إلى تأشيرة دخول - وإنْ كانت الدوحة تحاول الحدّ من تدفّق المشجّعين السعوديين عبر الأحساء -، أن قوات «درع الجزيرة»، ومعظمها سعودية، دخلت قطر للمساهمة في تأمين المونديال. فالحامي الحقيقي لـ«السيستم» كلّه، هو القاعدة الأميركية في العُديد، التي كانت السبب الأساسي في الحؤول دون دخول تلك القوات الأراضي القطرية غازيةً في عام 2017، حين أوشكت على اجتياح الإمارة الجارة للإطاحة بحُكم تميم بن حمد، في ذروة الخلاف بين الدوحة وبين «رباعيّ المقاطعة» الذي ضمّ السعودية والإمارات والبحرين ومصر، وأحكم الحصار على الأولى حتى الخنْق.

ولذا، فقبل انطلاق صافرة المباراة الأولى بينها وبين الإكوادور، تكون قطر قد حقّقت معظم المراد من هذا الحدث الذي سيقدّم صورة مختلفة لها بوصْفها دولة ذات بنية تحتية عالمية المواصفات، قادرة على القيام بدور المركز الإقليمي بالمنافسة مع الإمارات والسعودية - وهي التي لعبت بالفعل أدواراً سياسية تتجاوز حجمها بكثير في هذه المنطقة المضطربة -، وذلك على رغم كلّ المنغّصات التي واكبت اقتراب موعد الحدث، والتي تبدأ بقضية حقوق العمّال الذين قامت الصروح الرياضية للمباريات على أكتافهم، ولا تنتهي بقضية استقدام جمهور «غير حقيقي» وإلباسه «فانيلات» المنتخَبات المُشاركة. وأعدّت الدوحة العدّة جيّداً له: «احتضان الكوكب»، كما تقول الأغنية الفلسطينية المُشار إليها، فهي وحدها من تستطيع إنفاق 220 مليار دولار على البنية التحتية التي جرى بناؤها خلال ثماني سنوات، خصيصاً لاستضافة الحدث، بما فيها الملاعب الثمانية والفنادق الكثيرة، وهو مبلغ لن تستعيد منه الكثير، لا خلال المونديال، ولا خلال «سياحة» ما بعده، كما يأمل القطريون، قياساً إلى ما حصل في البلدان التي استضافت كأس العالم وشهدت لعدّة سنوات بعده موجات سياحية استفادت منها مالياً. لكن بالتأكيد، سيكون للحدث المردود السياسي المطلوب في تعزيز ديبلوماسية المفارقات، بذراعها المالية الطويلة، التي أوْصلتها إلى المقام الأوّل إلى نيْل «شرَف» استضافة المونديال. فدور قطر العالمي سيتعزّز أكثر، وصورتها ستصبح أكثر بريقاً، إلّا أنها ستظلّ طرفاً أيضاً في صراعات كثيرة كانت قد تراجعت حدّتها، في الجوازين القريب والبعيد، وهذا بيت القصيد.

أميركا

زعامة الجمهوريّين تتراخى

من ترامب إلى ديسانتيس... الحزب القديم مات

ملاك حمود

مع سقوط دونالد ترامب على الحزب الجمهوري، في عام 2015، وتبنّي الأخير ترشيحه ليصبح الرئيس الـ45 للولايات المتحدة، برز الانشقاق الأوّل داخل المعسكر المحافظ، الذي رسا، مع مرور الوقت، على قواعد انقسام شطرتْه إلى حزبَين داخل الحزب الواحد. لم يكن الاختيار، على أيّ حال، موفّقاً، لأن الرئيس الذي أحدث «ثورة» داخل «الجمهوري»، لم يصمد لأكثر من فترة رئاسية، وإنْ كان يطمح إلى الحصول على ثانية في عام 2024، في تكرار محتمَل لسيناريو مُواجهته الأولى مع جو بايدن في عام 2020. تُقابل هذا الطموحَ، دعواتٌ إلى تنحية ترامب جانباً، والبحث في خيار بديل يُرضي قواعده الناخبة، فيما يُحكى عن اتّجاه بعض القيادات الجمهورية إلى دعْم ترشيح حاكم ولاية فلوريدا، رون ديسانتيس، ليخوض السباق إلى البيت الأبيض. لكن ذلك لن يكون في متناول اليد، طالما أن الفئات الشعبية تُفضّل «عبادة» ترامب، وليس شبيهاً له

يمثّلان الخطّ الإنجيلي المحافظ، ومعهما حاكم فرجينيا غلين يونغكين، وماركو روبيو، وتيد كروز، وإريك سكوت، لكسْب ترشيح الحزب الجمهوري، ما يجعل طريق ترامب إلى الرئاسة مفخّخة بالألغام. مع هذا، يَظهر، ممّا تنبّأ به استطلاعات الرأي، أن نجومية ترامب لم تأفل، وأن شعبيّته لا تزال جارفة، وأن فوزه في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري، لا يزال هو الأخر راجحاً. لكنّ مشاكله الكثيرة مع القضاء، وأهمُّها التحقيقات الجارية في قضيّة الهجوم على «الكابيتول» في السادس من كانون الثاني 2021 وإدارته لوثائق البيت الأبيض، يمكن أن تَؤول، في نهاية المطاف، إلى استبعاده. وما مبادرة الرئيس الأميركي السابق إلى الهجوم على حاكم فلوريدا، في ذروة انشغال الجمهوريين بالبحث عن أسباب عدم حدوث «موجة حمراء» كانوا يأملون من خلالها انتصاراً كاسحاً في مجلسَي النواب والشيوخ، إلّا تحذير من احتمال التخلّي عنه، وما سيَترافق معه من انقسام داخل المعسكر المتشدّد

> ثقة من يعتبر أن نتائج «النصفيّات» «المخيّبة» لآمال الجمهوريين، هي بمثابة صكّ لتنحية ترامب جانباً

نفسه. وقلّل ترامب من شأن مُنافسه المحتمل ذي الإمكانات «المتوسّطة»، والذي يفتقر إلى «الولاء»، مُصعّداً من هجومه في بيان طويل نشَره على منصّة «تروث سوشيل»، انتقد فيه حاكم فلوريدا: «لآن، رون ديسانكتيمونيوس يلعب ألعاباً! فقد سألتُه وسائل الإعلام المزيّفة عمّا إذا كان سيترشّح إذا ترشّح الرئيس ترامب في انتخابات عام 2024، فقال: أنا أركّز فقط على سباق الحاكم، ولا أتطلّع إلى المستقبل حالياً. حسناً، من حيث الولاء واللياقة، هذه ليست الإجابة الصحيحة».

وإلى ما تقدّم، ثمّة مَن يعتبر أن نتائج «النصفيّات» «المخيّبة» لآمال الجمهوريين، على رغم ارتفاع معدّلات التضخّم وانهيار شعبيّة بايدن، هي بمثابة صكّ لتنحية ترامب جانباً، و«دفْنه وإرثه في قبر»، والتعبير للرئيس السابق لـ«اللجنة الوطنيّة للحزب الجمهوري»، مايكل ستيل، الذي أقرّ، والحال هذه، بأن للرئيس السابق «نفوذاً سياسياً بين الناخبين داخل الحزب أكثر ممّا قد يرغب الناس في الاعتراف به». كَبّد ترامب الجمهوريين هزائم متتالية: في انتخابات منتصف الولاية لعام 2018 حين فقدوا 41 مقعداً في مجلس النواب الذي أصبح ديموقراطياً، ولاحقاً في رئاسيات 2020 (خسروا الرئاسة وأيضاً مجلسَي الكونغرس). ومع هذا، اضطلع ترامب، مرّة أخرى، بدور اختيار غالبية المرشّحين المُوالين لمقاعد مجلس الشيوخ، فكان أن هُزم عدد من هؤلاء، وفي مقدّمهم محمد أوز عن بنسلفانيا، ودونالد بولدوك عن نيوهامبشير، فيما كان يمكن للجمهوريين بسهولة كسْب هاتَين الولايتَين الحاسمتَين. لهذا، حذّر زعيم الأقلّية الجمهورية في مجلس الشيوخ، ميتش ماكونيل، استباقاً، من أن اختيار ترامب أسماء غير ذات كفاءة «سيكلّف الحزب الكثير»، بعدما أدّى رفْض الناخبين الجمهوريين «المعتدلين» بعض المرشّحين باعتبارهم متطرّفين، إلى إضعاف نتائج «الجمهوري».

لا يزال ترامب، وفق ما تُظهره الأرقام، مسيطراً على القاعدة الجماهيرية للحزب، حيث يتمتّع بولاء يقول بعض المحلّلين إنه أشبه بـ«العبادة»، ما يجعل اختيار مرشّح يُقابله مَهمّة شبه مستحيلة. لهذا، تبدو الطريق وعرة أمام ديسانتيس، الذي سيحظى - بلا شكّ - بدعم قيادات الجمهوريين التقليديّين والمانحين الكبار والبانشطين المحافظين، وإنْ كان يتبنّى آراء الرئيس السابق وسياساته. إلّا أن ممّا يزيد فُرص طيّ الحزب الجمهوري صفحة ترامب، الفوزُ الكبير الذي حقّقه حاكم ولاية فلوريدا بفترة حُكم ثانية (في انتخابات عام 2016، فاز ترامب بولاية فلوريدا بنسبة 49%، وفي عام 2020 بنسبة 51%، في حين فاز ديسانتيس بنسبة 59% عام 2018، و59,6% هذا العام. وتحوّلت فلوريدا، التي يُحتمل أن تصبح إحدى أهمّ ساحات التنافس على زعامة الجمهوريين، خلال السنوات القليلة الماضية، من ولاية متأرجحة إلى ولاية جمهورية). أيضاً، ثمّة مَن يشير إلى أن قبضة ترامب على قاعدته الناخبة تراخت، وهو ما انعكس في نتائج الانتخابات النصفية؛ فوفق استطلاع للرأي أجرتْه، أخيراً، شبكة «إيه بي سي» الإخبارية و«إبسوس»، تفوّق ديسانتيس على ترامب عندما سُئل ناخبو الحزب الجمهوري عمّن يثقون به لتوجيه الحزب مستقبلاً. وفي آخر أجرتْه الشبكة في تموز الماضي، قال 57% من الجمهوريين المستطلَعة آراؤهم، إن ترامب يجب أن يعزف عن الترشّح لانتخابات عام 2024. ومع حسْم نتيجة مجلس الشيوخ لمصلحة الديموقراطيين، دعا السناتور الجمهوري عن ولاية ميسوري، جوش هاولي، حزبَه إلى «بناء شيء جديد»، لأن «الحزب القديم مات، وحان وقت دفنه».

لا يزال ترامب، وفق ما تُظهره الأرقام، مسيطراً على القاعدة الجماهيرية للحزب (أ ف ب)

سوريا

مناطق «قسد» قِبلةٌ للأميركيّين: اهتمام استثنائي بالمخيّمات

الحسكة ـ **أيهم مرعي**

سُجّل، خلال الأيام الماضية، نشاط مكثّف لوفود أميركية وأخرى فرنسية، جالت في مناطق عديدة خاضعة لسيطرة «قسد»، وبعضها يشهد تواجداً للروس والجيش السوري في كلّ من منبج وعين العرب، وذلك في محاولة لتقديم جرعة دعم معنوي للقوى الكردية، وإقناعها باستمرار الدعم العسكري لها، والحؤول دون أيّ تقارب بينها وبين دمشق وموسكو. وبعدما تراجع دور واشنطن وباريس، خلال السنوات السابقة، في الملفّ السوري، تحاول العاصمتان استعادة مكانتهما فيه، بهدف معاكسة الجهود الروسية ـ الإيرانية للدفع بمسار التسوية. ويحتفظ الفرنسيون بقوّات مشتركة لهم مع الأميركيين في كلّ من حقلَي العمر وكونيكو، من دون ورود أنباء عن أيّ زيادة في عديدهم منذ عام 2019، الذي شهد انسحاباً فرنسياً من قاعدة قرب بلدة تل تمر في ريف الحسكة الغربي.

وفي وقت ركّزت فيه لقاءات الوفد الفرنسي على المخيّمات لبحث إمكانية إعادة المزيد من الرعايا الفرنسيين إلى بلادهم، مع زيارة بعض المنشآت المدنية والتعهّد ببرامج دعم لمؤسسات ومنظمات تابعة لـ«الإدارة الذاتية»، انصبّ الجهد الأميركي على ملفّي السجون والمخيمات بوصْفهما ورقة أساسية في أيّ تسوية قادمة. وظهر هذا الاهتمام من خلال تعزيز واشنطن أخيراً دعمها العسكري والمادّي لـ«قسد»، بهدف تمكين الأخيرة من ضبْط الأمن في مخيّم الهول، وإنجاح عملية «الأمن والسلام» التي نفّذتها منذ أكثر من شهرين، فضلاً عن مساعدتها في إعادة هيكلة السجون وتحصينها، من خلال الإشراف على نقل سجناء من سجن الثانوية الصناعية إلى سجن الحسكة المركزي في غويران. وفي السياق نفسه، جاءت زيارة وفدَين أميركيَّين إلى مناطق سيطرة «قسد»، ولقائهما قائدها العام، مظلوم عبدي، ومسؤولي «الإدارة الذاتية». ورأس الوفدَ الأوّل الممثّلَ الأعلى للخارجية الأميركية في شمال شرق سوريا، نيكولاس جرنجر، الذي أكد أن بلاده بصدد مضاعفة دعمها للمنطقة لضمان الأمن في المخيّمات والمعتقلات التي تضمّ عناصر «داعش» وعوائلهم.

> ينصبّ الجهد الأميركي على ملفّي السجون والمخيمات بوصْفهما ورقة أساسية

أمّا الوفد الثاني، فترأسه نيكولاس مكاري، منسّق «مكتب مكافحة الإرهاب» في الخارجية الأميركية، أن هذا الأخير «زار مخيّمَي الهول وروج اللذين يضمّان عوائل تنظيم داعش، بالإضافة إلى السجون التي تحوي معتقلين من عناصر التنظيم في كلّ من الحسكة والرقة». وتلفت المصادر إلى أن «الوفد حطّ كذلك في كلّ من عين العرب ومنبج، بهدف تقديم معنوي لقسد في تلك المناطق التي تنتشر فيها القوات الروسية»، مستبعِدةً في الوقت نفسه «أيّ عودة للأميركيين إلى قواعدهم التي انسحبوا منها في عام 2019، بعد إطلاق تركيا عملية نبع السلام».

وجاءت هذه الزيارة بعد أيام قليلة من إعلان مستشار الأمن العراقي، قاسم الأعرجي، عن «اتّفاق دولي على تفكيك مخيم الهول»، كاشفاً أن «عملية إعادة العراقيين من المخيم إلى بلادهم ستستغرق خمس سنوات، مع وجود رغبة عراقية في تسريع العملية، من أجل إنهاء المعاناة هناك». إلّا أن معاودة واشنطن نشاطها في شمال شرق سوريا، وتركيزها خصوصاً على ملفّ المعتقلات، تشي بنيّتها إبقاء هذا الملفّ بيدها كذريعة لاستمرار وجود قوّاتها، وعرقلة أيّ محاولة لتفكيك السجون، بخلاف التصريحات التي تُطلقها واشنطن بين الفترة والأخرى، بخصوص دعوة الدول إلى إعادة رعاياها.

ويتّسق مع ما تقدّم تأكيدُ المبعوث الأميركي السابق إلى سوريا، جيمس جيفري، في تصريحات إعلامية، «عدم وجود نوايا للانسحاب من سوريا»، وتنبيهه إلى أن «أيّ عملية انسحاب ستعيق القتال ضدّ داعش». وأقرّ جيفري بأن «استراتيجية الولايات المتحدة حالياً تعمل على تجميد الصراع الدائر في البلاد، حتى البدء بحلّ سياسي ينهي الحرب»، معتبراً أن «الوجود الأميركي التركي على الأرض، والغارات الإسرائيلية المتكرّرة، منعا الأسد وإيران وروسيا من تحقيق انتصار استراتيجي»، مضيفاً أن «الإدارة الأميركية الحالية تركّز على منْع انتصار أيّ طرف على آخر بعد فشلها في تحقيق سياسة خطوة بخطوة وفق القرار الأممي 2254».

عزّزت واشنطن أخيرا دعمها العسكري والمادّي لـ«قسد» (أ ف ب)

تحليل إخباري

سِباق النفوذ والسيطرة: ثلاثة مشاريع تتنازع حضرموت

أحمد الحسني

تشهد محافظة حضرموت حراكاً سياسياً وعسكرياً متسارعاً، يبدو مندرجاً في سياق عدد من المشاريع التي بات المجتمع الحضرمي منقسِماً حولها، بين مَن يطالب بانفصال حضرموت كإقليم، ومَن يسعى إلى ضمّها إلى سلطة «المجلس الانتقالي» ومركزها عدن، ومَن يدعو إلى بقائها محافظة في إطار التركيبة الحالية للبلاد. لكن كلّ تلك المشاريع ليست بعيدة عن التوجّهات الإقليمية والدولية غير المعلَنة، والتي بدأت تنشط في هذه المحافظة خلال الأشهر الماضية بشكل متسارع، وتحديداً بعد سيطرة الإمارات على محافظة شبوة المحاذية، ومحاولتها التمدُّد شرقاً صوب وادي حضرموت، قبل أن تتدخّل السعودية على وجه السرعة لإيقاف القوّات المدعومة من أبو ظبي في منطقة الخشعة، حيث نفوذ المنطقة العسكرية الأولى المحسوبة على حزب «الإصلاح».

هذه التطوّرات، العسكرية تحديداً، هي التي دفعت إلى سباق إقليمي ودولي صوب حضرموت. وهو سباقٌ تتفاعل معه المكوّنات الحضرمية، لتبدو المحافظة وكأنها متنازَعة بين ثلاثة مشاريع مدفوعة من الخارج. ففي وقت تسعى فيه الإمارات إلى ضمّ حضرموت إلى بقيّة المحافظات الواقعة تحت سيطرتها، وتمكين «المجلس الانتقالي» من إدارتها، تسعى السعودية إلى فرْض خصوصية ما في حضرموت والمهرة؛ إذ ترفض ضمّهما إلى بقيّة محافظات الجنوب، وتتشاور بشكل دائم مع شخصيات قبَلية وسياسية وبيوت مال، من أجل الدفع نحو هذا الخيار. أمّا «الإصلاح»، الذي وجد نفسه هدفاً لذلك الصراع المتعدّد الأبعاد، فقد أعلن رفضه الخطّتَين السعودية والإماراتية على السواء، مشدّداً على بقاء حضرموت محافظة في إطار الدولة المركزية، أو الذهاب إلى إعلانها «دولة مستقلّة».

وعلى الرغم من أن أيّاً من تلك المشاريع لم يَجِد سبيله إلى التنفيذ بعد، إلّا أن كلّ طرف يسعى إلى الدفْع بمختلف الوسائل لتحقيق أهدافه الخاصة. فالإمارات تلوّح بين الحين والآخر بالحسم العسكري في مواجهة قوّات المنطقة العسكرية الأولى في وادي حضرموت، غير أن هذا السيناريو يصطدم أوّلاً برفض سعودي قاطع، وثانياً بصعوبة تحقيق انتصار خاطف، على غرار ما فعلتْه في شبوة. خصوصاً وأن «المنطقة الأولى» تمتلك قوّة مشكّلة من عدد من الألوية لديها مضادّات للطيران، وراجمات صواريخ «كاتيوشا»، وطيران مروحي، وعتاد ثقيل متنوع. ليس هذا فحسب، بل إن «الإصلاح» تمكّن من اختراق المجتمع القبَلي في حضرموت، وباتت لديه حاضنة شعبية هناك، ذاتُ مصلحة في بقاء «المنطقة الأولى»، خوفاً من الفراغ الأمني، وتشكُّل جماعات مسلّحة متعدّدة الولاءات والأهداف، كتلك التي تنشئها الإمارات في المحافظات الواقعة تحت سيطرتها.

في المقابل، تَقدّمت الرياض بمبادرة تقترح نقْل «العسكرية الأولى» إلى مأرب، لكن قيادة المنطقة أبلغت اللجنة السعودية رفضها المقترح المذكور بوصْفه الخطوة الأولى لتدميرها، فجاء الردّ السعودي بتحويل مخصّصاتها إلى مأرب بدلاً من وادي حضرموت، في توَجّه لفصل تلك القوّات مالياً وإدارياً.

وفي خضمّ هذا الصراع المحتدم، تبدو حضرموت في صُلب اهتمام القوّات الأميركية التي عزّزت حضورها هناك خلال الأشهر الماضية، وصارت تُمارس أنشطة أمنية واستخباراتية بشكل معلَن في مديريات المحافظة. وإذ ترتبط هذه الأنشطة باهتمام واشنطن بالمياه الإقليمية في البحر العربي، فهي تتّصل أيضاً بالرغبة في السيطرة على أهمّ محافظة يمنية من حيث المساحة والموقع والثروة والموانئ والمنافذ. وهذا ما يفسّر حجم القوات البرّية الأميركية المتمركزة فيها.

مشاريع إقليمية ودولية غير معلنة بدأت تنشط في حضرموت خلال الأشهر الماضية (أ ف ب)

> التطورات العسكرية في حضرموت دفعت إلى سباق إقليمي ودولي صوب المحافظة

إعلانات رسمية

إعلان
الموضوع: إثبات مفقوديه وإعلان وفاة
المرجع: محكمة جباع الشرعية الجعفرية
بتاريخ 2022/11/09 تقدم لدى هذه المحكمة المستدعي أحمد علي نعمه بطلب إثبات مفقوديه وإعلان وفاة المدعو حسين علي نعمه تولد دمشق 1962/2/23 والدته نهال سعيد هيج رقم سجل نفوسه 93 كفرحونه/قضاء جزين وسجل طلبه برقم اساس 287 فمن كان لديه اعتراض على هذا الطلب عليه أن يتقدم إلى قلم هذه المحكمة ضمن الدوام الرسمي خلال عشرين يوماً تلي النشر.
رئيس قلم محكمة جباع الشرعية الجعفرية
أحمد عباس رمضان

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب سمير شريف قيس بوكالته عن لبندا الشيخ نجيب قيس شهادة قيد بدل ضائع للعقار 1102 الماري.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب المحامي نمر السمره بوكالته عن كل من هنيه وصفيه حسن الرحيم شهادتي قيد بدل ضائع لحصصهم في العقار 4748 الخيام.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلبت فاطمه حمزي حجازي بوكالتها عن حمزه محمد حجازي شهادة قيد بدل ضائع للعقار 229 قبريخا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب عباس محمد زريق شهادة قيد بدل ضائع للعقار 6647 الخيام.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في المتن
طلب المحامي الأستاذ هاني مطانيوس رفول رحمه بصفته وكيل السيدة آني كيغام كيفوركيان مالكة 2400 سهم رقبة في العقار رقم /445/ من منطقة برج حمود العقارية سند تمليك بدل عن ضائع بإسم المالكة.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوم
أمين السجل العقاري
مايكل حدشيتي

إعلان
من أمانة السجل العقاري في جبيل
طلب ريمون يعقوب اغناطيوس بوكالته عن انطوان توفيق كرم اصدار سند تمليك بدل عن ضائع على العقارين رقم 2003 و2009 من منطقة لحفد العقارية قضاء جبيل.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في جبيل
سعد حدشيتي

إعلان
من أمانة السجل العقاري في جبيل
طلب المحامي كارل شارل ضو بوكالته عن تيودور فهيم الياس سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 1536 القسم 10 من منطقة بلاط العقارية قضاء جبيل.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في جبيل
سعد حدشيتي

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب جوزيف انطون عازار بصفته وكيل ريتا جورج معوض بصفتها وكيلة ايزابيل نقولا الخوري زوجة جورج معوض سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 1252 من منطقة دلبتا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانيا حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في جبيل
طلب المحامي يوسف طانيوس شقير بوكالته عن طانيوس عبود خليل سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 224 من منطقة المنصف العقارية قضاء جبيل.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في جبيل
سعد حدشيتي

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي جورج يوسف أصاف بصفته وكيل سعاد يوسف أصاف سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 671 من منطقة غوسطا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانيا حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب كاتيا طانيوس صفير بصفتها أحد ورثة المرحوم طانيوس حنا صفير سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 8 من منطقة عشقوت العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانيا حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب حميد يوسف الشمالي بصفته وكيل جيلبير يوسف فنيانوس بوكالته عن كل من فاروق عبد القادر منقاره وميشال جان مقدسي سندات تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 925 القسم 5 البلوك A من منطقة عشقوت العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانيا حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب مارون لويس النصراني بصفته وكيل لويس يوسف النصراني سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 4119 من منطقة غزير العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانيا حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب شربل يوسف أبي رعد سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 584 القسم 2 من منطقة ادما والدفنه العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانيا حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب المحامي فرنسيس عبدالله الهاشم بصفته وكيل جوزيف جرجي مناسا سند تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 402 من منطقة الزعيتره العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانيا حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب بطرس منصور روفائيل بصفته وكيل من اندريه يوسف بطيش وروبير يوسف بطيش سندات تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 764 من منطقة فاريا العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانيا حيدر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلب كلود بطرس خليل وكيل حاتم محمد برباره بصفته من ورثة المرحوم محمد قاسم برباره اصدار سندات تمليك بدل عن ضائع على العقارات رقم 356 و66 و28 من منطقة اللقلوق العقارية قضاء جبيل.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في جبيل
سعد حدشيتي

إعلان
من أمانة السجل العقاري في جبيل
طلب كلود بطرس خليل وكيل حاتم محمد برباره بصفته من ورثة المرحوم محمد قاسم برباره اصدار سندات تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 224 من منطقة المنصف العقارية قضاء جبيل.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في جبيل
سعد حدشيتي

إعلان
من أمانة السجل العقاري في كسروان
طلبت سعاد عبود القاعي بصفتها أحد ورثة كل من المرحومين جورجيت تامر القاعي وعبود عزيز القاعي سندات تمليك بدل عن ضائع في العقار رقم 478 الاقسام 4 و5 و6 البلوك A من منطقة القليعات العقارية قضاء كسروان.
للمعترض مراجعة الأمانة
خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في كسروان
رانيا حيدر

استراحة

كلمات متقاطعة 4177

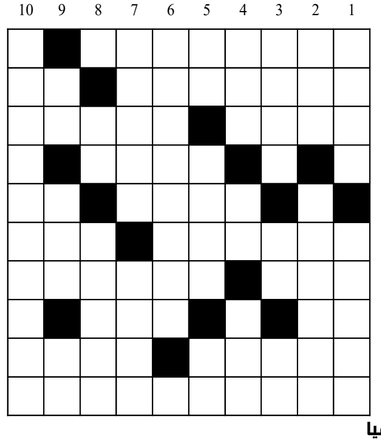

أفقيا
1- السفينة الصغيرة – 2- دولة أوروبية – للإستفهام – 3- ثرثار – من يعمل في الزراعة – 4- لثمه – 5- شريط تصويري – مدينة إيرانية – 6- عاصمة أوروبية – مدينة نيجيرية – 7- ذكر الأفعى – مدينة فرنسية – 8- بئر قديمة – ارزاق من الله – 9- يُصارع من أجل البقاء – مدينة نيجيرية – 10- مدينة جزائرية عريقة بآثارها

عمودياً
1- من الحيوانات – عاصمة أوروبية – 2- عتاب – عائلة رئيس روماني سابق – 3- بطيخ أصفر – حزن وكرب – للمساحة – 4- نفط غير معالج – هرب – وكالة أنباء عربية – 5- عشرة بالأجنبية – تحديد الطول – فك العقدة – 6- من ضواحي لندن – 7- بحيرة شاطئية في رومانيا بدوبروجا على البحر الأسود – أتوكأ على العصا – 8- للتاوه – ثياب بالية – 9- من الحيوانات – بناء معقود بعضه الى بعض في شكل قوس – ضمير متصل – 10- سُلالة حكمت الشرق

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- سليم الحص – 2- محمول – جبيل – 3- إنجيل – و و – 4- رقم – ال – نمر – 5- صف – أحيجو – 6- فرهود – عتاد – 7- ون – عدن – 8- راندرس – غر – 9- رد – شابت – 10- وسام الأمير

عمودياً
1- سمير صفير – 2- لح – قفر – أرسَ – 3- يمام – هوندا – 4- مون – أوند – 5- الجاحد – ربَا – 6- يلي – عسَ – 7- حجل – جغد – ثما – 8- صبّ – نوتنغام – 9- يوم – ربي – 10- فلوريدا – تر

sudoku 4177

5		2		8	4		9	3
			7	1				
7		3	5					6
3				5	9	6		
	2					7	5	
		9		6		3		
	9			4			1	
6								7
		5	1		8	4		9

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4176

4	6	5	8	7	2	3	9	1
7	1	2	3	9	5	4	6	8
9	3	8	4	6	1	2	5	7
1	9	4	6	8	7	5	3	2
5	7	3	1	2	9	6	8	4
8	2	6	5	4	3	1	7	9
6	8	9	2	5	4	7	1	3
3	4	7	9	1	6	8	2	5
2	5	1	7	3	8	9	4	6

مشاهير 4177

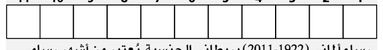

رسام المانيّ (1922-2011) بريطاني الجنسية. يُعتبر من أشهر رسامي الحداثة في بريطانيا

إعداد
نعوم مسعود

3+3+4+2+8+3+5 = عاصمتها برن ■ 11+10+9+6 = أموال مستحقة ■ 7+1 = من الأزهار

حل الشبكة الماضية: **يوسف الصارمي**

مونديال 2022

مشاهدة المونديال في لبنان... لمن استطاع إليه سبيلاً

هي قصة «إبريق الزيت» أو «اللازمة» عينها التي تتكرر كل اربع سنوات مع حلول كاس عالم جديدة. كيف سنشاهد المونديال؟ سؤال يتردد بقوة على امتداد ساحة الوطن من العريضة شمالاً إلى الناقورة جنوباً وصولاً إلى الحدود بقاعاً. هي الدوامة عينها التي غالباً ما كان اللبناني يتغلّب عليها ويتابع مباريات المونديال. لكن هذا العام قد يكون المشهد مختلفاً

عبد القادر سعد

يعيش اللبنانيون هاجس عدم متابعة المونديال كما يرغبون بسبب الكلفة الباهظة (مروان بوحيدر)

مشهد اول:

يدخل أحمد ع. صاحب إحدى المقاهي في منطقة بئر حسن لإلقاء تحية الصباح على جاره الصيدلي باسل. يبادره الثاني بسؤال «كيف رح نحضر المونديال». يجيبه أحمد «مثل مونديالي 2014 و2018 من عند طالب (صاحب محطة ساتلايت). بسارع باسل إلى قطع الطريق مجيباً «إيه لا طالب قال مش رح يحط المونديال بدهم 90 دولار عن كل مشترك».

يفاجئ أحمد ويعود إلى الكافيه مفكراً في هذه المشكلة.

مشهد ثاني:

يتصل أحمد بطالب مستفسراً فيؤكّد له الأخير ما قاله باسل «مش رح نحضر المباريات. بدهم يسرقوا العالم. 90 دولار عن كل مشترك. هي مش 90 دولار بل 80 دولار لكن عاملين حصتنا بعشرة دولار. أوادم» يضيف طالب. يسأله أحمد «طيب اللي عم ياخدوا 10 و15 دولار من كل مشترك كبدل بث مباريات المونديال، شو هني». يجيب طالب «سرقة تانية. الموضوع واضح إما 90 دولار او ولا شي وغير هيك اختراعات. ناطرين نشوف شو رح يصير مع تلفزيون لبنان إذا رح ينقلها أو لأ. ساعتها ممكن نروح للقمر الأوروبي».

ينتهي الحديث بين الشخصين على مشكلة ليس فقط لصاحب الكافيه بل لكل شخص يريد متابعة مباريات المونديال. هذا المونديال الذي لم يُمنع اللبناني من متابعته في عز الحروب ومنها الاجتياح الإسرائيلي عام 1982 حيث تتردد قصة «كاس العالم على بطارية السيارة». كذلك الأمر عام 1986 حين اقيم المونديال في عز حرب المخيمات وغيرها. حينها أصرّ اللبنانيون على متابعة مباريات كاس العالم في المكسيك، وتألّق مارادونا فيه. لكن يبدو أن عام 2022، وفي ظل التغيّر الكبير ودخول عالم المال، لن تنجح بطاريات سيارات العالم في تشغيل «ريسيفرات» الشركات التي تملك حقوق بث المباريات. فقد يكون مونديال عام 2022: «لمن استطاع إليه سبيلاً».

بالنسبة لأي لبناني عادي المعادلة واضحة في حال أراد متابعة المونديال: إما في المنزل أو في كافيه أو مطعم. فهو لبناني عادي وليس «إكسترا» قادر على ركوب الطائرة والتوجّه إلى الدوحة متابعة المونديال «لايف». فالكلفة باهظة وحتى لو استطاع بعضهم تكبّدها فهو لن يكون قادراً على متابعة جميع مباريات المونديال.

حتى كتابة هذه السطور ما زالت الصورة ضبابية في جزء منها. وبالنسبة لمتابعة المباريات في المنزل، الأمور شبه واضحة عنوانها يبدأ من 90 دولاراً في حال كانت محطة الاتراك في المنطقة تقدم هذه الخدمة، أو كان مشتركاً سابقاً لدى BEIN أو CABLE VISION، ويتصاعد المبلغ ليصل إلى حوالى 250 دولاراً في حال أراد اللبناني تركيب صحن «رايسيفر» والاشتراك في محطات كاس العالم لدى CABLE VISION على سبيل المثال.

> **ما زالت الصورة ضبابية بالنسبة للمطاعم والمقاهي حول الكلفة التي ستفرض على الزبائن**

أما بالنسبة لمتابعة المباريات في الأماكن العامة فالصورة ما زالت غير واضحة من ناحيتين: المطاعم والمقاهي التي ستتوافر لديها المباريات، وكلفة متابعة هذه المباريات للشخص الواحد.

فبعض المقاهي قد يلجأ إلى القمر الاصطناعي الأوروبي لالتقاط المباريات كما يحصل مع جولات الدوري الإيطالي على سبيل المثال والمملوكة حقوقها من قناة أبو ظبي الرياضية وكلفة اشتراكها عالية. وحينها سيكون على مرتادي هذه الأماكن لمتابعة المباريات بتعليق أجنبي (بولوني أو تركي...) وهذا يقلل من متعة متابعة المباريات.

وهناك كافيهات ومطاعم ستعرض المباريات المنقولة عبر BEIN وبالتعليق العربي وهذه ستفرض على الزبائن كلفة إضافية ليست معروفة حتى الآن.

فإذا أخذنا مقهى 77 في منطقة طريقة المطار تؤكّد الموظفة في اتصال معها أن المونديال سيعرض في الكافيه لكن ليس معروفاً بعد الكلفة التي سيدفعها كل زبون مقابل مشاهدة المباريات والتي ستُضاف إلى الفاتورة كـ«CHARGE».

اتصال آخر مع «PROS CAFE» في الكركوانة يأتي في السياق عينه. تؤكد الموظفة بأن المونديال سيكون حاضراً، وحين تسألها عن الكلفة تجيبك «بالنسبة ليوم الافتتاح غداً الأحد هي 200 ألف ليرة عن كل شخص، أما من يوم الاثنين فالأمور مش واضحة بعد. ربما تعتمد على المباريات وقوتها لكن من المؤكد في بعد الكلفة التي سيدفعها كل

كلفة عالية

في حال فكّر اللبناني أن يقوم بمتابعة إحدى المباريات في مطعم أو مقهى فعليه أن يأخذ في حسبانه الكلفة العالية التي قد يتكبدها في زمن أصبح فيه «النفس» مكلفاً سواء لأصحاب المؤسسات أو بالنسبة للزبائن. فمتابعة مباراة في مقهى متوسط يقوم الزبون في تناول الطعام مع مشروب و«نفس أرغيلة» فإن الكلفة لن تقل عن 800 ألف إلى مليون ليرة. فمجرد الوصول إلى المكان بحسب بعده فيه كلفة بنزين. وأي وجبة يتراوح سعرها بين 300 و500 ألف ليرة يضاف إليها «الأرغيلة» بين 100 ألف و200 ألف أنتها، بأي مشروب لا تقل قيمته عن 70 ألفاً. أضف إلى ذلك «الفالية» وكلفة المباريات التي ما زالت مجهولة. كلها أرقام تشير إلى أن متابعة المونديال في الأماكن العامة قد يكون امتيازاً غير متاح لكثيرين من اللبنانيين.

لكن هل هذا يعني أن الأمور أصبحت محصورة في هذه الحلول فقط؟

المفارقة أن الإجابة عن هذا السؤال تبدو سوريالية إلى حدٍ ما. فالحل قد يكون عبر مصدرين. الأول فقد اللبناني فيه أصغر ذرة ثقة أو أمل بأن يقدّم له الحل وهو: الدولة اللبنانية.

والثاني لطالما تندّر اللبناني على الحال التي وصل إليها فكان مادة لنكات وتعليقات ساخرة وبعضها جارح، وهو: تلفزيون لبنان.

فالحديث عن إمكانية نقل مباريات كاس العالم عبر تلفزيون لبنان من خلال مفاوضات بين الدولتين اللبنانية والقطرية بدأ قبل فترة. ولكن كما هي عادة الدولة في أي أمر يتعلّق بالمواطن «بطعميه الضرب شوي شوي» كي لا يقال شيء آخر خادش للحياء. فهذا الأمل أخذ بالتلاشي رويداً حتى أصبح ضئيلاً ما لم يطرأ جديد في الساعات الثماني والأربعين المقبلة تقلب الأمور وتمنح الفرصة للبناني لمتابعة مباريات كاس العالم. هو أمرٌ ليس كمالياً ولا من الرفاهيات. هو من أبسط حقوق أي لبناني يريد أن يشاهد مباريات كاس العالم لأكثر من سبب بدءاً من الهواية والشغف والانتهاء بمتنفّس في ظل كل ما يعيشه من ظروف صعبة.

لكن في الزمن الحديث والدولة المهترئة المفلّسة لا يبقى أمام اللبناني سوى الابتهال أو اجتراح حلول جديدة. ولا شك أنه بعد مونديال قطر 2022 سيكون اللبناني قد اختبر حلولاً يتمّ اعتمادها للمرة الأولى. فبالنهاية هو لبناني «كيف ما رميته بيجي واقف».

لم يشر فيفا إلى السبب وراء هذا القرار الصفاجئ (أ ف ب)

قيود على بيع المشروبات الكحولية

أعلن الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) أمس الجمعة حظر بيع المشروبات الكحولية للمشجعين في محيط الملاعب الثمانية لمونديال قطر 2022 الذي ينطلق غداً الأحد، بعد «مناقشات» مع الدولة المضيفة، في ما اعتبرته شركة «بادوايزر» العملاقة المنتجة للجعة «خارجاً عن إرادتها».

ولم يشر فيفا إلى السبب وراء هذا القرار المفاجئ، لافتاً في بيانه إلى أن بيع المشروبات الكحولية سيكون محصوراً فقط بمناطق المشجعين مع «إزالة مراكز بيع الجعة من محيط ملاعب كاس العالم 2022 في قطر».

وأضاف بيان الاتحاد الدولي باللغة العربية عبر موقعه الرسمي أنه «إثر مناقشات أجريت بين السلطات في الدولة المستضيفة وفيفا، تم اتخاذ قرار بحصر بيع المشروبات الكحولية داخل مهرجان المشجعين وغيرها من الفضاءات المخصصة للجماهير والمرافق التي تملك الترخيص بذلك».

وأردف أنه «ستستمر الدولة المستضيفة وفيفا بالعمل لضمان أن تكون الاستادات والمناطق المتاخمة لها بمثابة فضاءات توفر المتعة وتتسم باحترام كافة الجماهير وتوفر تجربة سارة للجميع».

وكانت نُصبت عشرات الخيم لبيع الجعة في محيط ملاعب كاس العالم، قبيل انطلاق المباراة الافتتاحية الأحد بين قطر والإكوادور.

ولفت البيان إلى أن «منظمي البطولة يعربون عن تقديرهم لتفهم شركة AB InBev ودعمها المستمر لالتزامنا المشترك من أجل خدمة الجميع خلال كاس العالم 2022 في قطر».

وبعيد ذلك، قالت متحدثة باسم مجموعة «أي بي آن بيف» في رسالة إلى وكالة «فرانس برس»، إن الشركة أحيطت علماً بالقرار، مقرّة بأن بعض العمليات التي كانت مرتقبة في الملاعب لهذا الحدث الكروي «لا يمكن أن تستمر».

ولم يصدر حتى الآن أي تعليق فوري من قبل اللجنة المنظمة للبطولة أو حكومة قطر.

لكن مصدراً مقرباً من المنظمين قال لـ«فرانس برس» إنه «منذ أربعة أيام» تم إبعاد تلك الخيم عن مداخل المشجعين لاعتبارها «ظاهرة جداً». وأضاف «إنه أمر يأتي من أعلى».

من جانبه، قال اتحاد مشجعي كرة القدم في إنكلترا في بيان إن «المشكلة الحقيقية تتمثل في التغير في اللحظة الأخيرة ما يعكس مشكلة أوسع. وهي الافتقار التام للتواصل والوضوح من قبل اللجنة المنظمة تجاه المشجعين».

وبحسب البيان فإنه «حال تمكنوا من تغيير رأيهم بهذا الشأن في أي لحظة، من دون تقديم أي تفسير، فستوجد لدى المشجعين مخاوف مفهومة إن كانوا سيقومون بالإيفاء بتعهداتهم الأخرى المتعلقة بالسكن والتنقل أو المسائل الثقافية».

وكان الرئيس التنفيذي لبطولة كاس العالم ناصر الخاطر، أكد في أيلول الماضي أن «هناك سوء فهم في ما يتعلق ببيع الكحول في الملاعب. نحن نعمل مثل أي كاس عالم أخرى حيث يكون هذا الأمر عادياً».

وبحسب الخاطر «قلنا دوماً إن مبيعات الكحول متاحة هنا في قطر. قلنا أيضاً إننا سنتيحها في أماكن مخصصة».

وستبقى الجعة متاحة في أجنحة الشخصيات الكبرى في الملاعب، ومنطقة المشجعين الرئيسية في الدوحة التابعة لفيفا وبعض مناطق المشجعين الخاصة ونحو 35 فندقاً وحانات في المطاعم.

وفي شوارع العاصمة الدوحة، كانت ردود أفعال المشجعين الذين التقتهم

> **سيكون بيع الكحول محصوراً فقط بمناطق المشجعين مع إزالة مراكز بيع الجعة من محيط الملاعب**

«فرانس برس» أكثر اتزاناً.

وقال المكسيكي اليكس بورغوس (45 سنة) «هذه ليست مشكلة بالنسبة لي. كنا نعلم أنه ستكون هناك قيود. أنا هنا لمشاهدة كرة القدم والتعرف إلى الناس».

من جهتها، قالت ديانا (31 سنة) التي جاءت لدعم الإكوادور «إنه أمر مؤسف. في هذا الوقت ومع هذه الحماسة، كنا سنحب أن نشرب الجعة من وقت لآخر، لكن ذلك جيد لتجنب المعارك».

أما سكان قطر فمنقسمون. فقال أبو وزير (26 سنة) إنه «يجب السماح بذلك لأن الكثير من الناس يأتون من كل أنحاء العالم، وكان فيفا يفعل ذلك من قبل».

أما هاشم وليد (20 سنة) فقال ساخراً «اعلم أن الإنكليز لن يكونوا سعداء، لكن ليس لدينا كل ما نريده في الحياة».

32 منتخباً وبطلٌ واحد...
مفاجآت منتظرة في العرس العالمي

بعد اربع سنوات من الانتظار، تنطلق غداً الاحد منافسات كاس العالم لكرة القدم (قطر 2022) بمواجهة البلد المضيف والإكوادور الساعة 18:00 بتوقيت بيروت. عقب الانتهاء من حفل الافتتاح الذي يبدأ الساعة الرابعة عصراً، النسخة المونديالية الاولى التي تُلعب في فصل الشتاء تضمّ 32 منتخباً موزعة على 8 مجموعات. والحظوظ متقاربة بين عدد منها للتتويج باللقب الأغلى. وفي هذه النسخة، سيكون لمعدّل الإصابات دور اساسيّ في تحديد مسار المنتخبات نحو النهائي. على أن يتحدّد البطل يوم الثامن عشر من الشهر المقبل

حسين فحص

شهدت النسخة الماضية من كاس العالم لكرة القدم في روسيا العديد من الأحداث غير المتوقعة. خرجت ألمانيا من دور المجموعات حينها على يد كوريا الجنوبية، وبلغت إنكلترا نصف النهائي قبل أن تخسر من كرواتيا التي احتلّت في النهاية وصافة البطولة خلف فرنسا. النسخة القطرية الحالية قد تشهد احداثاً مماثلة نظراً إلى تارجح موازين القوى، وكثرة الإصابات في صفوف مختلف المنتخبات.

يصعّب التنبؤ بهوية البطل من الآن، إلا أن الوسط الرياضي يضع البرازيل في أعلى قائمة المرشحين للظفر باللقب الأغلى على مستوى كرة القدم، ووضع النجمة السادسة على قميص «السيليساو» الأصفر. منظومة شبه متكاملة قد ترجّح كفة «راقصي السامبا» نظراً إلى أسلوب اللعب الجماعي المميز والمهارات الاستثنائية. نيمار جونيور وخيسوس وفينيسيوس، إضافة الى حارس عملاق هو أليسون بيكر، كما أن وجود داني ألفيش في غرفة الملابس سيعطي دفعاً معنوياً للاعبين الشبان، وتبقى المعضلة في مركزَي الظهيرين، اللذين يشكلان العقبة الأبرز أمام البرازيل لرفع اللقب للمرة الأولى منذ 2002.

منتخب أميركي جنوبي آخر يمنّي النفس بالذهاب نحو المحطة الأخيرة من المونديال، أبناء مدينة روزاريو، ومعهم جميع الأرجنتينيين، يعلّقون الآمال على نجمهم الأول ليونيل ميسي، لإهداء بلاده النجمة الثالثة في مشاركته الأخيرة بالمونديال برقّة «منتخب بلاد الفضة».

استقرار فني لمنتخب «التانغو» يرفع من آماله بحصد اللقب للمرة الثالثة في تاريخه، واستعادة ذكريات الفترة الذهبية مع دييغو أرماندو مارادونا عام 1986، وقبله نجوم نسخة 1978. استطاع المدرب ليونيل سكالوني بناء منظومة متينة في مختلف الخطوط، حصدت لقب كوبا أميركا الأخيرة على حساب البرازيل، ثم كاس «الفاينالسيما». مزيج جيد من عناصر الخبرة والشباب تجعل الأرجنتين قادرة على تجاوز أي منافس، وقد يلعب حافز ميسي المضاعف دوراً بارزاً في حصد اللقب.

تراجع اوروبي

في «القارة العجوز» تبدو حظوظ فرنسا غير مرتفعة للاحتفاظ بلقبها. الإصابات ضربت صفوف «الديكة» وغيّبت خط الوسط الذي جاء بنجمة المنتخب الثانية عام 2018. لن يشارك أنغولو كانتي وبول بوغبا مع المنتخب، ما يصعّب الأمر على كتيبة المدرب ديديه ديشامب في ظل افتقار البدلاء إلى الخبرة الكافية. وفي القارة عينها، تبدو البرتغال جاهزة للمنافسة حتى الرمق الأخير. لا نجم يهيمن على حساب الآخر ضمن منظومة المدرب فرناندو سانتوس. كانسيلو وروبن دياش، يرافقهما خط وسط ديناميكي بتقدمه نجم مانشستر يونايتد برونو فيرناندیش مع خط هجوم فتّاك بوجود كريستيانو رونالدو ورافاييل لياو وبيرناردو سيلفا وغيرهم... يرفع من حظوظ «برازيل أوروبا» للمقارعة على اللقب. وهنا أيضاً يبرز رونالدو الذي سيشارك في المونديال الأخير، وسيكون لديه الحافز لتقديم كل شيء ممكن، وخاصة بعد الأزمة التي عاناها أخيراً مع فريقه مانشستر يونايتد، والتي يسعى إلى تبديدها من خلال التألق في البطولة العالمية.

أوروبياً أيضاً، هناك المنتخب الإسباني، بطل نسخة جنوب إفريقيا عام 2010. المنتخب الحالي مختلف، وهو يعوّل أولاً على حنكة مدربه لويس إنريكي. المدير الفني الأسبق لفريق برشلونة يشكّل وجه المنتخب الأبرز، في ظل غياب النجوم اللافتة عن «الماتادور» وعلى رأسها سيرخيو راموس وتياغو ألكانترا. يمتلك منتخب «لا روخا» أسماء شابة وأخرى ذات خبرات متفاوتة، من شأنها أن تزعج المنافسين، إلا أنّ الافتقار إلى رأس حربة حاسم قد يصعّب المهمة أمام إنريكي ولاعبيه.

في السياق، سيكون من المنتظر أيضاً رؤية ما سيفعله منتخب ألمانيا. خرج «المانشافت» من دور المجموعات في المونديال الماضي، بعد خسارتين وفوز بشقّ الأنفس. إعادة هيكلة كبيرة قامّ بها منتخب المكسيكيين منذ ذلك الوقت، بدءاً بتغيير أيقونة التدريب الألماني يواكيم لوف واستبداله بمواطنة هانسي فليك، مروراً بالتغييرات الفنية المختلفة. يمتلك «المانشافت» منظومة متوازنة، لكن السؤال يبقى حول مدى نجاعة الهجوم، في ظل عدم ثبات مستوى الثنائي توماس مولر وكاي هافيرتز.

> **تقصّ قطر شريط المنافسات غداً الاحد الساعة 18:00 بتوقيت بيروت بمواجهة الإكوادور**

تبقى حظوظ وصيفة كاس العالم السابقة كرواتيا، مرتبطة بمدى قدرتها على تقديم مستوى ثابت. ينطبق الأمر أيضاً على ثالث مونديال روسيا، المنتخب البلجيكي، والرابع الإنكليزي. وتستفيد جميع هذه المنتخبات من غياب إيطاليا للمرة الثانية على التوالي عن «العرس العالمي».

أما بالنسبة إلى قارة إفريقيا، فتبدو السنغال قادرة على إزعاج أيّ خصم تواجهه. بطلة كاس الأمم الإفريقية تمتلك أسماءً لامعة في كل خطّ، والعمل الجماعي الذي يقدمه الفريق مع المدرب أليو سيسيه يجعل من السنغال نداً قوياً للجميع. تضم مجموعة «أسود التيرانغا» كلاً من: المستضيفة قطر، التي تسعى الى أن تفاجئ العالم، كما فعلت كوريا الجنوبية عام 2002 عندما بلغت الدور نصف النهائي، إضافة إلى منتخبَي الإكوادور وهولندا. وليس بعيداً عن السنغال، تبرز المغرب القادرة على الذهاب بعيداً بفضل الأسماء المميزة في تشكيلتها، وعلى رأسها حكيم زياش وأشرف حكيمي، فيما تبدو حظوظ تونس أقل هي والسعودية نظراً إلى حلولهما في مجموعتين صعبتين، إذ تواجه الأولى فرنسا والدانمارك، والثانية الأرجنتين وبولندا.

التحليلات تنتهي اليوم، وغداً سيكون الكلام للاعبين الذين سيحاولون كتابة التاريخ في البطولة الأهم والأغلى، بهدف أن يحفروا اسماءهم في تاريخ المونديال كما فعل أسلافهم.

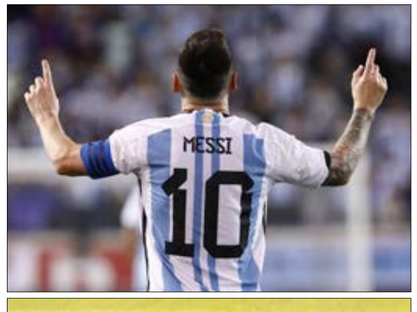

تمثلك البرازيل والارجنتين جميع مفوعات الفوز باللقب (أ ف ب)

البلاد

ملف

عز الدين القسّام
سيرة دمٍ على حَجر

سالم الرحبي*

في كُتيب صغير ومغمور عن تجربة الشيخ عز الدين القسّام يشير مؤلفه علي حسين خلف (1945- 1996) إلى الإهمال التاريخي الذي لحق بتجربة القسّام من خلال اختزال سيرته التي سبقت ذهابه إلى فلسطين، وتقديمه للقارئ مجرداً من خبراته السابقة في سوريا خلال ثورتها ضد الاستعمار الفرنسي. لكنّ الفكرة التي تجعلني أكثر ارتباكاً في ذهابي للكتابة عن القسام هي ما جاء، في حديث المؤلف نفسه عندما قال إن «ضعف التاريخ المكتوب والشفوي لتلك المرحلة، لا يبرر للدارسين استسهال نقل المعلومات من مصدر واحد، دون تدقيق، وبإشكالية حوّلت القسّام من شخصية حقيقية إلى شخصية احتمالية» (عز الدين القسّام، علي حسين خلف، دار الحوار). لذا فإنني أسلم منذ البداية بأن التنقيب عن آثار هذا الرجل بحاجة إلى مبحث خاص في ظل شح المصادر وتنوع الحكايات التي يُسفر تضاربها عن استحداث شخصية جديدة مع الوقت، باسم القسّام وملامحه، لكنها لا تمتُّ للشخصية التاريخية بأي صلة.

ونحن إذ نكتب عن القسّام في ذكرى استشهاده فإننا نعترف بأننا نكتب على هامش سيرته لا في متنها. نتذكره لنذكّر به، ونكافح آفة النسيان باستحضاره في ذاكرتنا القومية. نتذكره شيخاً شهيداً على أرض شهيدة، وسيرة لدم ساخن يجري على صخرة العناد التليدة، تلك التي شهدتْ على أمة تحلم باستعادة الجسد وزوال الهيمنة الاستعمارية عن كل شبر من ترابها.

لقد تنبّأ القسام في وقت باكر من تجربته بخطورة المشروع الصهيوني، ولا سيما بعد الإعلان المشؤوم عن وعد بلفور في تشرين الثاني من عام 1917. كانت فلسطين تشهد هجرات متزايدة من اليهود إليها تحت إشراف البريطانيين، وكان القسام يؤجل إطلاق رصاصة إعلان الثورة إلى حين استيفاء، كامل شروطها عدةً وعتاداً، لكنه يُوغت بالرصاصة الإنكليزية في 20 من تشرين الثاني عام 1935. لم يكن تبادل النيران متكافئاً، ولم يكن العدل حاضراً حتى المعركة الأخيرة. كان المسجد يواجه الإمبراطورية، وكانت العمامة الأزهرية تخوض آخر معاركها مع معدن الخُوذ الإنكليزية الصفّحة، وكان الأوان قد آن ليكتمل القسّام كأسطورة. وجاء خبر استشهاده في أحراج قرية يعبد من أعمال جنين كباعث عنيف للثورة الفلسطينية الكبرى التي اندلعت عام 1936، أي بعد أشهر قليلة من استشهاده، لتستأنف تلك الانتفاضة الشعبية مرحلة جديدة من تاريخ الصراع العربي الفلسطيني مع المستعمر البريطاني الصهيوني.

لا يمكن لميراث عز الدين القسام أن يُحتكر لصالح حزب سياسي أو تيار معين، وليس من حق كتبة التاريخ أن يقيّدوا سيرته في بعدها الإسلامي فحسب، كمجرد رجل دين ثائر تحت ضغط غيرته على الدين ومقدّساته، فما يميز القسّام هو هذا التمامي النادر في تجربته بين ما هو ديني وما هو وطني وقومي. وفي ذكرى استشهاده لا يكون الوطن فلسطين ولا سوريا، بل الشرق، كل الشرق في سيرة رجل واحد. وبين اللاذقية وحيفا، بين مسقط الرأس ومرقد الجسد، طريق طويل من أجل الحرية البعيدة كالماضي، القريبة كالمستقبل.

* شاعر عُماني

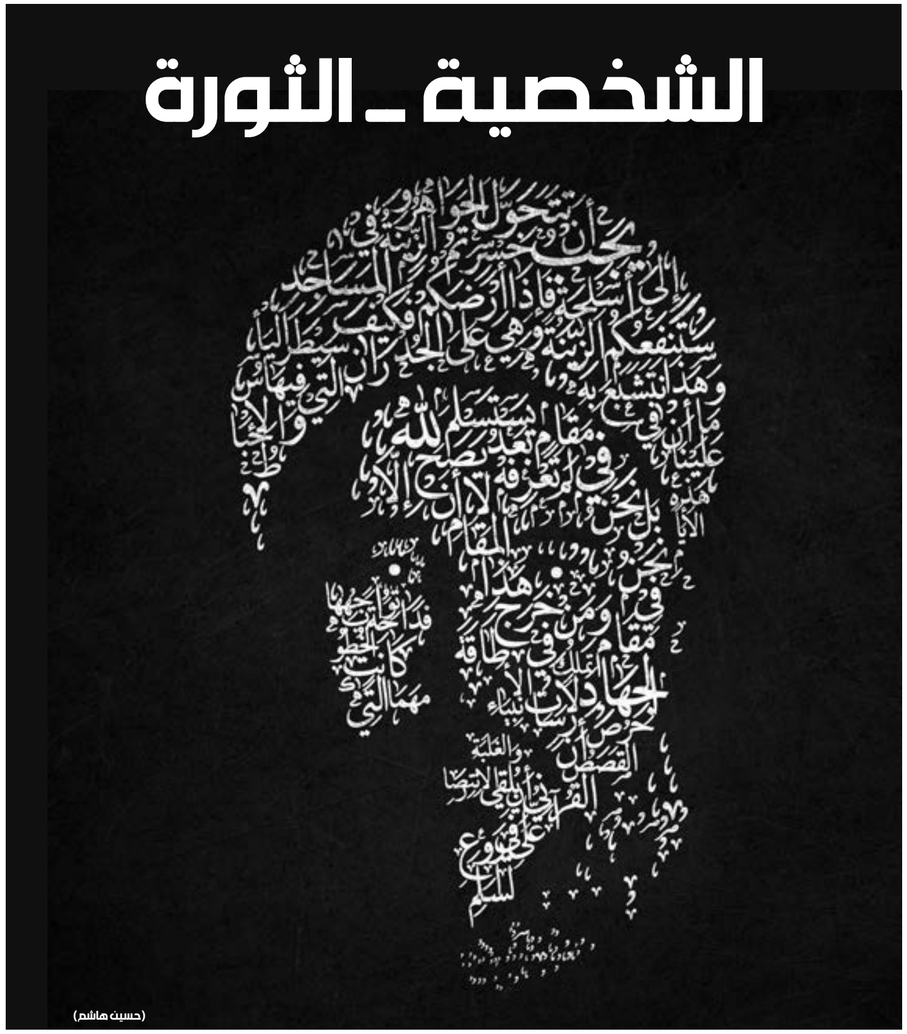

(حسيف هاشم)

موسى السادة

«فالقسام ذهب في خوابي الماء، امتزج بكه طمى فلسطين، فأنى لنا ان نلملمه؟ لكنها محاولة تستحق السفر، محاولة البحث عن ملامح عالم حديث لوري»

[كتاب «الوعي والثورة» سمير حمودة]

ما يميّز شهداء من طراز الشيخ عز الدين القسّام، هو أن عملية البحث في شخصيتهم لا تنحصر في كونها قراءة تاريخية، أي القراءة في ماضٍ، بل هي قراءة لليوم، ممتدّة من الماضي، لتعبر بنا إلى المستقبل. بل مع شخصية القسّام، أن نقرأ تاريخه هو كأن نقرأ تاريخنا نحن، والأمر هنا أبعد من مسألة أن أي قراءة تاريخية تتأثر بعدسة الزمن الحاضر التي قُرئت فيه. فحين سرد سيرة شهيد من هذا الطراز تحديداً، يمسي الموت كاذباً، حيث إن سيرته مستمرة، كاسرة لقواعد الزمن، في أكثر المصادق وضوحاً، على أنهم أحياء يُرزقون.

الثائر بالمعنى التاريخي

«إن الصهيونية تريد ذبحكم كما ذبحوا الهنود الحمر في أميركا»

- من خطبة القسام بعد إعدام عطا الزير وفؤاد حجازي ومحمد جمجوم، عام 1930

يُعتبر عز الدين القسّام من الشخصيات النادرة جداً في تاريخ مقاومة الاستعمار الغربي، وعلى نطاق كل شعوب الجنوب، التي عملت على مقاومة ثلاث أمم أوروبية مختلفة. منذ أن أعدّ الرجال والمال والسلاح لإرسالهم لقتال الاحتلال الإيطالي في ليبيا، مروراً بقتاله الفرنسيين في سوريا حتى حكموا عليه بالإعدام، إلى استشهاده مشتبكاً مع الإنكليز في فلسطين. ولو سلّمنا جزافاً بأن شتات الصهاينة «أمة» فقد ساهم الشهيد في مقاومة أربعة مشاريع استعمارية. ومع أخذ محاذير مغالطة الإسقاطات التاريخية في الحسبان، فلا يسعنا استذكار شخصية في تاريخ العرب، قطعت فيافي ووديان بلاد الشام لتخوض معارك ضد إمبراطوريتين مختلفتين سوى الفذ خالد بن الوليد. إلا أن ما يجعل الشيخ القسّام مثالاً على ما سنطلق عليه الشخصية- الثورة، ليس مجرّد إطلاق النار على المستعمرين، فكثر من سيطلقون النار في مرحلة ما، ولكنّ الثوار منهم، بالمعنى التاريخي للكلمة فهم قلّة. تنطلق هذه الفكرة من أن الثورة بهذا المعنى، هي عملية تكثيف للزمان والمكان تسفر عن تمرّد شامل على بنية سياسية- جغرافية واجتماعية واقتصادية قائمة، أي تلك الأسابيع التي يحدث فيها ما قد تتطلبه عقود بتعبير لينين. وحين قراءة حياة القسّام وتتبع أحداثها سنصل إلى نتيجة مفادها، أنه وتحديداً في البنية التاريخية للشعب الفلسطيني، فإن شخصيته وسني جهاده القصيرة، تكثيف لما سيتطلبنا من عقود لاستيعابه.

كثير تلك القراءات التي روت سيرة الشيخ عز الدين، ينتاب بعضها محاولات تعفف من إسلاميته، وكونه عالم دين، ومحاولة تحليل جهاده بالمنظور النمطي لليسار، في عزل لأدوات الشيخ الخطابية المستقاة من التاريخ الإسلامي، رغم أنها ولقربها من الجمهور هي أحد أسباب نجاعة حركته. أخرى، انتابتها محاولات تسجيل نقاط ضمن صراع النماذج بين الإسلاميين والتيارات المنافسة، خصوصاً أن هذه القراءات كانت وليدة الثمانينيات، مع صعود الحركة الإسلامية في فلسطين تحديداً، حيث وجدت في الشهيد شاهداً تاريخياً على نموذجها الصاعد، إلا أن العديد منها وقع للأسف في فخ محاولة احتكاره. علينا عتق جهاد الشيخ القسّام من ضيق التنافسات البينية إلى رحابة أن الشيخ رمز لكل جماهير العرب وأبعد. ومعرفة أن مساراً من مسارات تاريخ العرب ضد الاستعمار، وأكثرها بُعداً عن علاقات الانتفاع الطبقي، ولأسباب موضوعية، ومنذ القرنين العشرين والتاسع عشر، هو تاريخ شيوخ، من عبد الكريم الخطابي في الريف المغاربي، عبد القادر الجزائري، عمر المختار في ليبيا، أحمد العرابي في مصر، وصولاً إلى أحمد ياسين، وراغب حرب، وعباس الموسوي، وغيرهم.

ولد القسّام عام 1882 في قضاء اللاذقية لأسرة بسيطة تهتم بالعلوم الشرعية، وفي الأساطير الشعبية، يروى أن تسمية القسّام جاءت بعد شكوى أهالي القرية من أفعى كبيرة في مراعيهم، فخرج جد القسّام وصرخ بها فقسمها إلى نصفين. انطلاقاً من هذا الاهتمام العلمي أرسلت الأسرة ابنها، بتدبير من أحد الأفندية، إلى مصر للدراسة في الأزهر، ومكث فيها عقداً كاملاً حتى عام 1906، متتلمذاً على يد محمد عبده، ومعاصراً للقاهرة إبان أوج النهضة العربية وحيويتها، حيث تلاقحت مختلف العوالم والاتجاهات الثقافية العربية. ولعل أولى دلائل نقلته الشخصية، بعد عودته إلى سوريا، هي فشل محاولات والده أن يذهب ليسلّم على الأفندي في قصره، مستهجناً أن يسلّم الوافد على المقيم، مستدلاً بأن الله لم يخلقنا «أفندية ودهماء»، ومطمئناً والده بأن لا تخشى الأفندية، فأنا «قوي بإيماني وبعلمي الذي تعلّمته». لتبدأ من هنا مسيرة تمرّد الشيخ على كل سلطة رزح تحتها على امتداد الجغرافيا، فمن على منبره في مسجد المنصوري، بدأ بنشاطه الدعوي والتعليمي بشكل أسّس له نفوذاً شعبياً هدّد فيه سطوة الأفندية التي حاولت الضغط عليه دونما جدوى، حتى إنه منع أمّه وأخواته من العمل في القصر، متحمّلاً وزر رعايته من مدخوله الشهري. وفي المرحلة ذاتها قاد شغف الشيخ لاكتساب الخبرة عن مختلف التجارب التعليمية للسفر إلى تركيا لاكتشاف طرق التدريس في جوامعها.

ومع احتلال طرابلس الغرب من قبل الإيطاليين عام 1911، لم يكتف الشيخ القسّام بالتظاهر والمساهمة المعنوية، بل حشد مئات المقاتلين، مدشناً حملة تبرعات لسفرهم لقتال الإيطاليين، وكان من المفترض إبحارهم من الإسكندرونة إلا أن السلطات هناك لم تمكنهم من السفر. وعند نشوب الحرب العالمية، وحتى قبل سقوط الساحل السوري بيد الفرنسيين، وتحديداً في خريف عام 1918، بدأ القسّام بالاستعداد لمواجهة الاحتلال، حيث قام ببيع منزله لشراء السلاح، والانتقال إلى قرية أكثر تحصيناً وذات طابع فلاحي. وكذلك وثّق علاقته بمشايخ اللاذقية، وما إن أعلن عن النفير للمقاومة انضم إلى مجموعة عمر البيطار لبشتبك مع المستعمرين الفرنسيين في جبال صهيون. استمر القسّام في خوض المعارك ضد الفرنسيين وبالتنسيق مع رموز وطنيين كصالح العلي وإبراهيم هنانو حتى عام 1920، ومع خبوت الثورة، وتحديد رموزها، حاول الفرنسيون ترغيبه وترهيبه للتخلي عن المقاومة فرفض، فطاردوه وغايتهم تعليقه على حبل المشنقة، فلجأ إلى دمشق حتى الاستشهاد الملحمي ليوسف العظمة في معركة ميسلون، فانطلق بعدها قاصداً فلسطين برأ عبر بيروت ثم بحراً من صيدا إلى عكا، مكملاً طريقه إلى حيفا.

لا يمكن حصر تميّز مرحلة الشيخ القسّام في فلسطين طوال 15 عاماً حتى استشهاده عام 1935، في كونها مرحلة ممارسة الشيخ للحياة النضالية بشكل يمثّل استخلاصاً عبقرياً لتجاربه السياسية والاجتماعية والعسكرية السابقة في مصر وسوريا، بل إن مصفوفة علاقات القسّام مع مختلف القوى الفاعلة في المجتمع الفلسطيني حينها، هي ما تجسّده «الشخصية-الثورة».

فما مصداق حديثنا عن ثوريته وتكثيفه للزمان والمكان، سوى حقيقة أن النضال الفلسطيني، إلى اليوم، ما هو إلا محاولات بالتجربة والخطأ على مدى العقود، عليها أن تؤول في الأخير للتبني العملي لمنهجية مصفوفة علاقات القسّام. بل بإمكاننا الجزم أن أكثر مراحل الثورة الفلسطينية عنفواناً، هي المراحل التي كانت أقرب محاكاة لتجربة الشيخ.

البنية الاجتماعية والسياسية الفلسطينية، وكذلك الاستعمارية، وإن تبدّلت عناوينها التاريخية منذ عشرينيات القرن الماضي، لا تزال نفسها. وسواء أعلن الصهاينة عن دولتهم، واعترف بها العالم، أم لا، فهم لا يزالون التجمعات الاستيطانية المرتابة ذاتها، المرتعدة على الطرق بين مستعمراتهم. وأمّا مسألة تبدّل الرعاية الإمبريالية لهم من الإنكليز إلى الأميركيين فقد تغيّر العنوان فقط. الأمر ذاته يعطف على علاقات البرجوازية الفلسطينية ونخبها الانعزالية مع الراعي الإمبريالي وإسرائيل من جهة، والعمّال والمقاومين من الطبقات الشعبية من جهة أخرى. وهنا، وفي خضم تعقيد شبكة العلاقات هذه، تمثّل شخصية الشيخ القسّام النموذج الثوري، والبوصلة لمعرفة أي شكل من العلاقات علينا تبنيه مع كل طرف.

الفشاميون بين الأمس واليوم

«من جرّب المجرّب فهو خائن»

- القسام

مكث الشيخ أوّل أشهر وصوله إلى حيفا، كبقية اللاجئين السوريين، في أحد أفقر أحيائها، إلى أن دعت مدرسة البرج الإسلامية الشيخ للتدريس فيها، مدرّساً كلاً من الإنث والذكور. دأب الشيخ جاهداً على تعليم الطلاب، مطبقاً خبراته التي اكتسبها بين مصر وتركيا، فكان، عبر النشاط اللامنهجي، يستغل المدرسة لتعليم وتربية الطلاب بشكل يذكي فيهم روح الجهاد والمقاومة. على سبيل المثال، أدخل الشيخ ثقافة المسرح على المدرسة، وينقل أحد طلابه لعب دور صلاح الدين ومعركة حطين. مكّن هذا الأسلوب الإبداعي القسّام، وفي مدة زمنية قصيرة، من نسج علاقات تجاوزت أهالي الطلاب، وسمعة حسنة بين الناس، ما أكسبه مكانة اجتماعية، كشيخ معلّم مثابر. لم تدم فترة تدريس الشيخ في مدرسة البرج سوى قرابة الأربع سنوات، وحتى عام 1925، حيث اختلف مع إدارتها حول استغلال المدرسة لجني الأرباح والرسوم وتهميش اليتامى والفقراء، فاستقال من وظيفته.

دخل الشيخ عز الدين بعدها إحدى أبرز مراحله، وهي مرحلة خطابته في جامع الاستقلال، وهو جامع لا يزال قائماً في حيفا المحتلة حتى اليوم. وكغيره من شيوخ النضال العربي، اتخذ الشيخ من المسجد محطة ثورية، محوّلاً المنبر إلى أداة سياسية، يخاطب بها الجمهور، منبّهاً من الخطر الصهيوني ومشعلاً بذرة المقاومة ضد الاستعمار البريطاني. وأيضاً كنواة تنظيمية بدأ فيها بناء حركته المقاومة، ضمن مشروع متكامل بدأت أولى مراحله عبر التهيئة النفسية للثورة. في إحدى خطبه في عام 1927، حذّر القسّام من التساهل مع الهجرات اليهودية، داعياً بشكل منفرد إلى التعامل معهم كعدو لا كمهاجر أو ضيف، وحين رفعت إحدى سفن الصهاينة المسمّاة «تل أبيب» العلم الإسرائيلي جدّد الشيخ تحذيره من أطماعهم في فلسطين. وعلى إثر صدى خطبة استدعته سلطات الانتداب أكثر من مرة، كما أن غالبية الزعامات التقليدية عملت على محاربته وتشويه سمعته، حيث إن شعبية ونفوذ الشيخ هدّدا سطوتها.

تكمن المسألة هنا في أهمية فهم «المسجد»، وفاعلية الخطاب القسّامي، خارج إطار التحليل الحداثي العربي التقليدي، والجدلية البالية بين «التقدمية» و«الرجعية». وهو فهم ينطلق من تحليل البنية الاجتماعية والسياسية الفلسطينية، ضمن خصوصيتها، ولكن أيضاً بما يمكن

> **تمرّ الذكرى السابعة والثمانون على استشهاد الشيخ عز الدين القسّام، وكثيرة تلك الدلائل على عظمة هذا القائد العربي**

تعميمه على ساحات عربية مختلفة.

تُقسّم البنية الهرمية في فلسطين كالتالي: سلطات الانتداب البريطاني، عصابات الصهاينة، الزعامات العربية سواء الدينية أو العوائل الإقطاعية-التجارية التي اكتسى العديد منها لبوس الأحزاب الوطنية وخطابها، والعمّال والفلاحون العرب. وضمن هذه البنية تخندق مسجد الاستقلال والشيخ القسّام في أكثر المواقع ثورية.

كانت الزعامات الدينية والإقطاعية- التجارية على علاقة حرص على مكاسبها الطبقية مع الاستعمار البريطاني، رغم خطابها الوطني، الأمر الذي جعلها تخوض معركة خاسرة وجبانة في محاولة استمالة الإنكليز والشكوى لهم على تصاعد الخطر الصهيوني، دفعها هذا الحرص الطبقي إلى أن؛ أوّلاً تحييد الإنكليز عن الصراع وحصره في اليهود الصهاينة، وثانياً البُعد عن العمّال والفلاحين الذين يتطلعون إلى قيادة طليعية تنسجم مع تطلعاتهم. أمّا اليوم، فأعاد التاريخ نفسه على شكل مهزلة، بشكل تاريخي جديد تحت مسمّى السلطة الفلسطينية، وحرصها على مكاسبها الطبقية عبر العلاقة بالأميركيين والاتحاد الأوروبي، وحربها على الفقراء والمقاومين.

ما مثّله الشيخ عز الدين، بشخصيته وخطبه من على منبر مسجد الاستقلال، المسجد الذي كان مستقلاً بحق، هو علاقة مع الطبقات الشعبية بشكل مباشر، معتمداً على خطاب وأدبيات مستقاة من التاريخ العربي الذي يُعد الإسلام أهم مشاربه، بشكل يتفاعل معه الناس بوجه ذاتي، مذكياً روحهم الوطنية. من هنا، وبالمعنى التاريخي، كان مسجد الاستقلال يمثّل التقدّمية التاريخية التي ترنو إلى نقل وتغيير الوضع القائم، أمام الرجعيّة التاريخية للزعامات والأحزاب الوطنية.

كان شكل العلاقة مع المركز الاستعماري البريطاني هو جوهر الاختلاف الفلسفي والاستراتيجي بين القسّام والتيارات الأخرى. وهو الذي خبر المستعمرين طوال حياته، فبمسحٍ لشبكاته وتحالفاته مع مختلف الأطراف طول حياته من سوريا إلى فلسطين، لم تكن الهويات العقدية والسياسية هي معيار الشيخ، بل إن شكل علاقتك مع المستعمرين هو ما يحكم قربك وبعدك عنه. عملاً بقوله في إحدى خطبه: «بريطانيا رأس الداء والبلاء». ولعل أحد الشواهد ترحيب القسّام عام 1932 بالتبنّي المتأخر لحزب الاستقلال الفلسطيني بأن التناقض الرئيسي للحركة الوطنية يجب أن يوجّه ضد الانتداب. وهو تشخيص تشاركته تيارات مختلفة كالمناضلين الشيوعيين وغيرهم، إلا أن من انتقل من حالة التنظير إلى الممارسة هم القشاميون، حيث تبنّوا شكل العلاقة الصحيح مع الاستعمار وهي الحرب.

لم يغفل الشيخ القسّام عن أي شكل من أشكال الحرب، وحتى في خضم التحضير للعمل الثوري المسلّح، ساهم في تأسيس إحدى أهم تجاربه المغفل الحديث عنها، والتي تعكس أهمية الجبهة الثقافية لدى الشيخ، وهي «جمعيات الشباب المسلم».

إبّان القرن التاسع عشر والعشرين، كانت الجمعيات المسيحية التبشيرية تجسّد الذراع الناعمة للاستعمار، وذلك عبر تأسيس واجهة ناعمة وتجميلية متوازية مع آلة القتل والقمع الاستعمارية، فلم يكن من المهام المباشرة لهذه الجمعيات تنصير الناس، بل إن أبناء المسلمين يشاركون في نشاطاتها، ومن أدوارها إقامة علاقات طبيعية بين أبناء اليهود والعرب عبر نشاطات مختلفة فنية ورياضية. وهي بالأهمية بمكان أن يحضر احتفالاتها أعلى رتب ضباط الانتداب، حتى إن اللورد إدموند النبي افتتح أحد فروعها في القدس. تُعدّ هذه الجمعيات الشكل التاريخي القديم للمنظمات غير الحكومية («NGOs») اليوم والتي يجعلك تستشعر شبئاً من محافلها في عواصمنا اليوم.

أقيم في القدس، عام 1928، مؤتمر تبشيري ضخم لهذه المؤسسات، ووقّع على عرائض التنديد به العرب من المسيحيين والمسلمين، حيث إنه لأدوارها الاستعمارية عاداها جميع العرب وقاطعوا نشاطاتها. في العام ذاته، ويشكل مباشر، انتُخب الشيخ القسّام رئيساً لجمعيات الشباب المسلم، وهي جمعيات منتشرة في مدن فلسطينية مختلفة، تستقطب الشباب الفلسطينيين بعيداً عن الجمعيات الممولّة استعمارياً، وكذلك، شكّلت هذه الجمعيات بنية تحتية للحركة القشامية السرية واستقطابها وارتباطها بالشباب والعمّال.

تكمن أهمية الاستحضار المتجدد لسيرة الشيخ القسّام، أنه ومن ناحية عملية ولنجاح الثورة الفلسطينية، علينا جميعاً أن نكون قشاميين، وعلى كل جبهة. فالهرمية الفلسطينية اليوم هي ذاتها، إمبريالية أميركية، وعدو صهيوني، وسلطة فلسطينية تشكل شبكة تحالفات عوائل برجوازية، تعتاش على تكرار الخطأ التاريخي، والخيانة عبر تجريب المجرّب، فـ«أميركا رأس الحية» كما استعاد جورج حبش منهج القسّام من قبله. ولعل أدق تشخيص لتاريخ فلسطين على مدى المئة عام الماضية هو كيف أن الزعامات التقليدية في الماضي ومن ثم زعامات أوسلو اليوم، مكّنت المشروع الصهيوني، على حساب قشاميي الأمس، فقراء أحياء الصفيح في حيفا وفلاحي مرج بن عامر، وقشاميي اليوم من فقراء المخيمات والبلدات القديمة ومحاصري غزة. أحد مصاديق ثورية شخصية القسّام، أنه كان يستشرف قبل الجميع مخاطر الصهيونية، عالماً بأن الاستعمار شر مطلق، وبإمكاننا الجزم أنه لو لم يتم التواطؤ على ثورته ومن ثم منهجه، لاختلف تاريخ فلسطين، وتاريخ الصهاينة، بل وتاريخ العالم ككل.

يقتفي فقراء فلسطين اليوم خطى القسّاميين الأوائل، في مشاهد تتكامل مع رمزية أن الشهيد القسّام صاروخ يحلق في سماء فلسطين، وأن العرب في القرن الواحد والعشرين باتوا يقولون: «القسام قصف»، وأن غواصي الكتائب تستخرج ذخائر من سفينة حربية بريطانية وتعيد إنتاجها كأسلحة، في عملية تصحيح تاريخية بالمعنى المادي والفيزيائي.

أمّا ما بين نابلس وجنين، فهي جغرافيا العمليات الفدائية القسّامية ذاتها قبل تسعين عاماً، كمائن على طرق المستوطنات، ومعامل للعبوات والمتفجرات، وذات المواسير. ففي كانون الأوّل من عام 1932 استطاع القسّامي أحمد الغلاييني أن يصنع عبوة فجّرها القشاميون في غرفة لأحد أبرز قادة المستوطنين، في إحدى أبرز عملياتهم النوعية، كما هي معامل عبوات قشاميي اليوم في المخيم وحارة الياسمينة. بل إنها أجيال تتعاقب، فحين نرى من القسّاميين الأوائل، دار السعدي ودار زبيدي، حينها فقط، نفهم من أي طينة عجن أمثال المناضل زكريا وأخيه الشهيد البطل داود زبيدي ورفاقهما، وأنهم امتداد تاريخي لـ «الشخصية-الثورة».

تمرّ الذكرى السابعة والثمانون على استشهاد الشيخ عز الدين القسّام، وكثيرة تلك الدلائل على عظمة هذا القائد العربي، إلا أن التفكير في شبهٍ يجعلك تستشعر شبئاً من هذه العظمة؛ مشهده وهو يخطو بوقار على عتبات منبره في مسجده الصغير في حيفا، ليقف أمام جمع قليل من عمّال ميناء المدينة ومعاملها، فقراء بثياب رثة، ووجوه سمراء متعبة، تكالب عليهم الإخوة والغرباء، خاطباً فيهم بكلمات، قالها لوجه الله، وهو لا يعلم أنها وبعد قرن من الزمن ستكون عبارة مستوحاة منها ببيانات كتائب ومقاومين سيغيّرون العالم: «وإنه لجهاد نصر أو استشهاد».

ضريح الشهيد الشيخ عز الدين القسام في مقبرة قرية بلد الشيخ - حيفا (الأخبار)

البلاد

برق بدّد الغيوم

عزّ الدين القسّام وتشكيل الشرق الأوسط الحديث

ترجمة بتصرّف لمقتطفات مختارة من خاتمة كتاب «برق بدّد الغيوم: عزّ الدين القسّام وتشكيل الشرق الأوسط الحديث» (منشورات جامعة تكساس 2020). ننشرها بالتنسيق مع الكاتب

مارك ساناغان

قبل أيام قليلة من الانتصار الإسرائيلي الحاسم في حرب عام 1967، وقبيل تعيينه وزيراً للدفاع، قام موشي ديان بزيارة القوات الإسرائيلية المتمركزة في مدينة بئر السبع، في صحراء النقب. يذكر ديان في مذكراته لقاءه عمّا يفكر فيه خلال الإعداد للهجوم الإسرائيلي على جنين، فأجاب إن علينا أوّلاً الاستيلاء على بعيد، مبرراً ذلك بأن «لها تاريخاً» حيث إنها المكان الذي باع فيه أبناء يعقوب أخاهم يوسف، ولكن، كان الأهم من ذلك هو أنها المكان الذي «قتل فيه القسّام».

في أعقاب الحرب، توغّل الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية، وتوقف في بلدة نزلة الشيخ زايد، وتحديداً أمام منزل صغير مصنوع من الحجر الجيري الأبيض على جانب التل، فوق البقعة التي قتل فيها القسّام. نزل جنود الجيش الإسرائيلي من سياراتهم وبدأوا بتفتيش المنزل الذي يعود لدار وصفي. ومن غير المعروف هل أن الأمر كان مصادفة، أم أنهم قد سمعوا الأسطورة وجاؤوا ليتأكدوا بأنفسهم، حيث إنهم أثناء بحثهم وجدوا سيفاً، وهو سيف الشيخ القسّام، كانت عائلته قد ائتمنته لدى دار وصفي في أربعينيات القرن الماضي، والذين كانوا من أوائل المؤيدين له. وهذا السيف هو ذاته الذي ذكره الشيخ يونس الخطيب في تأبين القسّام أثناء جنازته.

أخذ الجندي الإسرائيلي السيف من دار وصفي، ليكون بذلك استولى على البقايا الملموسة من حياة القسّام. فبالإضافة إلى السيف، ضاع صندوق يجمع حاجيات القسّام أثناء فرار أمينة القسّام (زوجة القسّام) من جبلة عام 1948، فكل حاجياته اختفت ولا نعلم اليوم أين هي.

شكّلت حرب 67 نقطة تحوّل أخرى في تاريخ فلسطين، فقد غيّر احتلال غزة والضفة الغربية الخريطة السياسية داخل الدوائر الوطنية الفلسطينية. حيث إن عدم مقدرة الدول العربية المجاورة على مساعدة الفلسطينيين من خلال القوة العسكرية لجيوشهم، ولّدت روحاً لدى منظمة التحرير الفلسطينية، معتمدةً على الذات في مجال العمل الثوري. ولذلك استدعى انبثاق هذا السياق إلى لغة سياسية جديدة برموزها وأساطيرها الخاصة بها: القدس، قبة الصخرة، النسور والأسود، والكلاشينكوف، الكوفية، فرسان على صهوة الخيول، وأخيراً عز الدين القسّام. حيث تمّت عملية إعادة اكتشاف واستحضار القسّام: في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات.

> **هل كان وطنياً فلسطينياً أم إسلامياً أم قومياً عربياً؟ الأكثر ترجيحاً أنّ كلّ هذه التصنيفات لا تكفي حين إسقاطها على شخصيّة مخضرمة كالقسّام**

جرت العادة في معظم الدول الحديثة على أن عملية صناعة الأساطير القومية تعتمد على مؤسسات تعيد إنتاج التاريخ بشكل مشبع بروايات تتوافق مع أيديولوجيات السياسية على مستوى العالم، ولكنها تعكس أيضاً، غياباً لدراسة تاريخية محكمة لتاريخه. إنّ لدراسة تاريخ حياة القسام تعقيدات عديدة، إمّا تجاهلها المؤرخون السابقون، أو تم التقليل من شأنها عن قصد. فعلى سبيل المثال، تمّت محاولة تهميش لهويته الشخصية، حيث سادت خلال العقود الثلاثة الماضية تجاذبات، بين من آحال نشاطه إلى نزعته القومية، وبين ما كان واضحاً أنها قوته الدافعة، ألا وهي الإسلام. فهل كان القسام وطنياً فلسطينياً أم إسلامياً أم قومياً عربياً؟ الأكثر ترجيحاً أن كل هذه التصنيفات لا تكفي حين إسقاطها على شخصية مخضرمة كالقسام، وغيره الكثير من الشخصيات التي عاصرته، حيث إن الانتماءات السياسية التي يشار لها هي في حدّ ذاتها في حالة تغيّر مستمر.

من نواح عديدة، يحتاج الفلسطينيون إلى القسّام. فقبل عام 1935 لم يكن لأبطالهم المدى الجماهيري ذاته، فلربما كان بإمكان الحاج أمين الحسيني قيادة تظاهرات احتجاجية، لكن علاقته مع الإنكليز أفشلت مجاراته للتطلّعات الفلسطينية على المستوى الوطني. يمكننا المجادلة بأن فؤاد حجازي يمثّل أحد أقرب النماذج لحالة البطولة، وهو أحد المشاركين في تمرّد عام 1929 ومن ثم شنق في عكا، ويبدو أن حجازي نفسه كان يرى موته أمراً مرجحاً، ويُزعم أنه أخبر الشرطي الإنكليزي دوغلاس داف في سجن عكا في الليلة التي سبقت صعوده المشنقة:

«خذ هذه الصورة لي. ستعيش لترى أنها ستزخرف رايات العرب تقودهم إلى النصر وتخرج الإنكليز من فلسطين
لم يكن موتي عاراً
ساظهر الطريق لشبابنا، لقيادتهم في القتال الذي لن يتوقف أبداً حتى طرد آخركم من البلاد»

«الشهيد عزالدين القسام وصحبه أبطال ثورة 1936». للفنان برهان كركوتلي (1980)

حينها بشخص يعرفه منذ زمن بعيد، يشير له ديان بأنه العربي الذي يعتمد عليه، وهو من المجنّدين البدو في البالماخ، كان قد تعرّف إليه منذ طفولته في «موشاف نهلال» شمال فلسطين. والاسم العبري المستعار لهذا المقدّم في جيش الدفاع الإسرائيلي هو «عاموس بركوني». اصطحب ديان «عاموس» إلى منزله لمقابلة زوجته، وتحدّثا عن ذكرياتهما القديمة معاً، إلا أن موضوع النقاش الرئيسي بينهما، الذي يذكره ديان في مذكراته، وقبل أيام من أحد أهم الفصول في تاريخ إسرائيل، كان عز الدين القسّام.

يطوف شبح القسّام على جزء كبير من ذكريات طفولة ديان، بما يعكس بشكل جليّ رأيه في العرب. كان ديان أحد الحراس الليليين في نهلال، ليلة مقتل يوسف يعقوبي على يد القسّاميين في كانون الأول من عام 1932. ورغم مرور 35 عاماً، لا يزال ديان يرى في القسّام والرجال من أمثاله، كبعبع لتطلّعات اليهود في أرض إسرائيل.

بعدها بأسبوع، وتحديداً في الخامس من حزيران من العام ذاته، وفي اجتماع عقد بعد الظهيرة جمع رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي أشكول إلى قائد أركان الجيش إسحاق رابين، سأل الأخير ديان

القسّام الأزهري: بُعد إصلاحي ونهج ثوري

«لو ان العرب استلهموا روح القسام عام 1948 لما وقعت الكارثة الاولى، ولو انهم استلهموها عام 1967 لما وقعت الكارثة الثانية»

احمد الشقيري

أحمد الصباهي

القارئ لسيرة الشيخ الأزهري السوري عز الدين القسام، وما رافقها من حوادث سياسية انتابت الوطن العربي، وخصوصاً فلسطين، يتلمّس بعداً ثورياً حتى النخاع، ومنهجاً إصلاحياً، رافق حركته، وإن كان يُصنّف في إطار الشخصيات «الثورية»، ونضاله -عند بعض ممّن آرخوا لحركته- ثورةً اشتراكية، باعتبار أن ميدان اتصاله كان القرى والنواة الصلبة لحركته كانت من الموظفين البسطاء، والحرّاس، والأعم الأغلب من الفلاحين.

ويرجّح الكاتب الراحل سميح حمودة أن القسام لم يستطع جذب الطبقة المثقفة، «كان يعتقد أن المدنيّة الحديثة التي غزت العالم الإسلامي، أذابت أغلب الفئات المثقفة بالثقافة الغربية، وجعلتها بعيدة عن روح الفطرة السليمة فلم تستطع التصدي للغرب وعساكره... وغالبية المثقفين الفلسطينيين في تلك الفترة تنتمي إلى مدارس فكرية متأثرة بالمنهج الغربي... ما خلق هوة في التفكير بينهم وبين الشيخ عز الدين القسام» (الوعي والثورة، دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام 1828-1935/الشروق للنشر والتوزيع- الطبعة الثانية 1986) يتعارض هذا الرأي مع الروايات التاريخية التي رجحت تواصل القسام مع الأحزاب العربية في ذلك الوقت، كحزبي الدفاع والاستقلال، وذهاب البعض إلى ترجيح انتسابه إليها؛ فهذه الأحزاب، وإن كان منشؤها المصلحة السياسية، والعائلية (آل الحسيني، آل النشاشيبي)، إلا أنها أحزاب انضمّت إليها طبقة من المثقفين لتكوين هذا الشعب، عملية معرّضة بشكل دائم لخطر الحرب والمنفى والاستعمار. انطلاقاً من ذلك، فإن رمزية شخصية القسّام، ولما تتمتع به من سحر ومتانة، ظلّت معتبرة ومحترمة من قبل الفلسطينيين على طول الطيف السياسي. قد يبدو اليوم ظهور القسام على ملصقات حركات يسارية غريباً الآن (يتحدّث الكاتب هنا عن ملصق لـ«الجبهة الديموقراطية» يخلّد الذكرى الأربعين لاستشهاد القسام)، وذلك لأن هذه الحركات كانت الشائعة خلال ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم، ورغم صعود حركات مقاومة اليوم بايديولوجيات جديدة، إلا أن رمزية القسّام استمرت. تدل هذه الاستمرارية الرمزية للقسام، بين التيارات اليسارية والإسلامية، على متانته كرمز رغم التغير والمد والجزر في الأيديولوجيات السياسية على مستوى العالم، ولكنها تعكس أيضاً، غياباً لدراسة تاريخية محكمة لتاريخه. إنّ لدراسة تاريخ حياة القسام تعقيدات عديدة، إمّا تجاهلها المؤرخون السابقون، أو تم التقليل من شأنها عن قصد. فعلى سبيل المثال، تمّت محاولة تهميش لهويته الشخصية، حيث سادت خلال العقود الثلاثة الماضية تجاذبات، بين من آحال نشاطه إلى نزعته القومية، وبين ما كان واضحاً أنها قوته الدافعة، ألا وهي الإسلام. فهل كان القسام وطنياً فلسطينياً أم إسلامياً أم قومياً عربياً؟ الأكثر ترجيحاً أن كل هذه التصنيفات لا تكفي حين إسقاطها على شخصية مخضرمة كالقسام، وغيره الكثير من الشخصيات التي عاصرته، حيث إن الانتماءات السياسية التي يشار لها هي في حدّ ذاتها في حالة تغيّر مستمر.

من نواح عديدة، يحتاج الفلسطينيون إلى القسّام. فقبل عام 1935 لم يكن لأبطالهم المدى الجماهيري ذاته، فلربما كان بإمكان الحاج أمين الحسيني قيادة تظاهرات احتجاجية، لكن علاقته مع الإنكليز أفشلت مجاراته للتطلّعات الفلسطينية على المستوى الوطني. يمكننا المجادلة بأن فؤاد حجازي يمثّل أحد أقرب النماذج لحالة البطولة، وهو أحد المشاركين في تمرّد عام 1929 ومن ثم شنق في عكا، ويبدو أن حجازي نفسه كان يرى موته أمراً مرجحاً، ويُزعم أنه أخبر الشرطي الإنكليزي دوغلاس داف في سجن عكا في الليلة التي سبقت صعوده المشنقة:

«خذ هذه الصورة لي. ستعيش لترى أنها ستزخرف رايات العرب تقودهم إلى النصر وتخرج الإنكليز من فلسطين
لم يكن موتي عاراً
ساظهر الطريق لشبابنا، لقيادتهم في القتال الذي لن يتوقف أبداً حتى طرد آخركم من البلاد»

كان من الممكن للقسام أن يكون عالماً أزهرياً تقليدياً، إلا أنه كان للمرحلة الإصلاحية التي كان يعيشها الأزهر الشريف، وتتلمذه، كما يرجّح المؤرخون لسيرته، على يد العديد من الشخصيات أمثال محمد عبده ورشيد رضا (ممّن عرفوا بـ«المدرسة الأصولية»، وما مثّلته من الدفاع عن الإسلام وجذوره، مقابل «مدرسة التغريب» التي كان يمثّلها أمثال فرح أنطون، ولطفي السيد، المصنفون كأصحاب «المنهج التغريبي») أبعد الأثر في تكوين شخصيته. وينقل الكاتب سميح حمودة عن المؤرخ اليهودي يهوشع بورات، أن القسام كان شديد التأثر برضا الذي أنشأ مدرسة خاصة به خارج الأزهر، وكان يحذّر في مقالاته بمجلة «المنار» من أخطار الصهيونية الهادفة إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين.

وفي هذا الإطار، يشير الكاتب بشير موسى نافع، في دراسة عن القسام تحت عنوان «الشيخ عز الدين القسام، مصلح وقائد ثورة»، نشرتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية عام 2013، حول الالتزام السلفي الإصلاحي للقسام على مستوى الأمة أنه كان «واضحاً، ليس فقط في انتمائه إلى حلقة محمد عبده في الأزهر، إنما في ممارساته وتصريحاته في سوريا وفلسطين(...) لقد طوّر طلاب مدرسة الإصلاح العربي الإسلامي رؤية أكثر ثورية للظرف العربي بعد المصائب وخيبات الأمل التي أعقبت الحرب العالمية الأولى(...) لقد تحولت النظرة إلى الغرب الذي كان يعتبر مصدر إلهام لدى الفلسطينيين، أمّا لماذا لم ينضو بشكل علني فيها، ولماذا لم يختر طريقة النضال السياسي، فهذا يعود إلى منهجه الثوري... والإصلاحي.

الرؤية الإصلاحية على مستوى الأمة والفرد

كان من الممكن للقسام أن يكون عالماً أزهرياً تقليدياً، إلا أنه كان للمرحلة الإصلاحية التي كان يعيشها الأزهر الشريف، وتتلمذه، كما يرجّح المؤرخون لسيرته، على يد العديد من الشخصيات أمثال محمد عبده ورشيد رضا (ممّن عرفوا بـ«المدرسة الأصولية»، وما مثّلته من الدفاع عن الإسلام وجذوره، مقابل «مدرسة التغريب» التي كان يمثّلها أمثال فرح أنطون، ولطفي السيد، المصنفون كأصحاب «المنهج التغريبي») أبعد الأثر في تكوين شخصيته. وينقل الكاتب سميح حمودة عن المؤرخ اليهودي يهوشع بورات، أن القسام كان شديد التأثر برضا الذي أنشأ مدرسة خاصة به خارج الأزهر، وكان يحذّر في مقالاته بمجلة «المنار» من أخطار الصهيونية الهادفة إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين.

وفي هذا الإطار، يشير الكاتب بشير موسى نافع، في دراسة عن القسام تحت عنوان «الشيخ عز الدين القسام، مصلح وقائد ثورة»، نشرتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية عام 2013، حول الالتزام السلفي الإصلاحي للقسام على مستوى الأمة أنه كان «واضحاً، ليس فقط في انتمائه إلى حلقة محمد عبده في الأزهر، إنما في ممارساته وتصريحاته في سوريا وفلسطين(...) لقد طوّر طلاب مدرسة الإصلاح العربي الإسلامي رؤية أكثر ثورية للظرف العربي بعد المصائب وخيبات الأمل التي أعقبت الحرب العالمية الأولى(...) لقد تحولت النظرة إلى الغرب الذي كان يعتبر مصدر إلهام لدى محمد عبده ورشيد رضا وجمال القاسمي(...) حيث أصبح ينظر إليه كعدو إمبريالي يناهض وحدة العرب واستقلالهم، ويهدد حرمة خصوصية تاريخهم ودينهم».

هذا المنهج الإصلاحي نقله الشيخ إلى فلسطين، عبر الدعوة للعودة إلى «تعاليم السلف الصالح، منذراً بالاختلاف، ومنذراً قومه بعواقب الشقاق والتمزّق». وكان من اللافت فعلاً اهتمامه بمدارس محو الأمية في سوريا وفلسطين، وإن دل هذا على شيء، فهو يدل على نظرة ثاقبة إلى رفع مستوى الوعي في المجتمع. فبالرغم من خطورة المشروع الصهيوني وتداعياته على فلسطين، وتصدّي القسام له وصولاً إلى استشهاده، فإن عملية الإصلاح المجتمعي في نظره لا تقل ضراوة عن الصراع مع المشروع الصهيوني.

التف حول القسام بعض ممن كان لديهم سوابق في الإجرام، وتواصل من خلال «جمعية الشبان المسلمين» التي ترأسها مع مختلف توجهات الشباب المتدينين وغير المتدينين، ذلك أنه كان يرى أن إصلاحهم أولى من إصلاح غيرهم، ويمكن للأمة أن تستفيد منهم، تستطيع تلمس ذلك من خلال ما ذكره المؤرخ أمين سعيد، وهو ممن عاصر القسام، عن من سمّاهم مريدي الشيخ: «إن الشيخ لم يذهب إلى الميدان وحيداً، وإنما ذهب على رأس طائفة من مريديه واتباعه الذين اصطفاهم وعلمهم، وهذّب ونقّى نفوسهم من الأدران والشوائب، فتذوقوا لذة الإيمان الحقيقي».

البُعد الثوري: أولوية فقه المواجهة وعدم الانتظار

لا يقتصر دور القسام على النهج الثوري لمواجهة المحتل، بل ما ميّز حركته هو بُعد نظره، وإدراكه لمرامي المشروع الغربي في المنطقة، فلقد واجه الفرنسيين في سوريا، وحاول مواجهة الإيطاليين في ليبيا، وجمع كما يذكر المؤرخون 250 مناضلاً، وتواصل مع العثمانيين، للوصول إلى طرابلس، إلا أن جهوده لم تكلل بالنجاح. لقد شاهد وعاين احتلالات المنطقة العربية من الغرب الاستعماري، وأدرك منذ البداية مخاطر المشروع الصهيوني، ولقد بذل جهوداً كبيرة في معركة الوعي في مسجد الاستقلال في حيفا، وفي مدرسة البرج التي عمل فيها مدرساً، وفي «جمعية الشبان المسلمين» في التحريض على مواجهة المشروع البريطاني والصهيوني.

لقد مثّلت حركة القسام الفكرية والثورية النضالية، اتجاهاً معاكساً لما كان سائداً من توجهات النخبة الفلسطينية في السعي المستمر للمسار السياسي والديبلوماسي مع البريطانيين، رغم الأكلاف الباهظة، ووضوح المشروع البريطاني في دعم وطن قومي لليهود في فلسطين، فجاءت حركته، كأوّل حركة تعتمد المواجهة المسلحة مع البريطانيين، «فهي أصل الداء»، ولتكسر هذا النمط من التفكير، أي انتظار البريطانيين لإنصاف الشعب الفلسطيني. ألقى بالملائمة على هذا المسار، كما ذكرت مصادر عدة: «إن الحركة الوطنية لا تستطيع الثقة بالإنكليز مجدداً بعد تجربة الهاشميين في مكة وبغداد(...) ولا يستطيع المؤمن أن يحاور المستعمر لنيل حقوقه بالإقناع، لأنه يجب أن لا يصدقه، ولا أن يكون صادقاً معه، وفي الحالتين، فقد تحول الهاشميون من رواد ثورة إلى خدم لهم، لأنهم اعتمدوا هذا السبيل».

ولئن اختلف الباحثون فيما إذا أدّت ثورة القسام إلى ثورة عام 1936، أو أن الظروف التي كانت سائدة أوصلت لقناعة بمواجهة البريطاني، إلا أنه على أقل تقدير ساهم في تسريع هذه المواجهة مع البريطانيين، إلى جانب الصهاينة، في وقت كانت فيه المواجهة مع الصهيونية فقط.

بوصلة الجهاد مقاوماً وشهيداً

سعيد الكرملي

يختصر الشيخ المجاهد عز الدين القسام قولاً وعملاً ما ينبغي أن يُقال وأن يُعمل. ليس في المرحلة التي عاشها فقط، بل يمكن القول إن تجربته في مقاومة المحتل تشكل بوصلة المسار الصحيح لهذه المقاومة، منذ أن وضع المحتلون بلادنا في سلّة أطماعهم، وحتى اليوم.

سيرة مجاهد كبير

ولد الشيخ محمد عز الدين القسام في مدينة جبلة السورية عام 1883. درس على يد والده العلوم الشرعية، وأنهى تعليمه في الأزهر عام 1909، وعاد إلى مسقط رأسه. بدأ دور القسام في العمل الجهادي، مع الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911، فقام بتجنيد الشباب السوري لمؤازرة المجاهدين في ليبيا، وجمع المال والمؤن لسد حاجات المتطوعين وأسرهم. وتقول بعض المصادر إنه ذهب سراً إلى هناك والتقى المجاهد عمر المختار.

مع بداية الاحتلال الفرنسي لسوريا، كان من المبادرين للدعوة إلى رفع السلاح في مواجهته، وقام بتدريب المتطوعين مستفيداً من خدمته العسكرية في الجيش العثماني. وقد أسس من بينهم «العصبة القسامية»، التي نشطت عسكرياً ضد الاحتلال، ليُصدر عليه وعلى عدد من رفاقه حكماً بالإعدام.

انتقل القسام إلى فلسطين عام 1920، وهناك عاود تشكيل «العصبة القسامية» ضد القوات البريطانية. وعملت العصبة بشكل سري وقامت بعمليات عسكرية، قبل أن تنتقل إلى الجهاد العلني عام 1935، على وقع تدفق الهجرات اليهودية بمساعدة وحماية سلطات الانتداب البريطاني، على الرغم من أن القسام وعصبته لم يكونوا قد أتموا استعداداتهم لخوض هذه المرحلة.

اتجه القسام مع نفر من أبناء العصبة إلى قرية يعبد. وهناك، خاضوا مع البريطانيين معركة غير متكافئة، استمرت نحو 6 ساعات. رفض القسام وعصبته الاستسلام على الرغم من تفوق الأعداء عدداً وعدة، ونادى في أصحابه: موتوا شهداء، فاستشهد مع ثلاثة من رفاقه وجرح واعتقل الباقون.

دفن جثمان الشهيد القسام في قرية بلد الشيخ القريبة من مدينة حيفا، وكان لنبأ استشهاده وقع كبير، فعمّ إضراب شامل، وخرج في وداعه آلاف الفلسطينيين متحدّين الشروط التي وضعها البريطانيون لتقييد المشاركة في تشييعه. ويجمع باحثون على أن لتجربة القسام الجهادية واستشهاده دوراً كبيراً في اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى بين عامَي 1936 - 1939. وفي ذلك يقول المؤرخ الفلسطيني عبد الوهاب الكيالي في كتابه «تاريخ فلسطين»: «كان لاستشهاد القسام البطولي أثر عميق في فلسطين كلها، وسرعان ما أصبح رمزاً للتضحية والفداء».

وعي متقدم وخطاب جامع

تعبّر تجربة الشيخ القسام الجهادية والدعوية عن نضوج وتطور شخصية صاحبها، وعياً ومسلكاً، في مرحلة من أصعب المراحل التي عاشتها منطقتنا العربية، في ظل مشهدين: تهالك الإمبراطورية العثمانية ومن ثم اندثارها، وفي ذيولها كل المآسي والويلات التي لحقت بأهلها منذ سطوة «الإنكشارية» حتى مواكب الموت في «السفر برلك». ومشهد جحافل الجيوش الغربية المتهالكة على وراثة الدولة الغابرة ونحن من متاعها وأملاكها.

بين هذين المشهدين، يسجل لتجربة القسام تحديها للأمر الواقع وسعيها إلى تغييره على الرغم من قلة الإمكانات وغياب الدعم. كما يسجل للشيخ المجاهد كثير من المزايا، ربما أبرزها:

- أدرك مبكراً أن جهات الاحتلال، مهما تعددت، هي جبهة عدوان واحدة تتقاسم المهمة ذاتها في النهب والاستغلال وكسر إرادة الشعوب. لذلك، ليس غريباً أنه واجه الانتدابين الفرنسي والبريطاني في سوريا وفلسطين ورأى فيهما احتلالاً مباشراً، كما واجه الغزو الإيطالي لليبيا منذ أول لحظة، ووقف محذراً من تنامي الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنبهاً من دور الغرب الاستعماري في تشجيع هذه الهجرة، منذ ما قبل «وعد بلفور».

- وضع، كداعية إسلامي، الدين في معجمه الصحيح، عندما قال من على منبر المسجد: «لا إيمان لمن رضي بالخنوع، واستكان للظلم، واستعذب عبودية البشر»، وقد دعا إلى محاربة الفقر والظلم، وإلى تعاون ضحاياهما وتكافلهم من أجل خلاصهم. وكان من الطبيعي أن يقف الإقطاعيون ضده ويقومون بالتحريض عليه، ووصل الأمر بهم إلى الطلب من السلطات العثمانية نفيه إلى الأراضي التركية للتخلص من أفكاره.

- قام بدور القائد المسؤول دون «مغانم» الزعامة. جاهد فقيراً واستشهد كذلك. لم يعش متكسّباً من موقعه الديني أو الجهادي، بل أنفق على أسرته من كدّ عمله. وعندما لم يجد معه ما يكفي لشراء سلاحه، باع منزله. وقام بدور المقاوم الميداني دون الوقوف على تخوم التحريض على الثورة. ومع أنه كان يحضّ على المقاومة، كان حريصاً في الوقت نفسه على سلامة رفاقه وأمنهم، فحصر اتصاله بهم بعلاقة «خيطية»، إذ يلتقي كلٌ منهم على حدة، حتى لا ينكشف أمرهم في سياق الإعداد للمواجهة.

- تجاوز معادلات موازين القوى التي تحكم عادة المتصارعين في الحروب. وهو هنا لم يندفع نحو المغامرة والتضحية بمن معه، لأنه منذ بداية تجربته الجهادية، اعتمد مبدأ «أن تقدم ما تستطيع خير من الصراخ في الهواء». لقد سعى في تحذيره من المخاطر الكبرى لأن يطلق جرس الإنذار لمن لا يزالون تحت تأثير الضعف وقلّة الحيلة، وقد نجح باستشهاده في أن يعلي صوت هذا الجرس إلى أعلى مداياته.

مواد أخرى على الموقع

الأخبار
al-akhbar
السبت 19 تشرين الثاني 2022 العدد 4782

مرآة الذاكرة

زافين قيومجيان بين بيروتَيْن... كيف ما كنت بحبّك!

«كيف ما كنت بحبّك». قد يوضع هذا الجزء من أغنية فيروز الشهيرة «بحبّك يا لبنان» في إطار الكليشيهات عن حبّ الأوطان، غير أنّ زافين قيومجيان أرادها عنواناً لكتابه المصوّر الصادر حديثاً عن دار «هاشيت أنطوان» لما لها من ارتباط وثيق بفحواه. في الكتاب الذي يحمل بالإنكليزية اسم Beirut, Guilty Pleasures، يوثّق الإعلامي زافين قيومجيان والمصوّر علي شحادي «نهضة وسقوط معالم بيروتية عريقة عدّة قبل، خلال، وبعد الحرب الأهلية اللبنانية في السبعينيات، وحتى ثورة 17 تشرين الأوّل 2019 وامتداداً إلى ما بعد انفجار مرفأ بيروت في 4 آب (أغسطس) 2020 وحقبة فيروس كورونا».

يتتبّع قيومجيان وشحادي خريطة العاصمة اللبنانية بطريقة دائرية، تبدأ من أهراءات مرفأ بيروت وتمرّ بمبنى «لوريان» وفندقَيْ «سان جورج» و«هوليداي إن» بالإضافة إلى «برج المرّ» والـ «تياترو» ونصب ساحة الشهداء وقبضة «الثورة» و«البيضة» وغرافيتي «التواصل» و«بيت بيروت» وانتهاءً بـ«المتحف الوطني».

منطقة التماس هذه شهدت أيّام بيروت «الذهبية» في الزمن الجميل وخرّبتها الحرب. شرّحها الكتاب إلى صور غنيّة ونادرة تعود إلى بدايات القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين وما بينهما. يكتسب هذا العمل قيمة إضافية تتمثّل في تفاصيل كواليس هذه الأبنية والمعلومات «غير المتوقّعة» عن كلّ منها.

صحيح أنّ زافين يأخذ القارئ هنا في جولة على بيروت «المكسورة»، لكنّه يؤكّد أنّ الهدف منه ليس «البكاء أو الترحّم أو تسجيل المواقف السياسية، وإنّما الاتعاظ من النصب الحيّة الباقية من الحرب الأهلية والسنوات السوداء المرتبطة بها».

«بيروت العاصمة جزء من ذاكرتي وطفولتي. هي ليست مجرّد مدينة، بل عاصمة وروح لبنان ومركزه»، يقول لنا صاحب كتاب «لبنان فلبنان» (Lebanon Shot Twice).

ويضيف: «بالنسبة إلى جيلي، هناك بيروتان: الأولى المحطّمة، والثاني المتمثّلة في وسط بيروت حيث نُفّذ مشروع سوليدير... في ثقافتنا هناك دائماً قبل وبعد... ذاكرتي عالقة في هذه المدينة بين هاتين الفترتين، لكنّني اكتشفت مدينة جديدة. إنّها رقعة من بيروت قائمة على ناطحات السحاب. مدينة جديدة للجيل الجديد والصناعات والتكنولوجيا الجديدة، تحاول تقليد دبي... هذه البقعة تشكّل هويّة المدينة الجديدة!». يؤكّد مقدّم برنامج «سيرة وانفتحت» أنّه ولدت لديه رغبة في استكشاف هذه المدينة الجديدة، خصوصاً أنّ هذا التحوّل يجري اليوم في «مدينة مكسورة وفي ظلال جدران تشكّل معالم حقيقية للحرب».

هكذا، اختار زافين التركيز على 12 مبنى «عالقة في الزمان والمكان، عبارة عن نتوءات في الذاكرة كأنّها جدران تعيق تطوّر المدينة، ولكنّها تتطوّر في الوقت نفسه، بالنسبة إلى السيّاح انطلاقاً من التوجّه نحو بورنوغرافيا الخراب». وفعل قيومجيان ذلك مدفوعاً بإيمان بأنّ «تاريخ المدن الحيّة في ندوبها».

الهوية بنظر صاحب «أسعد الله مساءكم» ليست ثابتة بل «متغيّرة لأن الناس والحياة يصنعون هوية المدن».

في هذا الإطار، يشدّد على أنّ «ما ألاحظه وأرغب في قوله من خلال هذا الكتاب أنّ هذه البيروتات ليست متعارضة بل متكاملة. وما يميّزني عن غيري أنّني أحبّها كلّها بكل ما فيها من تناقضات... ليست للجدران آذان لكن لها ذاكرة، وهذا كلّه جزء من الذاكرة».

وبما أنّ لبنان خسر رهان أن يكون «رسالة» (كما وصفها البابا يوحنّا بولس الثاني)، فلمَ لا تكون بيروت «درساً»؟ درس في «ما تفعل لإنتاج بلد أو حلم فاشل... كتالوغ خيبة البلدان مثلاً».

الإعلامي الذي يحضّر لعودته إلى الشاشة الصغيرة قريباً، لن يوقف إنجاز هذا النوع من الكتب «لأنّها هوايتي، ولديّ مشروع لتحويل «كيف ما كتب بحبّك» إلى عمل تلفزيوني أُعلن عن تفاصيله لاحقاً». ويختم بالقول: «أسوأ الكتب هي تلك التي تنتهي بسؤال. هنا ألف سؤال وسؤال... ومدينة كبيرة تطارد أشباحها الصغيرة مع كلّ مغيب شمس وإشراقة صباح... مدينة لا تنام، لا تموت، لا تنسى».

المفكرة

وصار لكفرشيما متحف

■ برعاية وزير الثقافة القاضي محمد وسام المرتضى وحضور وزير الدفاع موريس سليم، ينظّم مجلس بلدية كفرشيما احتفال افتتاح «متحف كفرشيما» التاريخي والثقافي والفني في 25 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي. النشاط الذي تقدّمه الإعلامية أنجليك مونّس (الصورة)، تتخلله كلمة لرئيس البلدية المحامي وسيم الرجّي وأخرى لوزير الثقافة، قبل أن يحين موعد افتتاح المتحف والجولة في داخله.

افتتاح «متحف كفرشيما»: الجمعة 25 تشرين الثاني 2022 . الساعة الرابعة بعد الظهر . مبنى بلدية كفرشيما القديم (قضاء بعبدا).

تحية إلى إتيل عدنان

■ في مناسبة الذكرى الأولى لرحيل إيتل عدنان (1925 ـ 2021/ الصورة) يدعو أصدقاء الشاعرة والرسّامة غداً الأحد إلى المشاركة في أمسية شعرية تُقام تكريماً لها في فضاء «برزخ» الثقافي في الحمرا (بيروت). وتتخلّل النشاط المرتقب كلمات وقراءات

شعرية. في مثل هذا الوقت من السنة الماضي، أغمضت عدنان عينيها إلى الأبد في باريس عن ستة وتسعين عاماً، منهيةً إحدى أغنى التجارب الشعرية والفنية في العالم العربي والعالم، بتنوّعها بين الشعر والفن التشكيلي والصحافة والفلسفة.

أمسية شعرية تكريماً لإيتل عدنان: غداً الأحد . الساعة السابعة مساءً . «برزخ» (الحمرا . بيروت). الدعوة عامة. للاستعلام: 78/909472

رنا روضة... «تجذّر» في بيروت

■ يواصل معرض Rooting (تجذّر) للفنانة رنا

روضة (1961 ـ الصورة) استقبال الزوّار لغاية 26 تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي في قاعة الشيخ زايد للمعارض في مبنى الصفدي للفنون الجميلة في حرم «الجامعة اللبنانية الأميركية» في قريطم (بيروت). التشكيلية المولودة في العاصمة اللبنانية، درست الفنون الجميلة في الـ LAU، قبل أن تتخرّج عام 1983 ثم تتابع دراستها في «كلية كوركوران للفنون» في واشنطن، وفي فيرجينيا، وفي نيو مكسيكو. قدّمت أعمالها في بلدان عدّة، منها إيطاليا وفرنسا وإنكلترا وسويسرا، كما أنّها حاصلة على جوائز عدّة. قال عن لوحاتها الناقد ماركو تونيللي إنّها «تميل بشكل لا لبس فيه نحو خط دقيق وهش، حيث تحوّل الفنانة رؤيتها الداخلية إلى مادة مستقلة وحساسة للغاية، مع تداعيات وتطلّعات روحانية واضحة».

معرض Rooting: لغاية السبت 26 تشرين الثاني 2022 . قاعة الشيخ زايد للمعارض في مبنى الصفدي للفنون الجميلة في حرم «الجامعة اللبنانية الأميركية» (قريطم . بيروت). للاستعلام: soas.lau.edu.lb

تحية لـ «سلطان الطرب»

■ قبل مدّة، أجرى الفنان زياد سحّاب مجموعة من الاختبارات لهواة في الغناء وفي باله مشروع محدّد: تقديم أمسية مخصّصة لريبرتوار جورج وسّوف (الصورة). من بين المتقدّمين إلى الاختبار، حاز صوت الشاب رفيق عبّود إعجاب زياد وثقته بقدرته على إنجاز هذه المهمّة تنفيذاً وإحساساً. في الأشهر الأخيرة، يركّز عازف العود والمغنّي النشيط اهتمامه على استعادة الريبرتوار الطربي، المصري بشكل أساسي، لرموز هذا الفن الراحلين، بهدف إحياء ذكراهم وتعريف الجيل الجديد على أعمال تستحق عدم الموت، أقله في البيئة التي وُلِدَت فيها. يفعل ذلك على حساب إنتاجه الخاص، إذ يهمّش أغانيه الكثيرة التي كتبها و/ أو لحّنها خلال مسيرته، لصالح الإرث الذي تأثر به منذ صغره. الجديد اليوم هو تقديمه تحية لرمز حيّ من رموز الأغنية الشعبية الطربية: «سلطان الطرب». برنامج الأمسية مقسوم إلى قسمين، والجزء الأكبر منه محجوز لقديم «أبي وديع»، أي بين بداياته والتسعينيات. باقة من 14 أغنية، بين الطربي الشعبي والشعبي الخفيف، يؤديها رفيق عبّود، مثل «لو نَويت» و«حلف القمر» و«ليل العاشقين» و«بتعاتبني» و«الهوى

سلطان» و«يلي تاعبنا» و«جرحونا» و«دبنا عَ غيابك» و«روحي يا نسمة» و«كلام الناس» و«حبيبي كده» و«لو يواعدني الهوى» وغيرها. أما الفرقة الموسيقية، فتضمّ إلى زياد سحّاب (عود)، كلّاً من: خليل البابا (كمان)، هادي عيسى (أكورديون)، نديم بو أنطون (كيبوردز)، شارلي فاضل (درامز) ونادر مرقص (إيقاعات).

«تحية إلى جورج وسّوف»: غداً الأحد . الساعة التاسعة مساءً . NOW Beirut (شارع سليم بسترس . الأشرفية). للاستعلام: 01/211122

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 19 تشرين الثاني 2022
العدد 4782 السنة السابعة عشرة
Samedi 19 Novembre 2022 nº 4782 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

آلهة وشياطين

روزيلينا راميستيلا، «بدون عنوان» (2019)

مونديال 2022

الساحرة المستديرة تحيّر الشعراء والكتّاب: طقوس شغف وجنون وإدمان

إنها الساحرة المستديرة؛ لها طقوسها من الشغف والجنون واللمسات التي تحبس الأنفاس. وأبطالها وقديسوها وشياطينها من الحفاة الذين يخرجون من أكواخ الصفيح، فيسلبون الألباب بمهاراتهم ورقصاتهم وهم يداعبونها بأقدامهم ويغزون العواصم، إلى المنضبطين في ارقى المدارس الكروية ومن يلعبون بأناقة الجرّاح او صائغ الألماس؛ عشقتها الشعوب قاطبة وانتشرت تقاليدها وطقوسها في كل أصقاع الأرض. واحبّها الفنانون والأدباء والشعراء ولو استنكر بعضهم ان تجري مجموعة من البشر خلف كرة صغيرة كما لو مسّهم الجنّ. وأصبغت الشعوب القابها المحبّبة على منتخباتها المفضلة، من الماكينات الألمانية إلى الديوك الفرنسيين فمنتخب السامبا البرازيلي او التانغو الارجنتيني. صار لاعبوها رموزاً وابطالاً قبل ان تحولهم العولمة إلى ارقام في بورصة المضاربات ومصدراً للدخل القومي وعلامات تجارية للعولمة، من الجوهرة السوداء بيليه إلى الهولندي الطائر يوهان كرويف، والفرنسي ميشال بلاتيني والشخصية الأكثر إشكالية في تاريخ كرة القدم الحديث، الارجنتيني دييغو مارادونا الذي قال عنه الكاتب ادواردو غاليانو: «هذا المعبود كان قادراً ان يجترح في خمس دقائق الهدفين الأشد تناقضاً في تاريخ كرة القدم كله. ومحبوه كانوا يقرونه للهدفين: لم يكن جديراً بالإعجاب هدف الفنان فحسب. الموشّى بشيطنة ساقيه. وإنما كذلك، وربما أكثر، هدف اللص الذي سرقته يده.

لم يكن مارادونا معبوداً بسبب بهلوانياته فحسب. وإنما لأنه كان إلهاً قذراً أشد الآلهة بشرية». استطلعنا في «كلمات» آراء كوكبة من الأدباء في العالم العربي حول المونديال الذي يطل علينا في أول نسخة عربية غداة من الدوحة، وعن العلاقة بين الأدب والكرة في طقوسها ومهرجاناتها وفرحها وحزنها، وما تركت فيهم اللعبة الأكثر شعبية من انطباعات وذكريات

تقديم محمد ناصر الدين

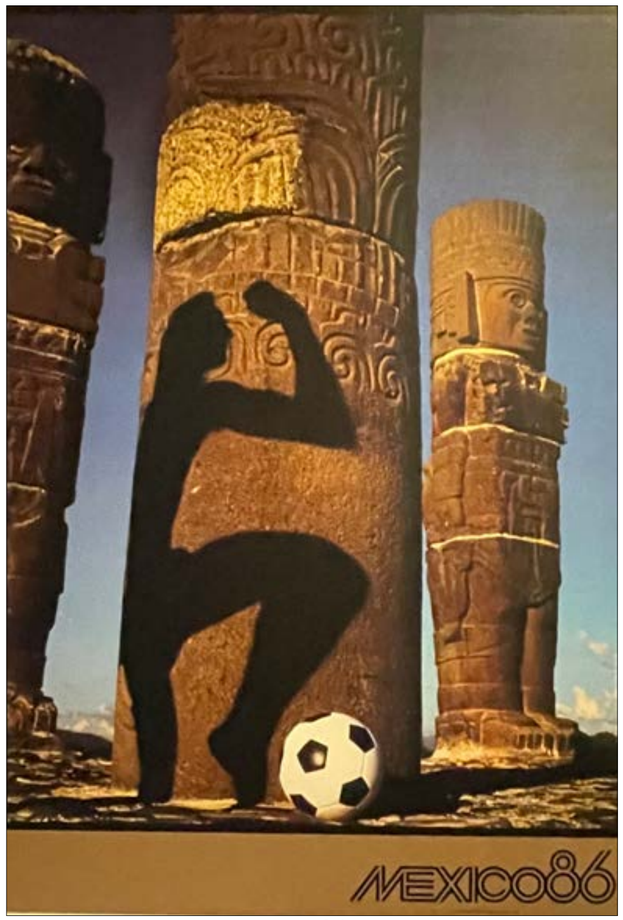

ملصق المونديال عام 1986

◄ على الشعراء ان يحتوها

هاني نديم (شاعر سوري)

يمكنني التمييز بين فئتين من المثقفين تجاه كرة القدم، فئة تتعالى عن فكرة اللحاق بكرة مطاطية على حد زعمهم، وما تلاها من تكريس نجوم لا فكر حقيقياً لهم إلا باقدامهم، وفئة أخرى يلهمها هذا الفن بوصفه إحدى المفردات الأصيلة اليوم في تكوين الكوكب، مفردة لا يمكن الفرار من مواجهتها يومياً بشكل مباشر أو غير مباشر.

بالنسبة إليّ؛ علاقتي بدأت فاترة مع كرة القدم لأنّي أحب ألعاب القوة من ملاكمة وجودو ومصارعة، وهي ميول تجبّ التنبّه إلى كرة القدم بوصفها رياضة لغير القادرين على القتال! إلا أنني اخترقت بعد كتابتي تحقيقاً استقصائياً عن مارادونا في نابولي، بعد زيارة أماكنه التي أصبحت مقدّسة يحجّ إليها المتدينون والملحدون على حدٍّ سواء، يشعلون الشموع ويبكون ويتضرعون باسمه... بدأت أنتبّه إلى مدرجات كرة القدم لا إلى ملاعبها، إلى شعارات الفرق الموسومة على قمصانهم لا إلى تكنيكهم الفني. سحرتني تلك الهوامش البديعة، قصص أغنيات الفرق، تاسيسها، قتالها وحروبها ومنافساتها وثاراتها الخفية في ما بينها وتراكم التاريخ وتجذّره في كل تفصيل من تفاصيل اللعبة. قرأت ما كتبه المثقفون حول الفوتبول وما قدّموه من مقاربات ثقافية وإحالات تاريخية هامة للغاية، وخاصة غاليانو الذي ترك ملاحظات بديعة في كتابه «كرة القدم بين الشمس والظل»، ولكنه ترك ملاحظات سوسيولوجية في غاية العمق عن اللعبة في كتابه الضخم الفخم الذي أرّخ فيه لأميركا الجنوبية «ذاكرة النار». يبدو أن على الشعراء أن يحبوا كرة القدم، ذلك لأنها تتحرك بذات آلية الشعر والكتابة. كما أنك ستجد فيها النثر والتفعيلة والعمود، والشعراء الذئاب إلى جانب شعراء البلاط.

◄ قفزة من أجل مارادونا

محمد خير (روائي وشاعر مصري)

لا أستطيع أن أجزم؛ هل كان المشهد حقيقة رأيتها بعيني؟ أم محض خيال كوّنته من حكايات أبي عن هذا اليوم ـ والهدف ـ الأسطوري؟ كانت صالة البيت مظلمة، لا يضيئها إلا الشعاع الباهت من شاشة تلفزيون منتصف الثمانينيات، وكان أبي، بجرمه الضخم، يجلس محاولاً ألا يصدر أي ضجة في ذلك التوقيت المتأخر. كانت المباريات التي تجري في المكسيك مساء، توافق توقيت الفجر في القاهرة. البيت نائم إلا من الأب في سنوات اهتمامه الأخيرة بكرة القدم، بينما الطفل الذي بدأ يعرف الأرق باكراً جداً، يتسلل في ظلام الصالة مشدوهاً بالمشهد غير المعتاد، مشهد الأب في لحظة نادرة لا تدور حول هذه المرة حول «الشغل»، إنما حول مراقبة هؤلاء اللاعبين الراكضين بجنون خلف الكرة. وهنا يقع الحدث: يحرز مارادونا هدفه الشهير في إنكلترا. ليس هدف «يد الله» الأول، بل الهدف الثاني حين راوغ نصف الفريق الإنكليزي وحارس المرمى وسجّل الانتصار. هنا، قفز الأب، بجسده الهائل، إلى السقف، كأنه قفز إلى السماء، «لمسْ السقف بيدي» ظل الأب يحكي لسنوات، معبراً عن انفعاله بالهدف الذي قهر الإنكليز، الذين كان احتلالهم لا يزال قابعاً في مصر حين وُلد، وحين دخل المدرسة. لم يكن مجرد رجل في منتصف العمر يشاهد مباراة كرة قدم، فقد كان أيضاً الأب اليساري، القومي، المعادي للإمبريالية، وفي القلب منها بريطانيا، المحب ـ ككل الشرقيين ـ للكرة الأتينية الجميلة، وهكذا حين سجّل مارادونا هدفه منتصراً لكل ذلك، جاءت القفزة، الأسطورية كالهدف نفسه، معبّرةً عن روعة اللعبة وفرحة النصر في آن.

هل رأى الطفل أباه حقاً يقفز حتى لمس السقف؟ هل لمس الأب سقف البيت حقاً؟ على ارتفاع ما يقرب من ثلاثة أمتار؟ لا يستطيع الطفل (ولا حتى عندما صار بالغاً) أن يؤكد ذلك، كان صغيراً آنذاك، ولم يكن يهتم بكرة القدم، ولم يكن يفهم حتى ما هو «كأس العالم» هذا. إنه، ليتذكر بالتأكيد سهرات أبيه الكروية النادرة في فجر تلك الأيام في صيف 1986، يتذكرها لاختلافها عن روتين حياتهم، ويتذكرها أيضاً كبداية خجولة لاهتمامه بالساحرة المستديرة. بعد أيام قليلة، حين سافرت الأسرة إلى المصيف»، وأخذت تشاهد المباراة النهائية على تلفزيون مشوّش الصورة بالقرب من الشاطئ، كان الصغير يشجع الأرجنتين بجنون، سعيداً من أجل مارادونا، ولكن أيضاً، من أجل أبيه أكثر.

◄ مسافر فوق سجّادة الملاعب

فوزي يمين (شاعر لبناني)

صغيراً كنت أنتظر المونديال لأقرّب التلفزيون في بيتنا إلى حيث أجلس وأرفع رجليّ أضعفها فوقه حتى إذا ما راتني أمّي وتساءلت عن السبب، أردفتُ مبتسماً بأنّي أحاول التسلّل إلى داخله وبأنّها يوماً ستتفرّج عليّ. وبالفعل حصل هذا، إذ ما إن كبرتُ قليلاً وأخذتني اللعبة إلى حيث لم أتوقّع، انضممتُ في بداية التسعينيات إلى صفوف المنتخب الوطني وشاركنا في تصفيات آسيا لكأس العالم وتمّ نقل مبارياتنا مباشرة على التلفزيون. كنتُ أتخيّل وأنا مسافر أنقل خطاي فوق سجّادة الملعب، أنّ أمّي تشاهدني في البيت منفرجة الأسارير وغمّازتاها اختدّتان بالاتّساع تصلّي ليوفّقني الله شخصيّاً ولو خسر المنتخب. كنتُ أحلم، كأيّ لاعب، أن ألعب في المونديال، غير أنّنا حينها خسرنا أمام منتخب كوريا الجنوبيّة وعدتُ أدراجي خائباً إلى حارتنا الترابيّة التي ترعرعتُ فيها لأجد العمران قد بدّد ملامحها بالكامل. وكلّ أربع سنوات، يعود إلينا المونديال كعاشق نسي قلبه في مكان موعده الأوّل، فنعود نحن عشّاقه الكثر، لنتواعد حوله، ملتفّين بشغفنا القديم تستعر نيرانه طوال ذاك الشهر. كأنّه كلّما تقدّمنا في العمر، عادت بنا الأيّام إلى سالف عهدها، فلا نجد أنفسنا إلّا وقد أصابتنا من جديد حكّة في جلودنا وسرى مخدّر في عروقنا، نتوتّر، نخرج عن طورنا، نفقد أعصابنا، نمارس شتّى أنواع التمرّك والتزيّد، نكيل الشتائم، نفرّغ ضغط النهارات. وربّما، في حالات الحماس القصوى، يبلغ السيل ذروته ويسيّل دماً، فيهدّد وزير الإعلام بتوقيف بثّ المونديال، ولا يجد المحافظ وسيلة للحؤول دون حصول مواجهات عنفيّة إلّا بإصدار قرار يمنع من خلاله رفع أعلام الدول المشاركة في كأس العالم متذرّعاً بقانون نافذ يجرّم رفع علم غير العلم اللبناني. وكم قوبلت خطوته بتهكّم وسخرية من أغلبيّتنا، حتى إنّ أمّي التي لا تفقه شيئاً بكرة القدم تجيبه من المطبخ وهي تحضّر لنا عصيراً نروي به غللنا ونحن نشاهد المباريات في الصالون، بأنّ العبرة في التنفيذ، وأبي المنبطح تحت سيّارته القديمة أمام البيت محاولاً منع تسرّب الزيت من أحد أسلاكها، يصبح مغتاظاً بأعلى صوته: العلم اللبناني! ادحشّه.

◄ القوي ينبغي الا يخسر

عامر الطيب (شاعر عراقي)

للأدب علاقة بكل ما حوله من أنشطة بشرية، إذ تجتمع تلك الأنشطة على اختلاف بوصلاتها لتشكل عزاءً بشرياً ومدخلاً للعيش بصيغته اليومية أو بصيغته المثالية كمجد إنساني ماثل أو مجد فردي عابر. لعل التشابه بين النشاطين ـ الأدب وكرة القدم ـ وإن لم تكن تلك الإشارة مركزية، فإنها تدلنا إلى تحول الأدب وكرة القدم عبر تاريخهما من نزوع بشري فطري إلى ماراثون منظم ورصيد وطني، إذ يبدو الكاتب واللاعب مسؤولين عن طفولتهما فيحاولان تقديم متعة وإنجاز، وإن كان شخصياً فإنه يخصّ الجميع. وفي المحصلة النهائية، فإن قدم اللاعب وهو ينفرد بمواجهة المرمى تمثل أقدام هؤلاء الذين يودون الفوز أو اللعب مستعيدين طفولتهم العريقة كما يترقب القراء فوز كاتب بجائزة عالمية. كاتب لا يعرفونه شخصياً لكنهم يظنون أنّه يعبّر عما لا يمكنهم قوله أو يمثلهم بعبارة أدق. ما يجمع الأدب وكرة القدم برأيي هو المتعة، أعني مسؤولية إمتاع الآخر. ضمن السياق نفسه، فإن اللعب الجيد والكتابة الجيدة يغفران لصاحبهما خسارة أي ميدالية أو غيابه عن أي تكريم لافت. شخصياً تعود متابعتي لكرة القدم إلى نهايات كأس العالم بين البرازيل وفرنسا سنة 1998 وقد كنت ولي ثمانية أعوام من العمر، أود فوز البرازيل لا لشيء سوى لأن القوي ينبغي ألا يخسر. أصحاب التاريخ أمام أصحاب الجغرافيا، كانت مباراة تاريخية لم أتابع بعدها مباراةً بالشغف والحماس الطفوليين نفسيهما لأجد نفسي لاحقاً متحمساً لقراءة تقرير عن كرة القدم أكثر مما أنا متحمس لمشاهدة مباراة. لكن النزوع ما زال راسخاً. فقدت الشغف بالطبع لكني لم أفقد حُبّ كرة القدم وحُبّ البرازيل، الفريق الذي أتمنى له أن يحصد كأس العالم حتى لو لم يعبرْ دور الثمانية!

◄ يد الله وذراعه

سليم البيك (شاعر وروائي فلسطيني)

بكيت مع الباكين حين أضاع روبيرتو باجيو ضربة الجزاء في المباراة النهائية لمونديال عام 1994، مانحاً الكأس للبرازيل. كنت «إيطالياً» وقتها، بالكاد أبلغ الثانية عشرة من عمري، لكن قيل لي إنّ الإيطاليين أهدوا الكأس لنا، «مين احنا؟»: «الفلسطينيين». كنت أظن قبلها أن كأس العالم الذهبية المشبّعة بالقبل، في مكان ما، في مخيم ما في سوريا. بقيت لسنوات على «إيطاليتي» لأن هؤلاء أهدونا الكأس، وبكيت لباجيو.

بعدها عرفت أن لاعباً أسمر وقصيراً وبشعر مذيّل، همشيرا لاعبناً، ولطيفاً وازعر، وضاحكاً مضحكاً، كأي ابن حارة لأي بيت في المخيم، أنّه غشّ على الإنكليز «العرصات» وأدخل هدفاً بيده في مباراة لم أكن واعياً لأحضرها، عام 1986، تخليت تدريجياً عن تراجيديا باجيو واقترنت من كوميديا مارادونا الذي فاتتني سنوات عزّه في الثمانينيات، واهتديت أخيراً إلى «ارجنتينيتي» (مع اطمئنان بين وقت وآخر على إيطاليا) لأنّ مارادونا يشبهنا، لا باجيو ومالديني. بعدها باعوام قليلة، رأيت وشماً لتشي غيفارا على زند مارادونا، وقبعة كاسترو على رأسه، مع عام 2000، وكانت الانتفاضة الفلسطينية تقتحم العالم. قلت إنّها فعلاً يد الله وذراعه. تخليت عن إيطاليا تماماً مع إقرار بالامتنان للكأس التي أهدونا إياها، وإن لم أعرف متى تحديداً وكيف ولماذا.

تقلّبت الأحوال وزال عنّي أي اهتمام بكرة القدم مع عام 2000. كنت لاعباً ماهراً في طفولتي، في مواقف السيارات في أبو ظبي، وكنت سريعاً، لم يلتقطني رجال الشرطة هناك كلّما أتوا باتصال من أحد المحال التي كسّرت كُرتنا بعضاً من زجاجها. وكنت ماهراً في SEGA، في لعبة «فيفا 94» التي لم أملّ من الفوز فيها. كنت مشروعَ مشجّع كرة قدم أهوج، كغيري. بعد الألفين نفدت. عام 1998 فرحت حين خسرت البرازيل أمام فرنسا لأني بدأت أكتشف مارادونا. ولاأثبت ارجنتينيتي المستجدّة، كان لا بد من تشجيع خصم البرازيل. وفرحت حين فازت البرازيل عام 2002، وقد تكشّفت على «اليسار» في أعوامي الأخيرة، تاريخاً وفنوناً وسياسة، فرحت لأنّ هؤلاء يشبهوننا، وتصالحت مع تشجيع الأرجنتين والبرازيل معاً، لأنّ أسبابي لم تكن يوماً رياضية، لم تكن يوماً رياضية، لأني، لحسن حظي، لم أكن يوماً مشجع كرة قدم نموذجياً. كانت أسبابي كلّها من خارج هذا العالم الذي يجمع، باعجوبة، بين الضجر والضجّة. تطور ذلك كله اليوم ليكون، بعد عقدَين، عدم اكتراث تاماً بالمونديال، وتشجيعاً تقلائياً لأميركا اللاتينية، لأيّ من فرقها، من دون رغبة حتى بمشاهدة المباراة، يكفيني اليوم سماع النتيجة ولو مصادفة، ومن دون السؤال عنها.

◄ أفيون الشعوب المقهورة

عبد الفتاح بن حمّودة (شاعر تونسي)

كنت مولعاً بكرة القدم في الطفولة، لأن اللّعب مع الأقران من أبناء الجيران والأقارب، كان الفرصة الوحيدة لتمضية وقت ممتع بعد العودة من المدرسة. وعندما أعود إلى تلك السنوات تمرّ تلك اللحظات في مخيّلتي كأنها أحلام ورؤى. عندما صرت شابّاً صرت متابعاً للمقابلات من خلال التلفزيون وشاهدت بعض المباريات لفرق صغرى للتشجيع وشاهدت مباراة وحيدة داخل الملعب المعشّب عام 1991 مع ابن عمّتي عبد القادر في تونس العاصمة. لم أكن مولعاً بالمقابلات إلاّ من خلال التلفزيون، وخاصّة عشيّة الأحد لأنه يوم راحة يليه أسبوع شاقّ من الدرّاسة.

أما كأس العالم، فقد تابعتها كثيراً عندما كنت تلميذاً وكنت أحبّ المنتخب الألماني لأنه الوحيد المنضبط في الملعب ويلعب لعباً نظيفاً، ليس فيه اعتداء على المنافسين. لقد مرّ كل شيء وصار من الماضي البعيد، وصرت لا أتابع كأس العالم لأن كرة القدم صارت لعبة مملّة هدفها الإشهار والربح والمال والسباق الجنوني للشركات ووكلاء اللاعبين والبيع والشراء. كرة القدم الآن عبارة عن أفيون للشعوب المقهورة والمضطهدة. لم تعد كرة القدم تعنيني مطلقاً ويكذب من يقول إن كرة القدم فنّ. إنها أشبه بلعبة الحمير والبغال والحيوانات وهي للاستهلاك وللقطعان البشرية العمياء والمريضة والمضطهدة. لاعب كرة قدم الآن هو مجرّد دمية والة لجمع المال لا مقارنة بالموسيقيّ الذي يهبني الحياة.

كرة القدم هي مهنة القطعان والزعاع لا غير. ولاعب كرة قدم لا يساوي فاصلة في أسطر شعراء أمثال سعدي يوسف أو وديع سعادة أو صلاح فائق أو سركون بولص... لعن الله الوقت ورأس المال والدعايات والشركات. كم مرّت ساعات كنت مجبراً فيها على الجلوس في مقاهٍ يتحلّق الناس فيها لمشاهدة مباريات، فاكون خائضاً مع الخائضين. والرأس في مكان آخر: في شوارع مجروحة، في غربة الكائن بين الزعاع والقطعان التي هي في شكل بشر. إن الكأس الحقيقية هي كأس الموت الذي يخطف البشر والأرواح.

ملصق المونديال عام 1954

◄ إدمان بلا طائل

يوسف الخضر (شاعر وروائي سوري)

سئلتُ في طفولتي «من تشجع؟ برشلونة أم ريال مدريد؟»، وُجّه إليّ السؤال طفلٌ من بين مجموعة أطفال في شارع الحمرا في بيروت. كانوا يرتدون قمصاناً بعضها أبيض وبعضها بنفسجي غامق. شردت قليلاً، أنا الطفل القروي الحالم القادم من ريف الحسكة الذي زُجّ فجأة في زحمة بيروت والذي سيكون لاحقاً كاتباً يوهيمياً. كرة القدم آخر ما يمكن أن يثير اهتمامه، وقلت بثقة: ريال مدريد. في الحقيقة، لم أكن أعلم ما الفرق بين الفريقين. لا شيء سوى معرفتي البدائية أنهم أناس يطاردون كرة صغيرة، فيشاهدهم حشد هائل من البشر. قلت «ريال مدريد» بثقة بريئة، لا لشيء سوى أن وقع الجملة بدا لي أفضل من مفردة برشلونة. في طفولتي المبكرة، لعبت كرة القدم في باحة المدرسة، وأذكر أن الأمر كان في غاية الروعة والمتعة، ما جعلني أعتقد أن مشاهدة المباريات قد تكون كذلك ممتعة، لكنني لم أكن إلى حين تلقيت ذلك السؤال، قد جربت الأمر فعلياً. كان لزاماً عليّ أن أفعل، دفعني الفضول -لاحقاً- لخوض التجربة، فقصدت مقهى بيت مباريات كأس العالم. كان ذلك خلال مونديال 2010. ذهبت إلى هناك كمن يذهب للصلاة للمرة الأولى. أخذت أقلد الجميع كي لا أبدو شاذاً، أراقب بحذر وأتفاعل عند اقتراب الكرة من المرمى. وكنت أجفل عند إحراز أي هدف، بسبب الصرخة الجماعية المفاجئة. لم أستمتع، فنهضت قبل نهاية الشوط الأول، لم أستسغ الأمر كما لو أنني كنت أقرأ كتاباً مملاً يتخطى عدد صفحاته الـ 400. فأغلقت الكتاب، أقصد غادرت المقهى، أدرت ظهري ومشيت حانقاً. كانني قلت، لا متعة بالاكتفاء بمشاهدة المتعة نظرياً، فهي شيء يجب أن لا يحسه غيرنا بالنيابة عنّا. وفي طريق العودة إذ تعمقت بالتفكير في الأمر، تبادر إلى ذهني تساؤل عملاق «لماذا بحق الجحيم يسرف البشر كل هذا الوقت والمصاريف على شيء عبثي كهذا في حين أن الحياة مليئة بالمتعة المفيدة كممارسة الرياضة على أرض الواقع أو متابعة الفنون والآداب والعلوم التي من شأنها -عدا كونها ممتعة- تسهم في ارتقاء الحضارة البشرية؟!».

أهو الإدمان؟ أجبت نفسي وبدت لي إجابة منطقية، فغالبية الأشياء المسببة للإدمان هي أشياء غالباً ما تكون ذات منفعة ضئيلة على المستوى الشخصي. وهنا اصطدمت بسؤال آخر كاد ينسف نظريتي المتعلقة بالإدمان، «إذا كنا نحن شعوب دول العالم الثالث ندمن مشاهدة مباريات كرة القدم لتعويض نقص فادح في أنفسنا، فما الذي يدفع شعوب الدول المرفهة لارتكاب الفعل ذاته؟» فخطرت في بالي إجابة أخرى فضفاضة لا يسعني شرحها هنا. لكن يمكن اختصارها بكلمة وبعدة سطور. الكلمة هي «الإدمان» الذي تحدثت عنه قبل قليل، وأما السطور فهي: التكرار، نحن البشر بطبيعتنا نميل إلى الأفعال ذات النمط الروتيني المريح للذهن. الدوري الإنكليزي الممتاز، كأس العرب، كأس أمم أفريقيا، كأس العالم... لكل مصطلح ملف في مخيلة أي متابع لهذه الرياضة، ما إن يسمعه حتى يتبادر إلى ذهنه سيل من المعلومات والذكريات التي تبعث في نفسه شعوراً «أنه على الأقل بارع في شيء ما اعتاده ثم أدمنه». كما ترد الجملة بتصرف في إحدى رسائل فان غوغ. شخصياً منذ أن تلقيت ذلك السؤال في طفولتي وإلى الآن عدا كوني لسبب غير واضح أشجع ريال مدريد، فإنني كذلك مصرّ على أن مشاهدة مباريات كرة القدم كالتدخين، فهي في بداية الأمر فعل بلا مغزى، سرعان ما يتحول إلى إدمان.

في المخيم... تكبر الطابة مع الأحلام

تغريد عبد العال

قد لا تجد لها مكاناً واسعاً بين البيوت والأزقة، لكن ضيق المكان يجعلها تبحث عن أصحابها. هي الصغيرة التي تسقط داخل البيت في الحديقة فجأة، بينما يتوقف الصغار عن اللعب، ليبحثوا مجدداً عنها، أو تسقط عالياً على سطح البيت المجاور فيذهب أحد الصغار ليطرق على باب البيت ويطلب من صاحب البيت أن يصعد إلى السطح ليأخذها. هل هذه أحد تفاصيل اللعبة وقوانينها؟ لا لكنها تحدث في مكان اسمه المخيم. مكان يبحث عن ملعب أوسع، يعرف هؤلاء الأطفال أن خيالهم هو الملعب ويعرفون كل يوم أن الحياة ستمنحهم ملعباً خاصاً ربما أوسع، وأن الكرة الوحيدة المتبقية أمامهم هي المستقبل. لذلك تقفز تلك الكرة بين أوقات فراغهم المسروقة بين المدرسة والبيت وكأنهم حين يركضون خلفها يشعرون أن العالم يلتقت إليهم.

تكبر تلك الطابة مع الأحلام وبين البيوت، لتشاهد ضحكات تختلط بالجدران. هل تعود إلى الوراء، لتشاهد أحلام أطفال آخرين سكنوا هذا المكان؟ أم أنها ستصطدم بالذاكرة لتروي النكبة كما فعلت الأحلام التي كبرت وما زالت تسرد الماضي، لكن الفرح لم يمنعها لكي تمرر الحب إلى ذاك الزقاق البعيد المضيء، حيث يرى الأطفال بيتاً بعيداً بنوه مرة في المخيلة.

هذه الطابة الصغيرة تكبر كل يوم، كلما لامسها طفل المخيم وألقى بها بقوة قدميه إلى مرمى آخر من حجرين صغيرين يضعهما بعيداً، حجران يشبهان تلك الحجارة التي تملأ المخيم بالبيوت، ستمر الطابة إذن من مرمى الإسمنت وقد تتجاوز الإسمنت لتسجل أهدافاً أخرى، كأنّها تقول كما يقول ذاك الطفل الصغير: أريد أن ألعب. تحمل هذه الطابة لغتها الخاصة وتقول ما تريد في عالم لا يتسع لها، تطير أحياناً في الفضاء، كأن حكايتها الأخرى أكثر قوة، فهي اللعبة التي تقول أشياء كثيرة بصمت، كأن الطفل الذي يسمي نفسه ميسي أو رونالدو، يعلم جيداً أنه في مخيم لكنه لا ينسى أيضاً أن الكرة ستحفظ ركلته واسمه الحقيقي وأنها ستنسى المكان وتأخذه يوماً بعيداً ليلحق بها، فلا تعلق عند الجيران بل في ملعب آخر لونه أخضر ولا تحيط به البيوت، عندها سيناديني على أصدقائه بصوت عال. تعالوا تعالوا....

في الأزقة أيضاً، يسمع الأطفال صدى صرخات اللاعبين في التلفزيون. فيدخل العالم إلى هذا المكان. ليس كما يمد رأسه في الحروب، إنه يدخل هذه المرة بهذه الكرة فيهتف الأطفال للبرازيل وألمانيا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا. ليقلد الأطفال أجمل الأهداف وقصّات شعر اللاعبين وربما يسقط سؤال أحدهم لأبيه أو لأمه: هل إسبانيا معنا؟

قد يهاجر هؤلاء الصغار حين يكبرون إلى ألمانيا وإسبانيا وإيطاليا ليلحقوا بمستقبلهم ويتركون تلك الطابة في المخيم تنتظر، قد تصبح في أيدي أطفال آخرين أو تنتظر حتى يبني العالم لهم ملعباً، وكلما صارت الكرة قوية وكبيرة، اصطدمت بالكثير من العقبات، ربما لأن أصحابها أيضاً يكبرون وربما لأن الأحلام التي تكبر تظل تبحث عن ملاعب وساحات لكي تقفز بحرونة وتسقط بنعومة بين يدي لاعب ماهر. في المخيم، لا وقت لدى الكرة لتشتبك بأشياء كثيرة، فهي مشغولة بأحلامها، إنها تظل على موعد مؤجل مع ملعب يتسع كل يوم في الخيال، كأنها تريد أن تقفز فوق الآلام وترسم ضحكة ليست افتراضية بل حقيقية، فكلما مرت فوق حبل غسيل هناك وانسحت ملابس طفل سيذهب بها إلى المدرسة. لكن الأحلام التي تولد في هذا المكان، ستظل مثل الكرات الملونة التي تتيه في الطرقات لكنها تصل إلى مكانها الحقيقي.

مونديال 2022

عن السحر الجماعي الذي لم يحلّ لغزه أحد!

خليل صويلح

تعثّرتُ بصخرة نائتة في ملعب المدرسة الرثّ، فجُرحت ركبتي، وخرجت مهزوماً من المباراة الأولى، ولم أعد إلى الملعب ثانية، كما أنني لست من أولئك الذين يصابون بحمّى الفرجة على مباريات كرة القدم، حتى أنني أهجر مقهاي المفضّل أثناء عرض مباراة ما، مستغرباً حماسة الغوغاء لفريق ما لدرجة العراك بين المشجعين، فما بالك بالقفز عن الكرسي مصفّقاً بجنون لهدف في مرمى الخصم، أنا الذي بالكاد يصفّق لفرقة مسرحية في نهاية عرض إحدى التراجيديات الكلاسيكية. ما يخفف وطأة هذه النهاية الرياضية المحزنة أن روائياً من وزن غارسيا ماركيز تعرّض لضربة موجعة في بطنه أثناء محاولته صدّ كرة نارية في مرمى فريقه، فغادر الملعب إلى الأبد، على غرار ما فعله البير كامو الذي كان حارساً لمرمى نادي وهران. ساجد صالتي لاحقاً بروائيين وفلاسفة ومفكرين نظروا إلى لعبة كرة القدم بازدراء بوصفها ضرباً من الخبل وتفكيراً بالأقدام لا العقول، كما سيجد فيها آخرون فرصة ثمينة لتفكيك الهوس بالكرة، وتشبيه الملعب واللاعبين بفضاء سردي موازٍ لما يحدث في ملعب الرواية لجهة صناعة الحبكة ومصائر الشخصيات وتحقيق اللذة القصوى بإحراز هدف سردي ما، وفحص هياج لاعب وخيبة آخر، وانتصار ثالث.

هكذا اعتبر بازوليني اللعبة حالة شبقية تضاهي شبقية الجنس، فيما لخّص محمود درويش هذه الحمّى بـ «البارود العاطفي»، و«السحر الجماعي الذي لم يحل لغزه الشائع أحد». وسيخصص بورتريه لأسطورة كرة القدم الأرجنتيني ديبغو أرمانـدو مارادونا بقولة «لن يجدوا دماً في عروقه بل وقود الصواريخ». كما سيرصد بيتر هاندكه «ذعر الحارس أمام ضربة الجزاء»، مستدرجاً حالة الترقّب والخوف والأدرينالين، والخشية من إثارة غضب الجمهور والفريق في آن واحد. سنلحظ ركاكة الأداء أو تُوهجه في الملعب، بالتحديقة نفسها اتجاه نصّ سردي، في ندرة المجاز وهبوب ريح المخيّلة أو انطفائها. أرثي لحارس المرمى حين يقذف بثقله نحو اليمين فيما يسدد اللاعب المراوغ الكرة نحو أقصى زاوية في الجهة الأخرى من الشباك. لحظة تشبه إطلاق رصاصة الإعدام من إحدى البنادق الموجهة نحو الضحية. من جهته، سيتوغل الروائي الإسباني خافيير مارياس في عمق المعركة، متسللاً وسط مشجعي نادي «ريال مدريد» بزي مشجّع لالتقاط النبض الجماعي في صعوده وهبوطه، في روايته «أشرار وعاطفيون»، فكان أشبه ما يكون بعدسة مراقبة في تسجيل حركة هذه الكتلة الصلبة وانفعالاتها عن كثب. عزلة بول أوستير لم تمنعه من أن يلقي نظرة نحو عالم الكرة الصاخب والعنيف، معتبراً هذه اللعبة حرباً من نوع آخر في ممارسة كراهية الآخر، من دون الأضطرار إلى تمزيق «أوصال العدو» في ساحة القتال قائلاً: «البلدان اليوم تخوض حروبها في ملاعب كرة القدم، بجنود يرتدون السروال القصير. والمفترض أن هذه لعبة، وأن التسلية هي هدفها. غير أن الذاكرة الخفيّة لتناحرات الماضي تخيّم على كل مباراة، وكلما سُجّل هدف ترددت أصداء الانتصارات والهزائم القديمة».

سيتحوّل الملعب إلى سجادة صلاة، لحظة تحقيق فوز فريق ما في المباريات المحتدمة، عناق جماعي، وركوع فوق العشب، وهتاف، فيما يتحوّل اللاعب المكلل بأكبر عدد من الأهداف إلى أيقونة كرة القدم قراءات سوسيولوجية وسيميائية في تفسير هذه الحمّى العالمية لجهة العنصرية والتعصّب وارتفاع منسوب الغريزة. سوف يشبّه أميرتو إيكو لعبة كرة القدم بطقوس تؤدى وفق عادات أكلي تحوّل إلى استعراض «فيه قلة من الأبطال، وكثرة من المتفرجين. إنها كرة قدم للنظر». ولأن صاحب «ذاكرة النار» لم يحقق أحلامه بقدميه، فكّر أن يحققها بيديه. أن يكتب عن هذه الكرة التي اخترعها الصينيون قبل قرون، مقتفياً أثر عشرات اللاعبين الحزانى بعدما ابتعد عنهم صدى التصفيق في الملاعب. هؤلاء الذين انتقلوا من الأزقة الفقيرة إلى أضواء الاستادات، مراهناً على «وقع مستهتر يخرج على النص ويقترف حماقة القفز عن كل الفريق الخصم وعن الحكم وجمهور المنصة، لمجرد متعة الجسد المنطلق إلى مغامرة الحرية المحرّمة». ويفسّر احتقار المثقفين للكرة بأن هذا الاحتقار «يستند إلى اليقين بأن عبادة الكرة هي الشعوذة التي يستحقها الشعب، فالغوغاء المصابة بمسّ كرة القدم تفكر بأقدامها، ذلك أن الغريزة البهيمية تفرض نفسها على الجنس البشري، والجهل يسحق الثقافة، وهكذا تحصل الدهماء على ما تريده». وسيبدو الأمر أكثر شناعة لدى معظم مثقفي اليسار الذين يزدرون الكرة لأنها «تخصي الجماهير وتحرفها عن النشاط الثوري». على المقلب الآخر، يضع الناقد سعيد بنكراد صخب كرة القدم فوق طاولة التشريح السيميائي، فيربط متعة اللعب بـ«الاستراتيجية الحربية»، و«الاستيهام الجنسي»، معتبراً لعبة كرة القدم حالة ثقافية فريدة تنوس بين استراتيجية الحرب وإحالاتها المتعددة على العدوانية والاقتتال والنصر، أو الهزيمة، كما تحيل إلى عوالم الأنوثة والذكورة بدلالتهما الجنسية. أما في ما يتعلق بالارتواء أو حالات الكبت، فالأمر يحدّده «الهدف»، أي الارتقاء الانفعالي التصاعدي من حالة بدئية تمثّل حالات المراودة والتنقل في «جغرافية الملعب» تمهيداً للوصول إلى أقصى حالات الانتشاء من طريق إحراز الهدف. هذا ما يفسّر الطابع الذكوري للعبة، باستثناء الكرة التي هي وحدها مؤنثة. مبدأ الرجولة إذاً، هو الرابط بين الاستراتيجية الحربية والاستيهام الجنسي. ذلك أن الجنس في المتخيل الذكوري معركة، وكلّ أداة هي إحالة على الفحولة. وهذا ما تؤكده أيضاً الروائية الألمانية الفريده يلينك لجهة ذكورية اللعبة وما تنطوي عليه من تعضب وعنف وتحريض على الفاشية.

ويوجه روبرتو فونتانا روسا في قصته «حكاية عامل غرف» البوصلة نحو شخصية مهملة لا يكترث أحد بأخبارها، وهي شخصية عامل الغرف، الذي يقوم بترتيب قمصان اللاعبين وسراويلهم القصيرة وأحذيتهم، ويحصي أزواج الجوارب، ويرى إذا كان هناك سروال قصير ضائع. شخص مجهول يتواجد مختبئاً أسفل القاعدة الإسمنتية للمدرّجات، كائنه في خندق «أحلم دائماً بأن الاتحاد الأرجنتيني سيقرر يوماً ما إدراج أسماء عمّال الغرف، حينما يعلن تشكيل الفرق، أو عرضها فحسب بأحرف صغيرة على اللوحة الإلكترونية».

لكن مهلاً، هناك عبارة أهدتها لعبة كرة القدم لجميع الحقول الأخرى، بما فيها الحوارات الساخنة بين خصمين أيديولوجيّين، عبارة بأقل من سطر واحد «حسناً، الكرة في ملعبك!».

دانيال أوغين ـ «الرياضة للرياضيين والسياسة للسياسيين» (أمريليك على كانفاس ـ 120 × 110 سنتم ــ 2022)

أشهر لاعب كرة قدم في المنتخب السوري في سبعينيات القرن المنصرم، لكنه انتهى اليوم إلى رجل محطم يسحل قدميه بصعوبة كي يصل إلى أقرب كرسي في المقهى، يتطلّع باسى إلى من يجالسه، ليروي له نتفاً من أمجاده الغابرة، عندما كان يُلقب بـ «الدبـزل». وبصرف النظر عن هجاء اللعبة أو تقديسها، فقد استقطبت شعوبية كرة القدم قراءات سوسيولوجية وسيميائية في تفسير هذه الحمّى العالمية لجهة العنصرية والتعصّب وارتفاع منسوب الغريزة. سوف يشبّه أميرتو إيكو لعبة كرة القدم بطقوس تؤدى وفق عادات أكلي

> يربط سعيد بنكراد متعة اللعب بـ«الاستراتيجية الحربية» و«الاستيهام الجنسي»

لحوم البشر، يُذبح فيها أحد عشر شخصاً كقرابين لآلهة. لكن من يستحق التضحية به حقاً، هم ممولو هذه اللعبة، ووحوش الصحافة الرياضية والمحطات التلفزيونية. ويرى أنه فوق هذا المسرح المكشوف، يتجلى «استبداد معنوي يفرض على الغالبية نسيان جسدها، لتُعجب بجسد أقلّية». ويضيف: «ما من جماعة ثورية، مهما تكن متطرفة، تفكر في احتلال ملعب فوتبول يوم الأحد». تمضي اللعبة إذاً، بما يشبه الماسي الشكسبيرية لجهة الخسارة والصراع والفقدان. أن تخرج مهزوماً، كمن أصيب بفحولته، منكس الرأس، مخذولاً، من إضاعة هدف أو ضربة جزاء. لكننا لن نجد هاملت بين هؤلاء. فقط محاربون أشدّاء يتطلّعون إلى إطاحة الأعداء بأكبر قدر من الخشونة والمراوغة وتكسير الركب. رايات مرفوعة، وأخرى منكّسة، تبعاً لركلات الكرة الصحيحة نحو المرمى، ورعب أو بسالة حارس المرمى. هذا العنف في اللعبة/ المعركة، استدعى وجود مسعفين بنقّالات لإخلاء الجرحى. على أن أسوأ ما يحصل للاعب هو أن يجلس في مقاعد الاحتياط، ينتظر من دون أمل أن يستدعيه المدرّب إلى ساحة اللعب، وأن يرفع الحكم رقمه عالياً بدلاً من رقم لاعب آخر، كي ينقضّ على الكرة بأقصى طاقته بوصفها طريدة.

سنستعيد مراراً تحفة إدواردو غاليانو «كرة القدم في الشمس والظل» بوصفها انطولوجيا لتاريخ اللعبة، من موقع مضاد للتاريخ الرسمي للكرة، إذ يميط اللثام عن أسرار الكرة واللاعبين، داخل وخارج الملعب، بالتناوب مع الوقائع الكبرى في الحياة العامة، تحت بند «أنا ألعب، إذاً أنا موجود»، فأسلوب اللعب كما يقول هو «طريقة في العيش»، إلا أن اللعب لا وجود لها بدون وجود «فريق» يسمح له بتعزيز هذه المهارة وتطويرها. على هذا النحو، يرى كريتشلي أن الطابع السياسي الذي يمكن أن نستقيه من كرة القدم، هو الأشتراكية. غير أن اللعبة لا تحفزّ المشاعر الاشتراكية على الإطلاق، وإن أثارتها فتأتي هزيلة وغير واقعية بسبب هيمنة رأس المال على تفاصيل اللعبة وبمنظّميها، بيد أن هذه الهيمنة، التي هي جزء من عالم كرة القدم، تحث على مشاعر القيء والقرف جزّاء الوجه النقيض للأشتراكية، أي النيوليبرالية المتأصلة في اللعبة.

يبقى أن هذا المشهد الاشتراكي جميلٌ مهما تعددت أساليبه وأشكاله. ولأنه متعدد، يخوض كريتشلي غمار التعقيب على طبيعة اللعبة الهجومية والدفاعية، مدافعاً عن الأخيرة بوجه الاتهامات الموجهة ضدها على شاكلة أنها مملة ومضجرة. هكذا، ينفي كريتشلي هذا «السلب» التي تتسم به الكرة الدفاعية، الإيطالية تحديداً، معتبراً أن مهمة الحفاظ على توازن القوى والتناغم المستقر هو شكل جمالي لا يمكن إنكاره، وهو يشبه إلى حد بعيد لعبة الشطرنج في دقة الاختيار وأهمية الحركة، مقتبساً من المعلق الرياضي الإيطالي جيانا بريرا قوله «المباراة التي تنتهي نتيجتها صفر مقابل صفر هي المباراة الأمثل». لكن كريتشلي، الذي لا يخفي انحيازه لفريق «ليفربول»، ولا بإيقاع اللعب السريع، يرى في اللعبة الهجومية جمالاً من نوع آخر؛ فهي تحمل في طيّاتها تحدياً للزمن، موقفاً مقلّقاً حيث

> اللعبة لا تحفزّ المشاعر الاشتراكية بسبب هيمنة رأس المال على تفاصيلها ومنظّميها

كياننا يترنح بين لحظتين: اللحظة الحاضرة واللحظة القادمة فيما تطويرها. على هذا النحو، يرى كريتشلي أن الطابع السياسي الذي يمكن أن نستقيه من كرة القدم، هو الأشتراكية. غير أن اللعبة لا تحفزّ المشاعر الاشتراكية على الإطلاق، وإن أثارتها فتأتي هزيلة وغير واقعية بسبب هيمنة رأس المال على تفاصيل اللعبة وبمنظّميها، بيد أن هذه الهيمنة، التي هي جزء من عالم كرة القدم، تحث على مشاعر القيء والقرف جزّاء الوجه النقيض للأشتراكية، أي النيوليبرالية المتأصلة في اللعبة.

يبقى أن هذا المشهد الاشتراكي جميلٌ مهما تعددت أساليبه وأشكاله. ولأنه متعدد، يخوض كريتشلي غمار التعقيب على طبيعة اللعبة الهجومية والدفاعية، مدافعاً عن الأخيرة بوجه الاتهامات الموجهة ضدها على شاكلة أنها مملة ومضجرة. هكذا، ينفي كريتشلي هذا «السلب» التي تتسم به الكرة الدفاعية، الإيطالية تحديداً، معتبراً أن مهمة الحفاظ على توازن القوى والتناغم المستقر هو شكل جمالي لا يمكن إنكاره، وهو يشبه إلى حد بعيد لعبة الشطرنج في دقة الاختيار وأهمية الحركة، مقتبساً من المعلق الرياضي الإيطالي جيانا بريرا قوله «المباراة التي تنتهي نتيجتها صفر مقابل صفر هي المباراة الأمثل». لكن كريتشلي، الذي لا يخفي انحيازه لفريق «ليفربول»، ولا بإيقاع اللعب السريع، يرى في اللعبة الهجومية جمالاً من نوع آخر؛ فهي تحمل في طيّاتها تحدياً للزمن، موقفاً مقلّقاً حيث

سايمن كريتشلي: التفلسف بالكرة

هاته، فإن كل الاحتمالات لتشكيل التاريخ، مفتوحة. يعتبر كريتشلي أن على أرضية الملعب «كل شيء يبدو حياً، حتى الكرة نفسها». لذلك، فإن محاولة الفصل بين الحقيقي والخيالي أشبه ببتر اللحم عن الجلد. كل الأحداث التي تجري وسط الملعب حقيقية، فاللعب ليس لهواً عبثياً مجانياً. هو ليس محاكاة أو تقليداً ولا تمثيلاً مزعوماً، إنما هو أعلى مراحل الجدية. لكن اللعبة تشترط على لاعبيها ما يسمّيه كريتشلي «التجرّد من الذاتي» أي التخلي عن التفكير، واستبدال ملكة العقل بالغوص المطلق في اللعبة. عند الفينومينولوجي، إن الوعي لا يكون إلا قصدياً، أي إن الوعي هو وعي بشيء أو لا يكون. على هذا النحو، يعرّج كريتشلي على ميرلو بونتي في محاولة منه لتفسير علاقة الذات بالموضوع، ولفهم طبيعة الوعي عند اللاعب. فإذا كانت الأجساد محكومة بحدود الملعب، وأصحابها يمارسون اللعبة، وبشكل تلقائي، في المساحة المتاحة لهم للعب، فهذا يعني أنّ هناك حيّزاً مخصصاً للعب قد جاء سلفاً، أي مفروضاً على اللاعبين مسبقاً، بالتالي، فاللعبة تفرض نفسها على اللاعب، وما وعيه إلا الوعي بها: وعيه باللعبة التي يلعبها ضمن الحيّز المفروض عليه، والمتاح له. إن التطابق بين الذاتي والموضوعي، كفيل بطرد كل محاولة فصل، لأنه بحسب كريتشلي، لكي نفهم اللعب فعلينا أن نترك وراءنا لغة الذات والموضوع، لغة الوعي والتفاصيل العابرة.

كرة القدم رهان وذي مع الزمن، هي تجربة مفتوحة أمام حاضر متغير يحكمه المجهول، «حياة غامضة مليئة بالمشاعر» على حدّ قول الفيلسوف الأميركي ويليام جايمس، ولكن كريتشلي يجزم أن كرة القدم هي دراما أكثر من المسرح نفسه. دراما لا تكتمل بدون جمهور في المدرجات، ومشاهدين مشجعين، وبالطبع، فرق تتنافس. هذا المسرح لا يستقبل المصائر فحسب، بل يحث على استعادة طقوس قدامى الإغريق. يشرح كريتشلي في فصل تحت عنوان «الموسيقى تدوّي» كيف أن أهازيج الجماهير وصخبهم يمثل الجانب الديونيسي للعبة، مستعيناً برؤية نيتشه حول الشخصية الملحمية التي ذاعت في المسرح الإغريقي التراجيدي، وتتشكل من النزعتين: الديونيسية والأبولونية. فإذا كان الفريق بتنظيمه وأسلوبه وبشكله (shape) يُبرز الأبولوني الجميل، فإن أجواء الصخب العارم، وإطلاق العنان للمشاعر من قبل المشجعين يبرز الديونيسي أو السامي (sublime). والميل الأخير، هو ما يجعل من اللامرئي مرئياً، لأن ما وراء الأداء المُتمظهر على أرضية الملعب، هناك روحٌ لا تبثها سوى موسيقى الجماهير، روح لا تتجلى إلا في صداح الحناجر. إن اللعبة كمشهد حقيقي يولّد فائضاً غزيراً من أحاسيس الزخم والمهابة التي تبلور، بدورها، أفعالاً. فالحالة الداخلية تتجسد، تستمد شكلها بعد أن تعي على نفسها وتفرض حالها، ما يجعل المشجعين كمتفاعلين مع ما ينظرون إليه، شركاء في هذه اللعبة. إن جوهر ما قدمه كريتشلي في كتابه ينطوي على أن اللعبة لا تصل إلى حالتها الشمولية بدون متفرجين، بل إن المتفرج يعدو ليكون أكثر امتيازاً من اللاعب نفسه. على هذا النحو، يلجأ كريتشلي إلى لغة هيغل ومصطلحاته، ويعرّف طبيعة وجود اللاعبين بأنّه «وجود لنا» عوضاً عن «الوجود في ذاته». هو وجود منفتح، يأخذ مداه حين يعبر ويمر في الآخر، ولأن وجود اللاعبين لا يكتمل بدون وعي المتفرج بهم، وإدراكه لقيمة ما يمارسونه، ولمعناه. من جهة أخرى، يستعير كريتشلي نظرية المتفرج من غادامير، الذي عرّفه بأنه «الحاضر في اللحظة»، إلا أن مهمته تقتضي الأنغماس في فرجته «فنحن لا نشاهد أنفسنا إنما نشاهد اللعبة». لكن المتفرج عند غادامير مقرون بمسافة، أي أنه يشاهدها من دون أن يكون فاعلاً مباشراً فيها. ما يقترحه كريتشلي، هو اشتقاق للفعل التنظيري من خلال مشاهدة اللعبة، بغية المواءمة بين النظرية والممارسة، فالوصول إلى البراكسيس. اكتمال الجدلية بحسب كريتشلي، تجيء لصالح المتفرج، فترقى به وتعطيه امتيازاً فائقاً، حيثما يكون برتبة أعلى من اللاعب، لأن اللعبة التي يتفرج عليها تلعب له. كما يتيح هذا الارتقاء له بموقع يلامس موقعة الحَكَم الذي يشاهد اللعبة عن كثب ويديرها. فالمتفرج من خلال مشاهدته وتنظيره، يدير اللعبة بشكل خاص، بشكل مختلف. إن كرة القدم هي لعبة تلعب، ولعبة تُشاهد، وبما هي مشهدية جمالية محمّلة بطقوس وتقاليد، هي أيضاً شأنٌ عرضة للتموضع والتشجيع. ومثلما يتطلب من المتفرج التنظير، واللعب بالنسبة للاعب، فإن الحجة والمنطق هما قوام المشجع وما هو المطلوب منه. عند كريتشلي، إن كرة القدم هي «الفضاء العام» الأمثل للتفكير بنظريات التواصل وقوة الحجة كما نظّر لها هابرماس، فيمكن لرأي طفل صغير أن يكون محقاً تجاه مسألة كروية، كما هي الحال أيضاً، بالنسبة لفيلسوف مخضرم. أن تبصر العين مشهدية جمالية، وأن يكون اللسان، في الوقت عينه، نقدياً، وبالطبع، أن تكون كرة القدم مصنعاً للحجج وللنقاشات العقلانية، كانت أسباب كافية سمحت لكريتشلي، بأن يتفلسف بالكرة، حينما فكر في كرة القدم.

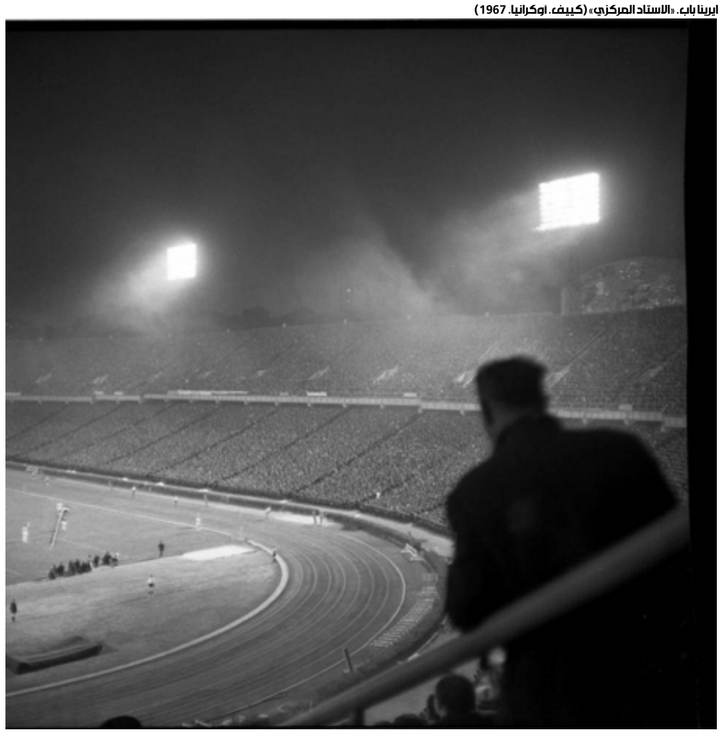

إيرينا باب. «الاستاد المركزي» (كييف. اوكرانيا. 1967)

مونديال 2022

دوغلاس غوردون وفيليب بارينو، «زيدان: بورتريه من القرن الحادي والعشرين» (2006)

تَعاسَة زيدان

كتب جان فيليب توسان هذا النص النثري مباشرةً بعد خسارة فرنسا كأس العالم أمام إيطاليا عام 2006. خروج زين الدين زيدان، يومها، طردا من الملعب بعدما طرح المدافع الإيطالي ماتيرازي أرضاً براسية بات تُعرف لاحقاً بـ«نطحة زيدان» جراء إهانة تعرّض لها، كان انعطافاً مأساوياً بالنسبة إلى الفريق، وبالنسبة إلى محبي زيدان. بمن فيهم الكاتب. صدر هذا النص الذي يعتبر بمثابة مرثية لزيدان عن «دار مينوي» في كتيّب صغير. سيقع لجان فيليب توسان، وهو صحافي، شاعر وروائي، أن كتب رواية تحمل عنوان «فوتبول» وفيها سرد شخصي يقوم على تجربة مع اللعبة، ووصف ذاتي يطاول نظرة الكاتب للعبة

تقديم وترجمة **محمد شحادة**

لَمْ يَكُنْ زيدان يَنْظُرُ إلى سَماء برلين دونما تفكير في شيء ما، سماء بيضاءُ بسحب رماديةٍ، بانعكاسات زرقاء، كأنّ زيدان ينظُر إلى السماء، فوقَ الملعب الأولمبي مساء 9 آب (أغسطس) 2006، شعرٌ بقوة وجوده هناك، ببساطة هنا في الإستاد الأولمبي لبرلين، في هذه اللحظة بالذات: مساء نهائيّات كأس العالم لكُرة القَدم.

من دون شك، في ذلك المساء، لم تكن سوى مسألة تَجسيد من جهة، وحزن من جهة أخرى، حيث كانت ركلة الجزاء المحوّلة في الدقيقة السابعة بطيئة، لامست «بانينكا» العارضة لتعبر خط المرمى، فتتخطاه مباشرة، وبوضوح الهدف، لمسار البلبارود الذي كان يعاكس بالفعل تسديدة جيف هيرست الأسطورية في ويمبلي عام 1966. لكن هذه لم تكن سوى اقتباس، تحية غير متعمّدة لسلسلة أسطورية من كأس العالم. الحركة الحقيقية لزيدان في مساء هذا النهائي كانت مفاجئة، مثل تجاوز الكرة السوداء في الليل الموحش، التي لم تظهر إلا متأخرة لتجعلنا ننسى الباقي في نهاية المباراة والأشواط الإضافية، الهدف والفائز، لغتة مصيرية، وحشية، ونثرية وروائية: لحظة غموض مثالية تحت سماء برلين، عدة ثوان من التناقض حيث الجمال والسوداوية، العنف والشغف، احتكّا سوياً، وأحدثا تياراً لحركة غير معتادة.

أخذت رأسية زيدان حيز المفاجأة. إذ لم تأخذ سوى ثوان لتكتمل، لكنها لم تأت سوى بعد عملية بطيئة وولادة غير مرئية وسرية. حركة زيدان تجاهلت التصنيفات الثلاثية أو السامية، فهي تجاوزت التصنيفات الأخلاقية للخير والشر، فلا قيمتها، ولا قوتها ولا جوهرها باستطاعتها أن تختزل اللحظة الزمنية الدقيقة حيث حدثت. تياران ممتدان من تحت الأرض قد حملهما من بعيد جداً، الأول، عميق، صامت، قوي، لا يرحم، ناشئ من الحزن الخالص بقدر من الإحساس المؤلم مع مرور الوقت، مرتبط بمأساوية النهاية المعلنة لمرارة اللاعب الذي خاصم آخر مباراة في مسيرته، عاجزاً عن حلها في النهاية. زيدان لا يمكن أن يُنهي نفسه، هو على دراية تامة بمخارج كانية «ضد اليونان» أو في المغادرة الفاشلة ضد «كوريا الجنوبية». كان هناك دائماً استحالة وضعه ملفاً لنهاية مسيرته، وتحديداً في ما يخص الجمال، لأن النهاية الجميلة مع الأسف هي نهاية أيضاً، هي نهاية الأسطورة، للتلويح بكأس العالم إنه تقبّل لموته، بينما يؤجل خروجه وترك وجهات نظر مفتوحة غير معروفة على قيد الحياة. التيار الثاني الذي حمل إيماءته، هو تيار متقابل ومتناقض، يتغذى على فائض من الأترابيل ومن تأثيرات زحل، هو الرغبة في إنهائها بأسرع وقت، الرغبة من دون ضغط لترك الملعب مباشرة والعودة إلى غرفة تغيير الملابس: «لقد غادرت فجأة ودون إخبار أحد» (جان فيليب توسان، الحمام) لأن التعب موجود، إرهاق مفاجئ، لا يقاس. الكتف الذي يؤلم زيدان، لم يقوَ على التسجيل، لا من زمالئه ولا من خصومه، لم يعد قادراً على تحمل العالم ونفسه. مرارة زيدان هي مرارتي، أعلمها، وأعترف بها. أصبح العالم معتماً، والأطراف ثقيلة، «والساعات بدت أطول، أبطأ، لا نهاية لها» (جان فيليب توسان، الحمام)، شعر أنه منهك، وأصبح ضعيفاً «شيء بداخلنا ينقلب علينا» (جان ستاروبنسكي، حبر الكآبة). وفي نشوة تعبنا وقوة غضبنا، زيدان لم يكن باستطاعته إلا أن ينفذ مشهد العنف الذي حرره، أو الهرب الذي يشفيه، غير قادر أن يخرج غضبه بطريقة أخرى. إنها الرحلة

> حلّ الليل على برلين، خفتت الإنارة وزيدان يشعر فجأة أن السماء مظلمة فوق كتفيه

الأخيرة قبل إنجاز العمل. منذ بداية ركلات الترجيح، وبطريقة ما، واصل زيدان التعبير عن تعبه دون وعي منه مع شارة القائد الذي يستمر في السقوط، عصبة كتفه التي تنهار ولا تتوقف عن إعادة التكيّف بشكل مستمر على ذراعه. لكنّ زيدان يريد . رغماً عنه . ترك الملعب والعودة إلى غرفة الملابس. لم تعد لديه الوسائل، أو القوة والطاقة والإرادة للقيام بانقلاب أخير، آخر إيماءة رمزية. رأسه بكل جمالية مدفوعاً ببوفون بعد عدة ثوان فتح له عينيه للتأكيد على عجزه الذي لا يمكن علاجه. الشكل الآن يقاومه. وهذا غير مقبول بالنسبة إلى الفنان، «فنحن نعرف الروابط الحميمية التي توحد الفن بالحزن» (فرويد، ذكرى الطفولة ليوناردو دافنشي) غير قادر على تسجيل هدف، سيسجل الأفكار.

الآن لقد حل الليل على برلين، قوة الإنارة خفتت وزيدان يشعر فجأة أن السماء مظلمة فوق كتفيه، تاركاً فقط خطوطاً متطايرة من غيوم الشفق الأسود والوردي «الماء الممزوج بالعتمة هو ندم قديم لا يريد أن ينام» (باشلار، الماء والأحلام).

لم يفهم أحد في الملعب ما حدث، من مكاني في مدرجات الإستاد الأولمبي شاهدتُ استئناف المباراة. الإيطاليون في حالة الهجوم والهجمة المرتدة التي ابتعدت نحو المرمى المقابل. بقي لاعب إيطالي على الأرض وقد حدثت تلك الإيماءة وتم القبض على زيدان من قبل الهة الخصم. أوقف الحكم المباراة وبدأنا بالركض في جميع الاتجاهات على العشب، نحو اللاعب الممدد وفي اتجاه مساعد الحكم الذي كان محاطاً من اللاعبين الإيطاليين، كانت نظراتي تتجه من اليسار إلى اليمين، ثم من ناحيتي، رأيت زيدان، نظراتي كانت متوجهةً دائماً نحوه، نحو شخص زيدان بلباسه الأبيض منتصباً في الليل وسط الملعب، وجهه قريب جداً من عدسة الكاميرا الخاصة بي، وبوفون، حارس المرمى الإيطالي الذي وصل متحدثاً إليه واضعاً يديه على رأسه مدلكاً له رأسه وعنقه، مداعباً إياهما، محتويهما مثل طفل، أو مولود جديد، في محاولة لإرضائه ولتهدئته. لم أفهم ماذا حدث، ولم يفهم أحد في الملعب ماذا حدث، توجه الحكم نحو مجموعة اللاعبين حيث كان زيدان وأخرج بطاقة سوداء من جيبه ولوّح بها نحو سماء برلين، وفهمت على الفور أنها كانت نحو زيدان، البطاقة السوداء للكآبة.

إن لفتة زيدان، غير المرئية وغير المفهومة، هي أكثر مشهدية حيث كانها لم تحدث، لم يكن من الممكن أن تحدث، إذا تعلق الأمر بالملاحظة المباشرة للأحداث في الملعب وبالثقة المطلقة التي يمكن أن نمنحها لحواسنا، لم يرَ أحد شيئاً، لا المشاهدون ولا حتى الحكام. لم يقتصر الأمر على رأسية زيدان لم تكن لتحدث لكنها حدثت، حتى لو كان لدى زيدان النية المجنونة أو الرغبة أو الخيال لإعطاء ضربة رأس لأحد خصومه، ما كان رأس زيدان ليصل إلى خصمه، لأنه في كل مرة كان يجتاز رأس زيدان منتصف الطريق التي تفصله عن جذع خصمه، كان يبقى لديه نصف آخر ليعبره، ثم نصف آخر متبقٍّ، ثم نصف آخر أيضاً، وهكذا إلى الأبد، بحيث إن رأس زيدان، يتقدم دائماً نحو هدفه دون أن يناله، كأنه في حركة بطيئة هائلة تدور به دائرياً إلى ما لا نهاية. كان لا يستطيع الوصول لا جسدياً ولا رياضياً. كانت هذه القمة لزيدان، إن لم يكن لزينون، أن يدخل في جذع الخصم. أبداً. فقط النبض الهارب الذي اجتاز روحه كان مرئياً لعيون المشاهدين في العالم أجمع.

ميشال بلاتيني في ملعب مارغريت دوراس

في ديسمبر 1987، بعد فترة من توقف مسيرته كلاعب كرة قدم، وافق ميشال بلاتيني قائد منتخب فرنسا وفريق يوفنتوس الفرنسي على إجراء مقابلة مع الأديبة والروائية مارغريت دوراس (1914-1996) في مناسبة إصدار كتاب عن مسيرته في الملاعب، لا سيما ذكرياته في مونديال 1986 الذي خرجت منه فرنسا في نصف النهائي بهزيمة مذلّة أمام خصمها اللدود ألمانيا: «ساعة مع مارغريت دوراس، كان الأمر أصعب بالنسبة إليّ من أي مباراة في مسيرتي. بعض الأسئلة كنتُ أجد صعوبة في فهمها»، كما حين طرحت مارغريت دوراس السؤال: «ما هذه اللعبة الإلهية والشيطانية؟»، ليجيب بلاتيني بأنها لعبة ليس لها حقيقة ولا قانون، لا شيء، مطلقاً، ويجتهد الكل في تفسيرها. اختبر الساحر الفرنسي هذه المقابلة على أنها شيء غير واقعي تماماً، أو بالأحرى سوريالية، إذ «لم أكن أعرف من هي مارغريت دوراس، ولم أكن على دراية بمدى تأثيرها الأدبي. لم أقع تحت تأثير هالتها، لأنني لم أقس أهمية هذا الشخص في عالم أدبي لا أعرف عنه شيئاً تقريباً. من ناحية أخرى، كنت مهتماً جداً لأنني أحببت دائماً التواصل مع الأشخاص الذين ليسوا لاعبي كرة قدم وكنت متأكداً أن قدمها لم تطأ أرض الملعب يوماً». لكن بلاتيني يتحدث في ما بعد أن دوراس سحرته هي الأخرى بلعبها على الكلمات حتى أنها اخترعت كلمة «الملائكية» للحديث عن لاعبي كرة القدم. «اعتبرتني ملاكاً أزرق... كان الأمر ممتعاً، كان جديداً، كانت طريقة مختلفة تماماً لرؤية الرياضة». ننشر في «كلمات» مقتطفات من هذه المقابلة التي نشرت للمرة الأولى في صحيفة «ليبراسيون» والتي جرّت فيها صاحبة «العشيق» و«هيروشيما يا حبي» ميشال بلاتيني إلى ملعبها لتختلط كرة القدم بالحديث عن السياسة والثقافة والأدب والحياة، والذكريات الحلوة والمرة في الملاعب، لا سيما كارثة ملعب هيسل في بلجيكا في نهائي كأس الأندية الأوروبية بين فريقي «يوفنتوس» الإيطالي و«ليفربول» الإنكليزي

ترجمة وتقديم **محمد ناصر الدين**

د: هل أصابتك كرة القدم بالإحباط؟

ب: كلّا، أبداً. ما أحبطني هو المحيط، وليس الكرة.

د: أتكلّم عنك وقد أخذتك الكرة، عن حياتك اليومية كلاعب...

ب: كرة القدم هي شغفٌ أولاً. لقد شغفتني دائماً. ما أحبطني هو أنني في لحظة معينة اضطررتُ للذهاب ذات اليمين وذات الشمال من أجل لعب مباريات معينة. هنا بلغ السيل الزبى...

د: بدءاً من أي سنة كان ذلك؟

ب: من اللحظة التي بدأت مسيرتي بالانحدار.

د: عام 1984؟

ب: كلّا. عامَي 1983 و1984 كانتا أفضل سنواتي. أقول ربما نهاية عام 1985، حين فزنا بالكأس القارية. كنت في فريق «يوفنتوس» وربحنا كأس العالم للفرق.

د: هل كانت فترة كارثة ملعب هيسل؟

ب: موقعة هيسل كانت قبل ذلك. أربعة أشهر قبلها. وأنا ذروة عطائي كانت في كانون الأول (ديسمبر) 1985، ومن بعدها...

د: في كرة القدم، أرى ملائكية ما. أرى البشر، والرجال، في المعنى الإنساني، في نقاء لا يحدّ وهذا ما يدهشني للغاية. وأظنّ أن هذا هو أساس انفعالي حين أشاهد كرة القدم. لقد شاهدتك في مونديال مكسيكو. لقد شاهدتك تعاني، وكنت أودّ أن أقتل مارادونا أيضاً. أرأيت، ها قد اشتغلت بطريقة مثالية.

ب: يا للشوفينية!

د: كلا، لكنني أرى أيضاً أن مفهوم الوطن موجود في كل مكان، وفي هذا المقام أيضاً. وأن مفهوم الكرة يستبدل ذاك الذي للبلد الأصلي. لكن، هل تتفق معي على كلمة «ملائكية»؟ الملائكية لا تعرف حدوداً، ولا أوطاناً. عليّ أن أعترف: لولاك لما عثرت على هذا المصطلح. لكن أنسَهُ.

ب: سأنساه.

د: لاعب كرة القدم هو في ميدان مكشوف تماماً. يبدو عارياً. إن كذب فسيُرى ذلك. إن خاف، فسيُرى ذلك. إن كان أحمقاً صغيراً فسيرى ذلك. إن كان وغداً حقيراً فسيُرى ذلك أيضاً.

ب: يُرى الأمر بسهولة من قِبَل لاعبي الكرة، ولكنه يبدو أصعب للآخرين.

د: أقول أنه يرى عبر اللعبة من قبلكم. لكنّ هناك بشراً أيضاً يشاهدون اللاعبين، النساء مثلاً...

ب: للّذين يعرفون اللعبة جيداً، هذا واضح، ولكن ليس للجميع. ثمة لاعبون على مستوى عالٍ لكنهم لا يخدمون الفريق. لأن الهدف، غائية كرة القدم، هو أن يفوز الفريق، وليس أن يفوز المرء وحده.

د: هناك أيضاً اللاعبون من أجل الأضواء. لكن العظمة هي في اللُّحمة مع الفريق.

ب: هذا صحيح. هناك اللاعب الجيد لكنه لا يجعل الفريق جيداً، ثمة لاعبون سيئون ويُنتقد أداؤهم لكنهم يجعلون الفريق جيداً. من الغريب أن أحداً مثلك ينتبه لذلك، وأنت بعيدة عن كرة القدم.

د: مهنتي في الحياة هي أن أشاهد. ملعب كرة القدم هي مكان حيث الآخر يتساوى بك. المساواة. لكنه ما يجعل من كرة القدم فريدة من نوعها. أنت ضحية، هذا أقرب إلى حصيلة حرب.

ب: أتعلمين، حين نلعب بشغف لا يدور هذا الأمر في خُلدنا. يمكننا أن نشكّل خطراً، هذا صحيح. لدينا ثقل معنوي في العالم ولا نستخدمه لأننا لا نعيه. ولا أعرف إن كان لنا الحق بأن نستعمله.

د: كنت أشاهد التلفاز حين حدثت موقعة هيسل في أيار (مايو) 1985. لم نكن نعي ماذا حصل. كان ذلك كما لو أن العالم قد بدّل جلده، ولم نعد نتعرّف على هيئته. إحساس بالجنون رأيناه في أحداث هيسل. هل كنتَ هناك؟

ب: كنت في غرفة تبديل الملابس. طلبوا مني أن أذهب لأهدّئ الشباب المتعصّبين. 11 لاعباً من يوفنتوس و11 لاعباً من ليفربول، كنّا الوحيدين الذين لم نرَ الكارثة. لقد شاهد الحادثة ملايين الناس على التلفاز أما نحن فكنّا نتحضّر للمباراة في غرف الملابس ولم نرها قطّ.

د: لكن رغم 84 ضحية قد سُحقوا، بين مصاب وقتيل، فقد لعبتم المباراة. لقد كانت الطريقة الوحيدة لتطويق الحادثة، لكبح جماحها.

ب: ساقول لك شيئاً: في كرة القدم، ليس للأعين سلطة، إنهم خاضعون للرؤساء، وقد قرّر هؤلاء أن يلعبوا من أجل حماية البيئة. لو لم نلعب المباراة لكانت المطاردات في شوارع بروكسل.

د: لكن قل لي، ما الذي جعل من هؤلاء الشبان مجانين إلى هذا الحدّ؟

ب: هم متعصّبون مسبقاً لكرة القدم، ويمكنهم أن يلقّنوا أشياء ليست دقيقة تماماً: لقد قيل لهم أن الإنكليز قتلوا 35 إيطالياً. لم يكن الأمر كذلك، ضحايا هيسل سُحقوا من المتفرجين الذين كانوا يحاولون النجاة من انهيار الجدار، ولم يُقتلوا عمداً. أما نحن، فحين نكون في ملعب كرة القدم، حين نفكّر بالكرة، بشبابنا، بمراهقتنا، يصعب علينا التفكير بهذا العدد من القتلى ونحن نلعب. حين أسجّل ركلة الجزاء، أكون سعيداً وتنقذني الكرة من البؤس الإنساني. لكنني في هذا اليوم صرتُ رجُلاً! لنقل أنني انتقلت من عالم كانت فيه كرة القدم لعبة إلى عالم صارت فيه الكرة فضاءً للعنف، كما في لحظة تكون لدينا العاب للأطفال ثم نُخسرها حين نعبر إلى البلوغ.

د: لكنك تلعب بحزمة من الديناميت، دائماً! 80 ألف متفرّج في الستاد. هذا معطى تراجيدي!

ب: أنت تعرفين ذلك، وليس أنا. لأنّ حلمي كان بأن العب الكرة أمام أكبر جمهرة من الناس، أن تكون الكرة عيداً، أن يسعد الناس ويغنوا... في المقلب الآخر لطالما كنت خائفاً من الجمهور. لم أذهب قطّ إلى المسرح أو السينما.

د: لكن حين تأخذ شخصاً لا يمكنه تحمّل ذلك دون قلق، شخص ممتلئ بالصور، بالصور الفظيعة، بالاحتلالات، والحروب، ومخيمات الاعتقال، ولا يمكنه مجاورة الجمهور، لكنه في الوقت ذاته يعيش... لأن الكرة هي رغم ذلك أحد أكبر مباهج النوع الإنساني، ومن أكثرها وضوحاً وتحققاً. ألا تخاف في الملعب؟

ب: البتّة. لأنني وفي منتصف الملعب أكون محاطاً بالأسوار.

د: ماذا عن 80 ألف مشاهد؟

ب: هذه هي كرة القدم.

د: بالله عليك ما هي هذه اللعبة الربّانية والشيطانية؟

ب: هي لعبة تسحر الألباب. لماذا هي كذلك؟ لأنها لا تمتلك حقيقة. لا يربح الأقوى دائماً أمام الأضعف في الكرة.

د: هلّا استعملتَ كلمة غير الحقيقة... قانون مثلاً؟

ب: ما من قانون. ما من حقيقة. لا شيء. ومن ثم نحاول أن نفسّره. لهذا يمكننا دائماً أن نتحدث عن الكرة ونكتب المقالات.

د: يجب التعامل مع الخطأ إذن ومع العبثية. ذلك اللاعب الذي يسدّد في اتجاه بينما ينبغي عليه التصويب في اتجاه آخر، وهذا ما يحملني على الضحك حتى تدمع عيناي! هل ثمة جنون يستحوذ على اللاعبين، ولو كانوا مثاليين، هل كانت لتوجد كرة القدم؟

ب: كانت المباريات ستنتهي بنتيجة 0-0، وليس ثمة أهداف مسجّلة، لو لم يرتكب أحدهم هفوة ما.

د: لكن الجياد في السباق لا ترتكب أخطاءً. هذا الأمر أكثر ثقة مما عند البشر. أتكلم عن الجياد لأني أحترمها كما البشر على حدّ سواء. لكنّ هل تعرف الجياد هذا الجنون، أم أنه مختص بالبشر فحسب؟

ب: كيف ذلك؟ في السباق يمكنها أن تتقافز جنوناً، لكنها مكمّمة الأعين، ونحن لسنا كذلك في الملاعب.

د: نعم إنها تصاب بالرعب. صحيح ما تقول.

ب: يصعب عليّ أن أفسر كرة القدم، ربما أعرف سباق الخيول بشكل أفضل.

د: هذه المقارنات تثير اهتمامي.

د: أتذكر يأس منتخب فرنسا في مكسيكو. لقد فازت الأرجنتين. عبر الهذيان، والأغاني، وصرخات الجمهور، كنت أسمع صمت الفريق الفرنسي... ماذا حصل؟

ب: كان الأمر في المكسيك أن ننتقل بالفريق الفرنسي من المستوى الجماعي إلى كرة بنطاق رؤية أوسع. لقد كنّا أقوى من الألمان وخسرنا. كنا أقل مستوى من البرازيل وفزنا. تسافرين في العالم أجمع وتسمعين بالكرة الفرنسية. هي الشيء الوحيد الذي يُحكى عن فرنسا، إضافة إلى العطور...

د: والأدب.

ب: نعم، الأدب، ولكن لو ذهبتِ إلى الأطفال الفقراء في ماليزيا أو أندونيسيا، فلن يحدثوك عن الأدب... للأسف!

د: لكنني مترجمة إلى ثلاثين لغة. ثلاثون لغةً هذا أكبر من أوروبا وأميركا.

ب: لكن لو قصدتَ كرنفال الريو، ستبدو الكرة أهم من الأدب...

د: ملعب كرة القدم، هذه المساحة حيث يلعب اللاعبون وينحسبون، هي مسرح يشاهده المتفرجون، حيث تدور المواجهة، إنه مكان مسيّس بامتياز: إنك لا تلعب لتلعب، ولكن تلعب في مواجهة عدو... بالتأكيد ليس هناك ترجمة سياسية لما يحصل في الملعب، لكن ثمة أنواع من الرفض للآخر، من العنصرية، من ما قبل الفاشية، فاشية بمظهر بريء نراها في المدرجات كما في المدارس والجامعات، وفي المنتسبين إلى الأحزاب السياسية.

ب: أتعلمين، ما عدا بعض المباريات حيث يكون هناك لون واحد طاغٍ في الملعب، كما في ملعب الأمراء حيث كنا فرنسيون، أو في لندن حيث الكل إنكليز.

د: لكن أقصد إنه المزاج ذاته الذي هو في أساس الفاشية.

ب: لا يمكنني أن أجاريك في هذا الميدان الذي أعرفه أمامًا.

د: كرة القدم مكان ذكوري. لا تذهب النساء إلى الكرة.

ب: السياسة كذلك.

د: انتهى الأمر في السياسة.

ب: وفي الكرة كذلك. ثمة منتخبات للنساء في كل مكان.

د: أتحدث عن جمهور النساء. يقال أنهنّ لا يصطحبن لمشاهدة المباريات لأنهنّ عاجزات عن فهم الكرة. هل يحتاج المرء للذكاء ليكون لاعب كرة؟

ب: ليس بالضرورة. يجب معرفة إدارة النجاح، وهو أمر صعب. من الصعب أن يكون المرء لاعباً كبيراً لـ15 سنة. هذا سهل لمباراة واحدة. ثمة لاعبون صنعوا مجدهم في مباراة واحدة. ثمة آخرون يفعلون المستحيل ليظهروا على التلفاز، ويلعبون من بعدها وهم يحيون على لحظة مجد عابرة. أنا لم أعش البتة على لحظة عابرة: كما في الحياة، أعرف ما هو أمامي، وأصنعه، لذلك لم يكن العبور صعباً من الكرة إلى الحياة المدنية حيث ما زال الكثير أمامي لفعله.

مونديال 2022

إدواردو غاليانو: جيبٌ من جيوب المقاومة!

يظنُّ مثقفّو اليمين أنَّ كرة القدم دليل على أن الشعب ـ وفي حد أدنى جماهير المَلاعب ـ يفكر بقدمَيْه. لتفنيد هذا الادعاء، وبما أننا على أبواب افتتاح مونديال الدوحة، ارتأينا في «كلمات» اللجوء إلى كلمة أحد أبرز كتّاب اليسار الشغوفين بكرة القدم، هو الذي اشتهر بأنّه كلما كان مشغولاً بالفرجة في بيته، يضع على بابه ملصقاً كَتَبَ عليه: «مغلَقٌ من أجل كرة القدم». لإدواردو غاليانو (19401 ـ 2015) كتابٌ في الموضوع بعنوان: «كرة القدم تحتَ الشَّمس وفي الظِّل» (نقله صالح علماني إلى العربية، تحت عنوان: «كرة القدم بينَ الشَّمس والظِّل»)، يمزج بين البورتريه لأبرز اللاعبين الذين يروقونه، ومديح نُبل كرة القدم كرياضة تنافسية ولعبة جماعية خلَّاقة للجَمال. لكن التناول الأهم والأجرأ في الكتاب يبقى نقده لاحتلال مساحة العشب الخضراء من قبل لوبيات تجارية، هي من صميم الرأسمالية الجشِعة، ومتطفِّلة على كرة القدم. بذلك، يدين خضوع الأندية الكروية لسلطة الأوليغارشية الماليَّة، والترويج الإعلامي الضَّحل للمباريات ومجرياتها من قبل معلِّقين أقرب للفكاهة والولاء للرأسمال منه للتعليق الرياضي الاحترافي، إلى جانب فساد الفيفا والاتحادات القُطْرِيَّة، وإضفاء الطابع الفولكلوري على المشجِّعين في صورة ألتراس متعصِّب، بدل الجمهور الفرحان للعصر الذهبي للكرة. غادَرَنا غاليانو للأسف عام 2015، لكنه ترك لنا في كتابه عُدَّة نَقدية ما زالت صالحة لتفكيك آليات المال القذِر التي تفسد نُبْلَ اللُّعبة. في عام 1996، بعد عام على صدور «كرة القدم تحتَ الشَّمس وفي الظِّل»، التقى الصحافي جيرار دوفيين عضو فريق تحرير جريدة L'humanité الفرنسية، بأحد أقوى أصوات وضمائر أميركا اللاتينية، في مقر إقامته في مونتفيديو. كان له معه هذا الحوار حول الكتاب والشغف بالمستديرة وتداعياته السياسية

ترجمة وتقديم **رشيد وحتي**

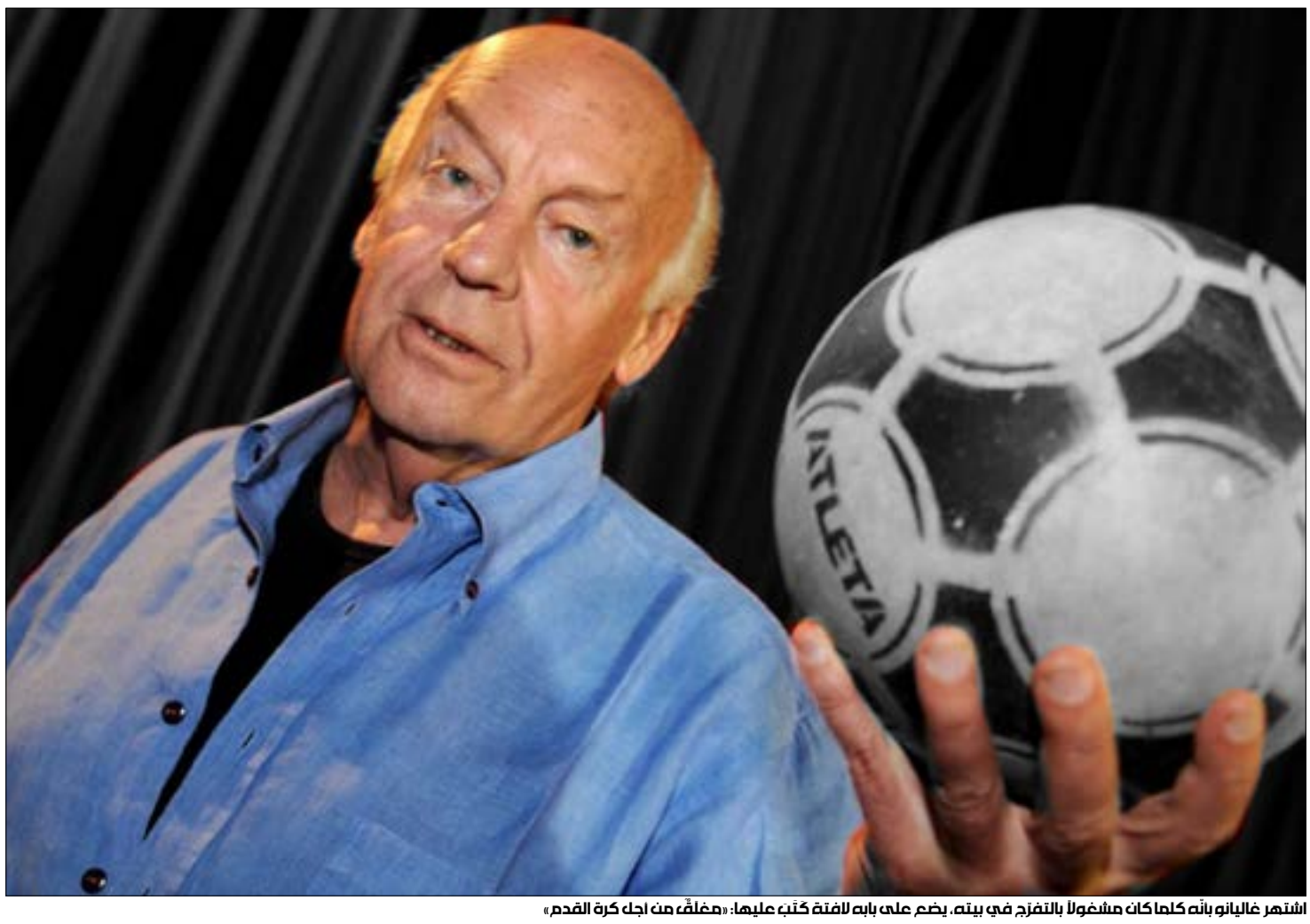
اشتهر غاليانو بأنّه كلما كان مشغولاً بالتفرّج في بيته، يضع على بابه لافتة كَتَبَ عليها: «مغلَقٌ من اجل كرة القدم»

■ لماذا شرع واحد من أهم أصوات أميركا اللاتينية ومن المثقفين المحترَمين، في الكتابة عن كرة القدم؟

ـ كرة القدم جزء من الحياة. بحالات الشغف والرفض التي تثيرُها، لا يمكنها أن تترك أي كاتب غير مبالٍ. كرة القدم تشبه الديانة من خلال الإخلاص الذي يَدين به أوفياؤها لها، ومن خلال الريبة التي ينظر بها المثقفون إلى ظواهِرها. إذا كان كيبلينغ، سخر، قبل قرن، من كرة القدم ومتفرّجيها، فإن بورخيس، حاز أهمية أكبر في قدح المستديرة: ففي عزِّ الديكتاتورية، عام 1978، يوم كان الفريق الوطني الأرجنتيني يخوض أول لقاء له في المونديال، ألقى محاضرةً حول موضوع الخلود.

■ ما الذي يشكِّل، في جميع الأزمنة، ذريعةً للمثقفين من أجل رفض كرة القدم؟

ـ يظنُّ مثقفو اليمين أنَّ كرة القدم دليل على أن الشعب يفكر بقدمَيْه: كرة القدم هي الديانة التي يستحقها، بما أن الغريزة الحيوانيَّة تفرض فيها نفسها على العقل. أما مثقفو اليسار، فيُخرِجون هذه الرياضة من حساباتهم، لأنها تُخصي الجماهير وتنعطف بزخمهم الثوري (..). لكننا لَحَظْنا، في بداية القرن العشرين، على ضفاف ريو دي لا بلاتا (الخليج المثلث الذي يشكِّله ساحلا الأرجنتين والأورغواي المتقابلان)، وبعدما كانت كرة القدم رياضة المترَفين الإنكليز، نشوء نوادٍ أسسها عمَّال الأوراش الملاحية والسكة الحديدية. ساعتئذٍ، أدان بعض القادة الفوضويين والاشتراكيين هذه «المناورة الإمبرياليَّة لإَسْر الشعوب المقهورة في حالة من الصبيانية»، رغم أن «نادي فتيان الأرجنتين» كان يسمى في البداية «نادي شهداء شيكاغو»، تخليداً لذكرى عمَّال اغتيلوا في الأول من أيار (مايو). وفي الأول من أيار أيضاً، تأسّس نادي Chacarita (أحد الأحياء الرئيسة في العاصمة) في بوينس آيرس، في مكتبة عامة فوضوية. وثمة مثقفون مجَّدوا كرة القدم، ورأوا في هذه الرياضة ما تثيره من شغف. وهي الحالة التي تنطبق على غرامشي الذي انحاز إلى «سؤدد الصدق الإنساني الممارَس في هواء حُرٍّ».

■ لكنَّ كرة القدم كانت دوماً وسيلةً تستعملها الديكتاتوريات والحكومات المناهضة للديموقراطيَّة

ـ كرة القدم والوطن كانا دوماً توأمين سياميَّيْن، لتماهي المتفرّج-المواطِن مع الرياضة: وقد عرف الديكتاتوريون كيف يلعبون على وتر هذا الترابط: في عامَي 1934 و1938، عندما فازت إيطاليا بالمونديال، حصل اللاعبون على الكأس باسم وطن يمثله موسوليني. ففي بداية ونهاية المقابلات، كانوا يوجّهون التحية الفاشية (رفع اليد مفتوحةً تحيَّة للدوتشي). عقوداً بعدئذ، في إيطاليا دائماً، تيسَّر لسيلفيو برلوسكوني، مالِك نادي «ميلانو» وبعض القنوات التلفزيونية، أن يفوز بالانتخابات بشعار Forza Italia (هَيَّا، إيطاليا)، وهي صيحة نشأت في الملاعب؛ كان برلوسكوني قد قدَّم وعوداً انتخابيَّة بإنقاذ الاقتصاد مثلما فعل بالنسبة إلى ناديه. أما دكتاتوريو أميركا اللاتينية، فجعلوا واجباً عليهم أن يرهنوا أنفسهم للرياضة انطلاقاً من المعادلة التالية: «كرة القدم هي الشعب، السلطة هي كرة القدم، وأنا هو الشعب». أما نشيد Pra frante Brasil (أنظري أمامك، يا برازيل)، الذي تمَّ تأليفه للمنتخب عام 1970، فقد صار نشيداً وطنياً رسمياً لحكومة الجنرال ميديتشي Medici، الطاغية الذي استعرض ذاته أمام عدسات كاميرات للصحافة الدولية، مخلِّداً صورته وهو يمسك في قبضته الكأس التي فازت بها البرازيل. أما في الأرجنتين، فإن الديكتاتور فيديلا، استخدم لصالحه صورة أحسن لاعب في مونديال 1978، مواطنه ماريو كيمبس. أما الجنرال بينوشي، فقد تحكَّم بأقدار نادي Colo-Colo، مثلما تحكَّم نظيره البوليفي غارسيا ميسا بأقدار نادي Wilstermann.

■ هل «تُبَرْهِنُ» كأس العالم 1978، التي نُظِّمت في الأرجنتين في عز الدكتاتوريَّة، على أنَّ كرة القدم تُشتَعْمَل كقناع للديكتاتوريين؟

ـ بعد سنتين على الانقلاب الذي قاده الجنرال فيديلا، جرت مباريات كأس العالم خلال حقبة أكثر الديكتاتوريات دمويةً في تاريخ الأرجنتين. لم تتم أية إشارة أو تلميح إلى آلاف حالات الاختفاء القسري. ولكن، بعد سنتين، خلال المونديال في مونتفيديو، سمعنا في الملاعب، للمرة الأولى، صيحات مناهضة للديكتاتورية، التي عاشت فيها الأورغواي مختنِقة منذ عام 1973. صمت الناس لمدة سبع سنوات، ولم تظهر الاعتراضات والاحتجاجات إلا في ملاعب كرة القدم.

■ لكن، ألا يعطي مثال كأس العالم 1978 المثقفينَ الحقَّ في تطليق كرة القدم بلا رجعة؟

ـ كلُّ الأهواء الإنسانية، ككرة القدم، يمكن التلاعب بها، خصوصاً أنها ممارسة عالميَّة، فهل بوسعها أن تفلت من هذا المآل المأساوي؟ إنها أيضاً جيب من جيوب المقاومة. مثالاً على ذلك، عام 1942، ارتكب لاعبو نادي «دينامو كييف»، في عز الاحتلال النازي، جنون هزيمة المنتخب الألماني، رغم أنه تم تحذيرهم: «إذا انتصرتم، ستموتون». دخل السوفيات إلى الملعب مستسلِمين، مرتعشين من الخوف، ولكنهم لم يستطيعوا تقبُّل فقدان كرامتهم، ففازوا وتمَّ إعدامهم بقمصانهم الرياضية. عام 1934، بينما كانت الباراغواي وبوليفيا تَتَذَابَحَانِ، ملقيتين بالآلاف من جنودهما إلى ولاية Chaco، المتنازَع عليها، قام الصليب الأحمر الباراغوياني بإنشاء فريق كرة قدم كان يلعب في الأرجنتين والأورغواي لجمع الأموال اللازمة لعلاج جرحى المعسكرَيْن المتحاربَيْن. بعد ثلاث سنوات، خلال الحرب الأهلية الإسبانية، كان فريقان جوالان يرمزان إلى مقاومة الجمهورية المعتدى عليها. بينما كان فرانكو، مدعوماً من هتلر وموسوليني، يغتال معارضيه، كانت نخبة كروية تجول أوروبا لجمع أموال دعم الجمهوريين والدعاية لهم. وكان نادي برشلونة، الذي اغتيل رئيسه من قبل الفرانكيّين، يفعل الشيءَ نفسَه في المكسيك والولايات المتحدة الأميركية. في عزّ حرب التحرير عام 1958، كان المنتخب الجزائري يلعب بقمصان تحمل ألوان العلم الوطني (كما شكَّلته جبهة التحرير الوطني)، وكان من بين اللاعبين نجوم منضوون في أندية فرنسية. ولكن هذه النخبة لم تلعب في مواجهة المغرب، أو في لقاءات تنظمها النقابات العمالية، وفي بعض البلدان العربية وبلدان أوروبا الشرقية. وكان أن اتخذ الفيفا، على إثر ذلك، قرار تعليق عضوية المغرب وتوقيف كل اللاعبين الجزائريين عن اللعب. بعد عام 1962، تمَّ من جديد ضمهم إلى النوادي الفرنسية التي لم تكن لتستغني عن مواهبهم.

■ ألا يبدو لك مؤسِفاً، اليوم، أن يكون لاعب كمارادونا مؤثِّراً على الشباب أكثر من أي فنان آخر؟

مع عولمة المعلومة، وسيطرة أصحاب الرساميل على التلفزيون، صار للَّاعب الرياضي أثر كبير، صورته تُسْتَعْمَل لغايات سياسية أو تجارية محضة، وكثيراً ما كان ذلك رغماً عنه. وهذا راجعٌ — أكرر ذلك — إلى كون كل شغف إنساني قابلاً للتحوير. مارادونا أكبر لاعب في العالم إثارةً لموجات من الشغف خلال العقد الماضي، فهو مبدع عبقري، ارتكب جريمة اللعب بالقدم اليسرى، وإذا تصفحت قاموس Petit Larousse، ستجد فيه أنّ «أَعْسَرُ = عكس ما ينبغي فعله». إضافة إلى ذلك، فقد فضح كل ما أرادت السلطة تمريره بصمت. واعترافه (بالإدمان) شجاعة، لأنه رسالة موجهة إلى الشباب. وهو يصف فيها كيف أن حياتَه صارت جحيماً، أحرق لهيبه حتى أسرته. لو كنتُ أنا أو أنت، من قال هذا، أي أثر سيكون لتصريحاتنا؟ التصريحاتُ هي لمارادونا.. ففي نهاية القرن هذه، حيث أصابَ البرودُ هذه الرياضة، وصار من اللازم الانتصار، صار ممنوعاً الاستمتاع بالفرجة. ومع مارادونا صارت تحدث الحالات النادرة حيث تكون الفانتازيا فعَّالة. مأساته تتجلى في أنه يحمل عبئاً على كتفه اسمه مارادونا. كان أن تفوّه ذات يوم بعبارة رهيبة تلخّص وضعيته كنصف إله: «أنا مُحْتَاجٌ لِأَنْ يُحْتَاجَ إِلَيَّ». وهي نتيجة للهيمنة التي أدينها أعلاه.

مواد أخرى على الموقع

Samedi 19 Novembre 2022 no43
السبت 19 تشرين الثاني 2022 العدد 43

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

قصر عدل بعبدا
انتظار في العتمة

[3-2]

رسم أنجك بوليغان ـ المكسيك (تفصيل)

كي لا ننسى ما زرعناه زمن الإحتلال
5

حقوق الناس رهن التوازن الطائفي
4

العرف الانتقائي؟
7

مدنيّون في ساحة القضاء العسكري
6

في الواجهة

لا مياه للشرب ولا كهرباء في قصر عدل بعبدا. أكوام من النفايات تتجمّع في الزوايا، وعلى الأدراج بقايا طعام في أكياس عفنة. رائحة القذارة تفوح من الحمامات المعطلة بسبب انقطاع المياه وغياب أعمال الصيانة والتنظيف الدورية. لا يختلف حال «قصر العدل» في بعبدا عن غيره من قصور العدل في لبنان، اللّهم إلّا من بعض المشاهد التي توحي بـ«الحياة» رغم انعدام أبسط مقوّمات العمل القضائي. إذ لا قرطاسية، ولا طوابع لاستكمال المعاملات، ولا كهرباء إلّا في النظارة وفي مكاتب بعض القضاة، تم استجرارها قبل فترة بواسطة كابل من مبنى الدوائر العقارية المجاور، تحت وطأة الحاجة لإنارة النظارة التي تحتاج إلى تهوئة مستمرة حفاظاً على سلامة الموقوفين وعناصر القوى الأمنية

قصر عدل بعبدا
انتظار في العتمة

(هيثم الموسوي)

■ فاطمة خشّاب درويش

تشير «العجقة»، في الطابق الأول من مبنى قصر العدل في بعبدا، إلى أنّ الحياة عادت إلى المكان. أهالٍ يتجمعون أمام غرفة إحدى المحاكم. يصل آخرون تباعاً. يتفقدون على الفور لائحة ملصقة على اللوح الخاص بالمحكمة، بأسماء الموقوفين الذين ستجري محاكمتهم هذا النهار. يعلو صوت إحدى السيدات بالدعاء: «يا رب فرجك... بدنا نخلص»، تلاقيها دعوة مسنّة لم تسعفها رجلاها على الوقوف، فجلست على كرسي خشبي متهالك: «إن شاء الله بيطلع اليوم». إحداهن تتأبّط ملفاً وتتلفت قائلة: «منيح اسمه موجود على اللائحة. نطرة طويلة، بس المهم جابوه من السجن، هوي جوا. شفتو من الشباك». تدخل امرأة تحمل طفلة على يديها إلى قاعة المحكمة، وتخرج بعد دقائق دامعة بعدما رأت زوجها على قوس المحكمة.

بعد دقائق من وصول الموقوفين من سجون القبة ورومية وزحلة، حضر القاضي، نحو الثانية عشرة تقريباً، وحان وقت بدء المحاكمات. كل الأمور على ما يرام. فُتح باب القاعة وبُدِئ بمناداة الأسماء للدخول إلى القاعة. بعد لحظات، تبدّل المشهد وتبدّدت آمال الأهالي مع تحوّل الجلسات إلى جلسات استجواب تمهيدي، بسبب تغيّب أحد المستشارين واعتكافه عن العمل.

أمام غرف المحاكمات روايات يحكيها أصحابها عن وجع عمره أشهر، بل وسنوات، ليس اعتراضاً على توقيف من يثبت أنه مذنب، ولكن استنكاراً للمماطلة في البت في الملفات وإصدار الأحكام بحق الموقوفين احتياطياً، سواء في نظارة قصر العدل أو في السجون اللبنانية في مختلف المناطق.

تروي سمر، وهي أم لثلاثة أطفال أكبرهم في الـ 11 من عمره، معاناة عمرها خمس سنوات، منذ توقيف زوجها في سجن رومية بسبب ديون في ذمّته. «قد يكون هناك جرم احتيال قام به لتحصيل هذا المال، ولكن هل يعقل أن يبقى 5 سنوات من دون محاكمة؟». تعمل سمر في بيع الخضار لتعيل أولادها وهي غير قادرة على تكاليف توكيل محام لزوجها. كل ما تفعله هو تقديم طلب إخلاء سبيل له بين وقت وآخر.

جاءت سهى منذ التاسعة صباحاً برفقة المحامي لحضور جلسة ابنها الموقوف في جريمة سلب منذ سنة ونصف سنة. حضر القاضي ولكن ابنها لم يحضر إذ لم يجر سوقه من سجن رومية. خاب أمل سهى التي كانت تتوقّع أن يصدر حكم بحق ابنها الذي «يكلفني وجوده في السجن كثيراً. بروح لعنده على رومية كل فترة. ما بحبني اتبهدل، بتركلو كل مرة مصاري بالحانوت حتى يشتري حاجياته. وضعي الاقتصادي صعب، وعم اضطر اتدين حتى أعطيه، شو بدي أعمل؟».

تخرق المشهد القاتم لأهالي الموقوفين فرحة سيدة تحمل بيدها ورقة إخلاء سبيل ولدها، وهي تصعد على الدرج والبسمة ترتسم على وجهها وكأنها الجائزة الكبرى في اليانصيب. تسبق كلماتها كل من تصادفه: «مشي حال إخلاء السبيل. رح إمضيه وطلّعو على رومية، صرلوا إبني بالسجن سنة بسبب مشكل على موتسيك، المهم خلصنا».

يختلط صوت السيدة مع صوت محام مرّ بجانبها وهو يتحدث هاتفياً مع موكله: «مشي الحال. تحددت قيمة الكفالة 150 مليون ليرة، خليّنا ندفعها ونخلص». تختلط الأصوات ببعضها، فيعلو صوت أحد القضاة من إحدى غرف المحاكمة وهو يعلن تأجيل جلسة المحاكمة أسبوعين إفساحاً في المجال أمام المتخاصمين للتوصل إلى «حل حبيّ».

حركة المحامين

يتأبّط المحامون ملفاتهم، ويتنقلون بين غرف المحاكمات في الطابق الأول من قصر عدل بعبدا. يقفون أمام الغرف، ينتظرون قليلاً، ثم يسألون: «إجا القاضي؟». وإذا كان الجواب: «لا»، يكون السؤال التالي: «تحدد وقت الجلسة الجاي؟»، ليرفع بعدها المحامي هاتفه ويتصل بموكله لإبلاغه بأنّ الجلسة تأجلت إلى تاريخ لاحق.

في الممر الموصل إلى غرفة «حوادث السير»، تطبق العتمة على المكان. ولولا الهواتف الخليوية التي تلمع على المقاعد الخشبية ما أمكن الانتباه إلى وجود أحد في المكان.

يجلس عدد من المحامين على مقاعد خشبية متقابلة «يلفلشون» ملفاتهم على أضواء هواتفهم، ويتبادلون الحديث على أمل بحلحلة قريبة للوضع القضائي. يتشارك المقعد معهم رجل ثمانيني يضع كوفية على رأسه، يحمل أوراقاً بيده يلفلشها بين الحين والآخر، في محاولة لفهم ما تتضمنه من معطيات. لحظات ويصل محاميه. يقف مرحّباً ويعطيه الأوراق التي بيده، ويقول له: «إن شاء الله خير».

في الجهة المقابلة للممر، يتبادل محام ومحامية حديثاً عن الوضع: «الأمور مش عم تكمل. إذا إجا القاضي ما في سوق للموقوفين. وإذا ساقوا الموقوفين القاضي ما بيحضر. والموكلين مش عم يدفعوا حتى يلاقوا حلحلة شوي. والوضع واقف».

المساعدون القضائيون

ربما هي المرحلة الأصعب التي يعيشها المساعدون القضائيون في لبنان في هذه الفترة. لطالما عانى هؤلاء من نقص في الحقوق أو الحوافز وربما التعويضات، ولعل ما يميّز الوضع الحالي أنه «زاد الطين بلة». إذ إن أقل مقومات العمل الإداري غير متوافرة. فالقرطاسية من أقلام وأوراق غير متوافرة، وإذا توافرت فهي غير كافية لكل الأقلام ولا تتناسب مع حجم الحاجات الضرورية لإتمام الملفات القضائية وحفظها.

في غرف صغيرة مكدّسة بالملفات الصفراء، من الأعلى حتى الأسفل، تكاد بعض الملفات فيها تتهاوى من أعلى الخزانات الحديدية لكثرتها. ينكبّ المساعدون القضائيون على إنجاز ما استطاعوا إليه سبيلاً، على ضوء الهواتف، فيما يستعين أحدهم ببطارية يدوية لتدوين الأسماء والملاحظات.

يضاف إلى ذلك مشكلة غياب الطوابع والمحابر، وهي المستلزمات التي تعتبر أكثر من ضرورية لتسهيل عمل المرفق القضائي وإنجاز الملفات بصورتها النهائية.

تكديس الملفات

غياب المكننة عن المرافق القضائية من أهم المشاكل التي تعاني منها قصور العدل في لبنان. والأرشيف المركزي في قصر العدل في بعبدا، لا يختلف عن غيره، فالوصول إليه يحتاج إلى معاملة نظراً لكثرة الملفات الورقية، وصعوبة استرجاعها. فعملية البحث عن ملف قد تتطلب ساعات خاصة مع انقطاع الكهرباء. ويقول أحد المطلعين على واقع الأرشيف: «عندما كانت الكهرباء موجودة، كان شخص واحد فقط ينزل إلى الأرشيف لاسترجاع عدد من الملفات. مع غياب الكهرباء، أصبحت النزلة صعبة وتكاد تكون متعذّرة إلى حد كبير، فضوء الهاتف لا يساعد في عملية الاسترجاع لأن العتمة شديدة والأرشيف تحت الأرض».

لا مياه للشرب في النظارة

تنتشر النفايات في قصر عدل بعبدا في كل مكان، وتفيض سلال المهملات بالأوساخ من كل جانب. المشهد الأكثر قذارة على الدرج المؤدي إلى النظارة، حيث يجتمع الأهالي في انتظار دورهم لمواجهة الموقوفين. يقول أحد الأهالي: «واقفين حد الزبالة هون حتى نضلّ قريبين ونأخذ دور لنفوت نواجه بالنظارة».

تسع نظارة القصر في بعبدا لحوالي 70 موقوفاً حداً أقصى، إلا أن العدد الحالي للموقوفين على ذمة التحقيق يقارب الـ 150. والأعداد في ازدياد بسبب عدم البت إلا في عدد قليل من الملفات بسبب اعتكاف القضاة الذي زاد من تكدّسها.

محامية تراجع بعض الملفات على ضوء المصباح اليدوي (القوس)

ويُحتجز في النظارة عدد من القاصرين بعمر 16 و17 سنة، إلى جانب قاصر بعمر 13 سنة خلافاً للمادة 2 من قانون حماية الأحداث المخالفين للقانون أو المعرّضين للخطر التي تنص على أن «قضاء الأحداث هو المولج بشؤون الأحداث والمولى أصلاً تطبيق هذا القانون وتتولى الوزارات المعنية تأمين كل الوسائل اللازمة لهذا التطبيق».

يعاني القاصر من حالة تبول لا إرادي ليلي، ويحاول الموقوفون مساعدته كل صباح في تنظيف فراشه، ما يطرح تساؤلات حول وضعه القانوني: هل تم التحقيق معه وفق الأصول القانونية بحضور مرشدة اجتماعية؟ هل يجوز أن يحتجز قاصر في النظارة مع العلم أن أغلب الموقوفين موقوفون بجرم تعاطي المخدرات والاتجار بها إلى جانب جرائم أخرى كالسلب والدعارة والاتجار بالبشر؟

على بعد خطوات من باب النظارة، تسهّل القوى الأمنية دخول أهالي الموقوفين لمواجهة أقاربهم، وتخضع الأطعمة للتفتيش الدقيق بهدف التأكد من عدم وجود أيّ آلات حادة أو أيّ مواد مخدرة.

في زمن الكوليرا، يحمل أهالي الموقوفين «شنط» المياه المعدنية، فلا مياه صالحة للشرب في نظارة قصر العدل في بعبدا. تقول إحدى الأمهات: «كان حق صندوق المي 4000 ليرة، اليوم صار حقه 60 ألف ليرة، بدنا كذا صندوق بالأسبوع، عم بضطر اقطعن عن حالي حتى أمّن المي، هيدا غير حملتن مسافة بعيدة من برا قصر العدل حتى نزّلن على النظارة».

لا يمل أهالي الموقوفين الانتظار لساعات طويلة، فالمشوار «محرز»، خاصة للقادمين من البقاع والشمال والجنوب، ممّن يفترشون الدرج المؤدي إلى النظارة، حيث تفوح رائحة القذارة من الحمامات المعطلة بسبب عدم وجود المياه، وغياب أعمال النظافة والصيانة منذ أشهر.

تخرق المشهد القاتم لأهالي الموقوفين فرحة سيدة تحمل بيدها ورقة إخلاء سبيل ولدها وكأنها فازت بالجائزة الكبرى في اليانصيب

بإسم الشعب

قاضٍ يخلي سبيلَ قاصرين.. ويدفع الكفالة الماليّة

أصدر قاضي التحقيق في الشمال داني الزعني قراراً بتخلية سبيل قاصرين شقيقين إثر توقيفهما منذ نحو شهر وعشرة أيام، وذلك بعد إشكال وقع بينهما وبين أحد الأشخاص على خلفية جمع صفائح التنك والخردة من الشوارع والبوَر. ووقع الإشكال، وفق ما ورد في محضر التحقيق، بعد أن عمد المدّعي مراراً وتكراراً إلى انتزاع ما يجمعه القاصران بالقوة، ما دفع بأحدهما إلى رمي حجر على منزل الأخير أدى إلى تحطم زجاج نافذة. فأقدم على ضربهما وتسليمهما إلى فصيلة درك القبيات التي أحالتهما على فصيلة مشتى حسن. وفي جلسة استثنائية، مَثل القاصران أمام القاضي الزعني في حضور المحامي محمد العيتاوي بتكليف من القاضي نفسه، الذي قرر الاستعاضة عن التوقيف بكفالة مالية سدّدها القاضي عنهما وأخلى سبيلهما، ما لم يكونا موقوفين لداعٍ آخر.

في العمق

ألف باء للقانون

لبنان عضو مؤسس وعامل في منظمة الامم المتحدة وملتزم مواثيقها والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وتجسّد الدولة هذه المبادئ في جميع الحقول والمجالات دون استثناء

الفقرة «ب» مقدمة الدستور اللبناني

يولد جميع الناس احرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وُهبوا العقل والوجدان وعليهم ان يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء

المادة الاولى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

لكل إنسان حق التمتّع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان دونما تمييز من اي نوع، ولا سيّما التمييز بسبب العنصر، او اللون، او الجنس، او اللغة، او الدين، او الراي سياسيا وغير سياسي، او الاصل الوطني او الاجتماعي، او الثروة او المولد، او اي وضع آخر

المادة الثانية الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

بيروت تجمع الهيئات الوطنية لحقوق الإنسان

حقوق الناس رهن التوازن الطائفي

■ فداء عبد الفتاح، نائلة نحلة

نظّمت الشبكة العربية للمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان، بالتعاون مع الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان متضمّنة لجنة الوقاية من التعذيب في لبنان ومركز الأمم المتحدة للتدريب والتوثيق في مجال حقوق الإنسان لجنوب غرب آسيا والمنطقة العربية، في بيروت، بين 7 و10 تشرين الثاني، دورة تدريب مدربين في «استقبال الشكاوى ومتابعتها وزيارة أماكن الاحتجاز وإعداد تقارير الرصد». وشارك في الدورة ممثلون عن الهيئات الوطنية لعظم الدول العربية، فحضر مشاركون من: فلسطين، الأردن، سوريا، مصر، العراق، الجزائر، تونس، المغرب، قطر، البحرين، سلطنة عمان، موريتانيا، جيبوتي، جزر القمر ولبنان.

شاركت في التدريب نخبة من المدربين العرب الذين قدموا عدداً من المواضيع الأساسية للإحاطة بكامل عملية الرصد والتوثيق وتلقّي الشكاوى وكتابة التقارير. وعلى مدى أربعة أيام، ناقش المشاركون المبادئ الأساسية للرصد من خلال معايير الأمم المتحدة الواجبة التطبيق، الاحتجاز وزيارة المحتجزين، والتركيز دائماً على التنبّه للبعد الجنساني لشكاوى حقوق الإنسان خلال كتابة التقارير، وعدم اعتبار النساء من الفئات الهشة، فهنّ كذلك عندما يتعرّضن للانتهاك فقط. وقد تمّ نقاش هذا العنوان من خلال عرض اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، والقوانين الجنائية وقوانين العمل، وقوانين الأحوال الشخصية التي تتضمّن تمييزاً ضد المرأة. وقد اعتمد المدربون خلال الجلسات على طرح العناوين ونقاشها من خلال تجارب المشاركين وطرح مسائل عملية لتحليلها ووضع آليات متابعتها وفقاً للمنهجية التي قدّمها المدربون.

خلال الدورة التدريبية، عرض المشاركون في مداخلاتهم تجاربهم وخبراتهم من خلال الهيئات في دولهم والتي يجمعها العديد من القواسم المشتركة، سواء لناحية آليات العمل وأنواع الانتهاكات، أو لناحية المعوّقات التي تواجهها، الأمر الذي من المفترض العمل عليه ومناقشته لمعرفة كيفية تذليل هذه المعوّقات من خلال إيجاد آليات ملزمة توجّه للحكومات لتسهيل عمل الهيئات الوطنية وتمكينها من القيام بمهامها من دون أيّ عوائق.

(ارشيف ـ مروان طحطح)

توكيل محامين ومراقبة التشريعات

من بين النماذج العربية المتعددة المشاركة في هذا اللقاء الموسّع، قدّم عضو الهيئة الوطنية الفلسطينية لحقوق الإنسان سامي جبارين عرضاً لتجربة الهيئة التي تتصدى للعديد من الملفات والقضايا، وتلجأ إلى القضاء وتوكّل محامين لمتابعة الملفات التي لا يتمكن أصحابها من توكيل محامين وتشكّل قضيتهم قضية رأي عام. وقد حققت الهيئة العديد من الإنجازات، سواء لناحية الطعن في بعض القوانين التي شكّلت انتهاكاً لحقوق الإنسان، أو لناحية تلقي الشكاوى ومتابعتها، أو التصدي عبر محاميها لقضايا مرتبطة بالرأي العام. هذه التجربة الرائدة دلّت على أهمية دور الهيئات الوطنية لحقوق الإنسان والتي تعدّ من المؤسسات الرقابية التي تعمل بالتوازي مع السلطة القضائية من جهة، ومن جهة ثانية لها دور رقابي على السلطة التشريعية حيث لها حق الطعن في القوانين.

شرط التوازن الطائفي

استضاف لبنان الدورة التدريبية التي نظّمتها الشبكة العربية للمؤسسات العربية لحقوق الإنسان. وقدّم أعضاء الهيئة إمكاناتهم لإنجاح هذه الدورة، رغم الظروف العامة المحيطة. رئيس الهيئة والأعضاء المعيّنون وفقاً للصيغة اللبنانية في آليات التعيين، والتي من أولوياتها مراعاة التوازن الطائفي الذي يعدّ من حيث المبدأ انتهاكاً لحقوق الإنسان، يعملون باللحم الحيّ. إلّا أنهم لم يتمكنوا حتى اليوم من تحقيق أيّ خرق يذكر في تفعيل دور الهيئة في ظل الأزمة التي يعانيها لبنان، وخاصة في ما يتعلّق باعتكاف السلطة القضائية وتعرّض الموقوفين احتياطياً لانتهاك واضح باحتجاز الحرية خلافاً للقانون.

62

أنشئت الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان المتضمنة لجنة الوقاية من التعذيب بموجب القانون الرقم 62 بتاريخ 27 تشرين الاول 2016. سندا لمبادئ باريس التي ترعى آليات إنشاء وعمل المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان. وبعد ورود العديد من التوصيات للدولة اللبنانية من مجلس حقوق الإنسان في الامم المتحدة ومن هيئات المعاهدات الدولية.

جرجس: الدولة لا تريدنا

رغم تشكيلها عام 2019، لم تستطع الهيئة أداء ولو جزء ضئيل من المهام الواسعة التي أناطها بها القانون لأسباب عدة، يعزوها رئيس الهيئة فادي جرجس إلى عدم رغبة السلطات في تفعيل عمل الهيئة ربما بسبب أهمية المهام المناطة بها، والمتمثلة في رصد مدى تقيّد لبنان بحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني، ووضع ونشر التقارير الخاصة أو الدورية بشأنها والمساهمة المستقلة في التقارير المتوجّبة على الدولة اللبنانية. ولفت جرجس إلى أن الهيئة تعاني الكثير من المعوّقات التي تتمثّل بعدم توفر مركز تباشر منه عملها، وافتقاد الكادر البشري المتخصص وكل الإمكانات اللوجستية والمالية، إذ يعمل أعضاؤها بمجهود فردي لسدّ الثغَر إلى حين إصدار مرسوم المخصّصات. ويشدّد على أن العمل في مجال حقوق الإنسان لا يجب أن يقاس بالمنظور المادي. لكن في ظل أحكام القانون التي تقضي بالتفرغ الكلي وتمانع الجمع بين عضوية الهيئة وأي عمل آخر، فإن الأعضاء بحاجة إلى الحد الأدنى من المقوّمات التي تساعد على الاستمرارية.

وأشار جرجس إلى الدور السلبي الذي تقوم به السلطة التنفيذية في تفعيل عمل الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان بالتخلّف عن إقرار مراسيمها التنظيمية ولا سيّما نظامها الداخلي والمالي ومخصّصات أعضائها وتخصيص مقر لائق لتسيير أعمالها، لتكون مستقلّة عن أيّ سلطة، ولتتمكن من الاضطلاع بفعالية بولايتها المتمثّلة في تعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسيّة للجميع، على النحو المبيّن في إعلان وبرنامج عمل فيينا، وعلى القيام بذلك وفقاً لمبادئ باريس التي ترعى عمل المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان.

ولفت إلى إعاقات موصوفة من قبل وزيري العدل والمالية منذ تاسيس الهيئة. فقد اعترض وزير العدل على دور الهيئة في رصد انتهاكات حقوق الطفل ومكافحة الاتجار بالبشر، معتبراً أن هذه الصلاحيات تتعارض مع ما تقوم به الضابطة العدلية، «وهذا يدلّ على عدم فهم أو تجاهل لأبسط قواعد عمل الهيئات المستقلة لحقوق الإنسان التي تعمل على تلقي الشكاوى ورصد انتهاكات كل الأجهزة القضائية، بما فيها الضابطة العدلية».

أما وزارة المالية فقد واصلت على مدى السنوات السابقة رفض تطبيق القانون الرقم 273 الصادر عن مجلس النواب، والذي يؤكد أن للهيئة الوطنية باباً مستقلاً في الموازنة على غرار الباب المخصّص للمجلس الدستوري. إلا أنه رغم تحديد تبويب موازنة الهيئة ووظيفتها في باب مستقل في الموازنة الأخيرة، وفق ما ينص عليه القانون، فهي لن تستطيع صرف الميزانية المرصودة لها بسبب عدم موافقة مجلس الوزراء على النظام الداخلي والمالي.

ويوضح جرجس أن في لبنان أكثر من 1180 مكاناً لاحتجاز الحرية، ليس بإمكان الهيئة تغطيتها وزيارتها ورصد التجاوزات فيها بسبب عدم توافر الكادر البشري، غير أنها لا تقف مكتوفة الأيدي، بل تحاول إيجاد آليات بديلة لممارسة مهامها من خلال الاستعانة بمتطوّعين يؤمنون بضرورة حماية حقوق الإنسان أو طلب المعونة والمساعدة من جهات دولية، حصراً ضمن مشاريع شراكة ممولة من منظمات حقوق الإنسان الدولية.

في لبنان أكثر من 1180 مكاناً لاحتجاز الحرية. ليس بإمكان الهيئة تغطيتها وزيارتها ورصد التجاوزات فيها بسبب عدم توافر الكادر البشري

وعن دور الهيئة في ظل إضراب السلطة القضائية، بما فيها النيابات العامة وتأثير ذلك على أوضاع الموقوفين في السجون وأماكن الاحتجاز، رأى جرجس أن الاعتكاف العام للقضاء في لبنان «سابقة لا مثيل لها في العالم ولها تأثير كبير على حقوق الإنسان، ولا سيّما الموقوفين»، ودعا السلطات القضائية إلى ممارسة دورها في تكريس استقلالية الهيئة وتفعيل دورها، من خلال إبداء الرأي في أنظمتها بما لا يخالف مبدأ الاستقلالية، وبما يوافق مع قانون إنشائها ولا سيّما صلاحيتها لجهة مراقبة النزاع ورصد وتوثيق الانتهاكات المتعلقة بالقانون الدولي الإنساني، وشدد على ضرورة الكف عن الاستنسابية في تطبيق القوانين المتعلقة بحماية وتعزيز حقوق الإنسان وخصوصاً لجهة تجريم التعذيب ومحاكمة مرتكبيه، واحترام الضمانات المكرّسة في التعديل الأخير على المادة 47 من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

القضية المركزية

كي لا ننسى ما زرعناه زمن الإحتلال

■ بشرى زهوة

صيف عام 2018، وكجزء من مشروع بحث هدَف إلى بناء أرشيف في جامعة «ماغيل» في كندا عن قصص المرأة والحرب في لبنان، يرتكز على مقابلات مع نساء عايشن الحرب، أو كانت لهنّ تجربة لافتة خلالها، أجرى الأستاذان في الجامعة، ميشيل هارتمن ومالك أبي صعب، مقابلات مع نساء لبنانيات وفلسطينيات كنّ جزءاً من حركات المقاومة بطرق مختلفة. من بين هؤلاء كانت الأسيرة المحرّرة المناضلة نوال قاسم بيضون التي اعتُقِلت في نيسان 1988 لمشاركتها في نضالات المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني وعملائه.

كتبت بيضون أجزاءً من مذكّراتها أثناء فترة اعتقالها، وأكملتها بعد الإفراج عنها. وعمل كل من هارتمن وأبي صعب، جنباً إلى جنب معها، لمساعدتها في نشر هذه المذكّرات في كتاب «مذكرات المناضلة نوال قاسم بيضون في معتقل الخيام (1988-1991)» الصادر عن دار أبعاد، عام 2020. (ترجمه هارتمن وكالين نصرالله إلى الإنكليزية، وحرّره مالك أبي صعب، وصدر في 2021، تحت عنوان " Memoirs of a Militant, My Years in the Khiam ("Women's Prison.

أمل أبي صعب وهارتمن أن يساعد هذا المشروع في الحفاظ على التجارب ونقلها للأطّلاع على تاريخ الحرب في لبنان. وحول هذه المذكرات، يشيران إلى أن ما يميّز بيضون عن رفيقاتها الأسيرات، أنّها كتبت تجربتها تلك، وذلك من أجل أن يستفيد منها كل المقاومين ضد الظلم والطغيان، وكل المهتمين بدراسة تاريخ المرأة في الشرق الأوسط».

من جامعة ماغيل إلى مذكّرات مناضلة

يدرّس أبي صعب، في معهد الدراسات الإسلامية في «ماغيل»، ويؤكد في إحدى المقابلات معه، أنه لا يستند في منهاج المادة التعليمية إلى أي مراجع أو مصادر تنعت المقاومين بـ«المخرّبين»، وهو كان قد اعتبر في لقاء مع «الأخبار» أنّ «المسار النضالي الذي يتبعه حزب الله المتمثّل بتحرير الجنوب اللبناني من الاحتلال الإسرائيلي، يشبه إلى حدّ ما مسارات نضالية أخرى في جنوب أفريقيا وفيتنام مثلاً».

(راجع الأخبار، "كيف يدرَّس حزب الله في إحدى أهم جامعات العالم"، 29 آذار 2018) 247232/https://al-akhbar.com/Politics

أما زميلته الكندية، ميشيل هارتمن، التي تدعم «حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها» (BDS)، فقد نشرَت في مجلة «الآداب» عام 2016 مقالاً بعنوان: «لماذا لا يزال النضالُ من أجل فلسطين أمراً مهمّاً، ولماذا ندعم مقاطعة إسرائيل: رؤيةٌ من كندا»، طرحت من خلاله سؤالاً رئيسياً: «لماذا يُعتبر هذا النضالُ مهمّاً اليوم وكيف يمكن أن ننضمّ إليه؟».

وتُجيب بأنّ «كثيرين في كندا، كما في أماكنَ أخرى، أدركوا أهمّيّةَ النضال الفلسطينيّ وتبنّوْه نضالاً رمزيّاً ضدّ الظلم الاستعماريّ». وأكّدت على إدراك «أنّ النضال لتحرير فلسطين هو نضالٌ ضدّ كيانٍ كولونياليّ سافر وفخور بذاته ويَقمع الشعبَ من دون رادع أو خوفٍ من العقاب».

ويشدد أبي صعب وهارتمن على أن مذكرات بيضون «تحدٍّ لفكرة أن المرأة المسلمة فشلت في لعب دور فعّال في المقاومة المسلّحة»، إذ إن بيضون تنتمي إلى جيل من النساء المسلمات في العالم العربي لعِبنَ دوراً مهماً في النضال من أجل التحرّر.

نضال ونصر

بعد التحرّر من المعتقل لم يتوقّف نشاط بيضون النضالي، بل كان هدفها الرئيسي متابعة قضية المعتقلين، فشاركت في تأسيس «الجمعية اللبنانية للأسرى والمعتقلين». ومن أهم نشاطات الجمعية، كان سفر بيضون إلى روما مع وفد ضمّ عدداً من الأسرى المحرّرين، لنقل قضيّة المعتقلين إلى بابا الفاتيكان، إضافة إلى إثارة القضية على الصعيد الدولي من خلال الاحتجاجات، إلى أن تمّ تحرير جميع المعتقلين في سجن الخيام على أيدي المقاومة والأهالي في 23 أيار عام 2000. دمّر جيش الاحتلال الإسرائيلي معتقل الخيام بشكل كامل عام 2006. ظناً منه بأن تدمير هذا المعلم الذي شهد على جرائمه، سيمحو من الذاكرة تاريخه الإجرامي وعذابات المعتقلين والشهداء الذي سقطوا تحت قوة التعذيب بين جدرانه. تُنهي بيضون مذكّراتها وشهادتها، بالتأكيد على ضرورة عدم نسيان جرائم العدو الصهيوني وعملائه: «قصّتي في الأسر لا تختلف عن قصص الأسرى، وكتبتها لتبقى في الذاكرة عبر الزمن كي لا ينسينا السلم ما زرعناه زمنَ الاحتلال».

لا أعرف

«حتى تستمر في الحياة، عليك ان تُقنع نفسك بأن وجودك في المعتقل هو نهائي»

على امتداد 208 صفحات، تشدّ بيضون القارئ بسلاسة ومهارة سردية واضحة، رغم المشاهد المظلمة وشدّة التعذيب. تنقسم المذكّرات إلى ثلاثة أقسام: الأول يتحدث عن الظروف القمعية التي واجهها الجنوبيون تحت الاحتلال الإسرائيلي أواخر العام 1986، والثاني عمّا بعد الاعتقال عام 1988 وأهوال الحياة اليومية والصراع من أجل البقاء داخل معتقل الخيام على مدار 4 سنوات، وختامها كان مع قصة الحريّة عام 1991، والانتصار «لأن من لا تاريخ له لا مستقبل له، فكان النصر وكانت الحرية» (ص.197).

وُلدت بيضون في بنت جبيل، وتربّت في كنف عائلة مُقاومة، حيث اعتادت منذ طفولتها وجود السلاح في البيت (براوننغ)، فوالدها كان منتسباً إلى حركة تحرير فلسطين (فتح)، وكان يشرح لها عن أهمّية اقتناء السلاح للتصدّي للاعتداءات الإسرائيلية. «وعيت على هالشي» كما تقول بيضون، وتشرح كيف بدأ وعيها السياسي بالتطوّر في سن المراهقة، وأنّها كانت تستمع إلى الأناشيد الثورية الفلسطينية كنشيد: «طالعلك يا عدوّي طالع من كل بيت وحارة وشارع» (ص.16) إلى أن وجدت نفسها مجبرة على حمل السلاح لمقاومة هذا الاحتلال. وقررت برفقة مجموعة من الفتيات التنسيق مع شباب المقاومة الإسلامية لتنفيذ عملية اغتيال العميل حسين عبد النبي (عدو النبي كما كانوا يسمّونه) المسؤول عن جهاز أمن ميليشيات العملاء في منطقة بنت جبيل. لكنّ العملية فشلت نتيجة خطأ إحدى الفتيات، بعد تخطيط دام 7 شهور. وفي 19 نيسان 1988 دخلت نوال المعتقل. وبقي المسدس والكاتم سرّها طوال فترة الاعتقال. ولم تعترف بأي شيء سوى بالمعلومات التي ذكرتها إحدى الفتيات المعتقلات قبلها تحت التعذيب.

أظهرت نوال قوة وشجاعة كبيرتين في هذه التجربة، حيث امتحنت في «صدق إيمانها بالمبادئ التي اعتنقتها»، وكانت عصيّة على التعذيب، بالرغم من جسدها الهزيل، ووضعها الصحي والنفسي السيئ، وكانت تردد باستمرار وتحت جميع أشكال التعذيب جملة واحدة: «لا أعرف».

تذكر بيضون كيف فرحت ورفيقاتها وشعرن بالفخر بعد سماعهن بمحاولة اغتيال العميل أنطوان لحد على يد فتاة من بلدة دير ميماس تُدعى سهى بشارة، التي رافقت بيضون في ما بعد في الاعتقال، وتشاركنَ حب المقاومة والنضال والقضية، «فضيتك، كقضيتي، الفرق أنني أنا نفّذت العملية وأنتِ اعتُقلتِ قبل ذلك» (ص.185).

«حتى تستمر في الحياة، عليك أن تُقنع نفسك بأن وجودك في المعتقل نهائي» (ص.27) هذه الجملة قد تبدو لمن يقرأها أنّها خرجت من إنسان مستسلم خاضع، لكنّ تجربة نوال في الاعتقال والسجن، تستحق القراءة، لأنّها تسلّط الضوء على حياة المعتقلات اللواتي حرمن من ضوء الشمس والهواء النقي والطعام اللائق. لكن، ما بين طيّات الكتاب سيُبهر القارئ، وسيرسم بسمة على وجهه ذلك الإبداع في ابتكار المعتقلات لأساليب المقاومة داخل المعتقل، والتواصل الروحي والمعنوي مع بعضهنّ ومع بقية الأسرى، من خلال كلمات سرّ أو أناشيد، أو أغانٍ، وحتى رسائل في أكياس الخضار... كل ذلك سيُعطي القارئ انطباعاً بأنّ حياة المعتقل بالرغم من مرارتها، لم تكن يائسة وحزينة بل «كانت حياة تتحدى شقاء السجون، وتعطي الأمل بالانتصار... وهزيمة العدو مهما طال الزمان». وقد وصفت هارتمن وأبي صعب هذه الأساليب بأنّها «استراتيجيات مُلهِمة».

سين جيم

إعداد صادق علوية

مدنيّون في ساحة القضاء العسكري

عرف لبنان محاكم استثنائية عدة، منها ما كان موقّتاً ومنها ما هو دائم، لكن الأشهر بينها المحكمة العسكرية التي ثار حولها لغط كبير، إن لجهة صلاحياتها المتشعبة او لجهة الخلط بينها وبين بقية المحاكم الاستثنائية من حيث الاختصاص. ويدور النقاش بين من يرغب في تقليص صلاحياتها ومن يطلب توسيعها. والمحكمة العسكرية ليست محكمة موقّتة كالمحكمة الامنية الخاصة التي انشئت عام 1978، ولا مجلساً حربياً يتولى الملاحقة والمحاكمة عن الجرائم المرتكبة خلال الحرب، بل هي قضاء مستقل بذاته واستثنائي وخاص يُدعى القضاء العسكري، يتولى النظر وملاحقة جرائم محددة بطبيعتها، واناط به القانون ملاحقة البعض الآخر آخذاً في الحسبان صفة الجاني او المجنى عليه. وقد تم تحديد صلاحية هذا القضاء لجهة الجرائم بقوانين عدة، إلا انه يمكن القول إن دور هذا القضاء يكمن في انه محكمة استثنائية لظروف استثنائية. ورغم ان البلاد لا تزال في ظروف استثنائية منذ تاسيسها، إلا انه يقتضي تحديد ما التبس على اللبنانيين من نقاط فيه بشكله لا يقبل التاويل. في عام 2014، وعند إبداء الراي من قبل هيئة الاستشارات والتشريع في وزارة العدل حول اقتراح قانون يرمي إلى تعديل قانون العقوبات العسكرية، تحفظت الهيئة عمّا ورد في اقتراح القانون، وطلبت حفظ صلاحية المحاكم العسكرية في الملاحقة والتحقيق مع الاشخاص غير العسكريين، وفي محاكمتهم مهما كان دورهم في جريمة أحيل فيها عسكريون امام القضاء العسكري، وذلك حفاظاً على وحدة الدعاوى ولترابط ادوار منفذي الجرم، ومنعاً لصدور احكام متناقضة في الجرم ذاته من مرجعين قضائيين مختلفين

(مروان بو حيدر)

1- ما هي الجرائم التي يختص بها القضاء العسكري ولو ارتكبها مدنيّ؟

تختص المحاكم العسكرية بالنظر في:
- الجرائم التي يرتكبها عسكريون أثناء عملهم.
- جرائم الخيانة والتجسس والصلات غير المشروعة بالعدو (المواد 273 حتى 287 من قانون العقوبات وفي المادتين 290 و291 منه).
- الجرائم المتعلقة بالأسلحة والذخائر الحربية المنصوص عليها في قانون الأسلحة.
- الجرائم المرتكبة في المعسكرات وفي المؤسّسات والثكن العسكرية.
- الجرائم الواقعة على شخص أحد العسكريين، باستثناء تلك التي تقع على شخص أحد المجنّدين ولا تتعلق بالوظيفة.
- الجرائم الواقعة على شخص أحد رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام.
- الجرائم الواقعة على الموظفين المدنيين في وزارة الدفاع الوطني والمحاكم العسكرية أو لدى الجيش وقوى الأمن الداخلي والأمن العام إذا كانت لهذه الجرائم علاقة بالوظيفة.
- جميع الجرائم، مهما كان نوعها، التي تمسّ مصلحة الجيش أو قوى الأمن الداخلي أو الأمن العام.
- الجرائم الواقعة على شخص أحد رجال الجيوش الأجنبية أو التي تمسّ بمصلحتها ما لم يكن هناك اتفاق مخالف على تحديد الصلاحية بين الحكومة اللبنانية والسلطة التابعة لها هذه الجيوش.
- مخالفات أحكام قانون خدمة العلم.
- الجرائم التي ينصّ قانون تجريمها على صلاحية المحكمة العسكرية وعدم وجود نص قانوني يحجب صلاحيتها.

2- ما هي الجرائم والدعاوى التي تخرج عن صلاحية القضاء العسكري ولو ارتكبها عسكريون

- الدعاوى الناشئة عن الجرائم العادية المتعلقة أو غير المتعلقة بالوظيفة التي تقام على رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام والموظفين المدنيين لدى هذه القوى أو تقام منهم، إلا إذا وقعت في المعسكرات والمؤسسات العسكرية، أو إذا كان الجرم من الجرائم المتعلقة بمهام وعمل القوى الأمنية المعرّفة بالجرائم العسكرية.
- الدعاوى الناشئة عن الجرائم العادية والجرائم المتعلقة بالوظيفة التي تقام من أو على المماثلين للعسكريين من رجال الجمارك ورجال القوى المسلحة في الموانئ والمطارات، وسرية الأحراج ووحدات الحراسة ومفارزها، ورجال الإطفاء والشرطة البلدية في مختلف البلديات.
- الجرائم التي يرتكبها رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام، والمديرية العامة لأمن الدولة والموظفون المدنيون التابعون لقوى الأمن الداخلي والأمن العام والتي لا علاقة لها بالوظيفة.
- الجرائم التي يرتكبها رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام والمديرية العامة لأمن الدولة أثناء التحقيقات العدلية العادية التي يقومون بها والتي لها علاقة بهذه التحقيقات أو المرتكبة منهم بسببها أو بموجبها.
- الجرائم التي تقع على رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام والموظفين المدنيين التابعين لقوى الأمن الداخلي والأمن العام والتي لا علاقة لها بالوظيفة.
- الجرائم التي يرتكبها رجال قوى الأمن العام والمديرية العامة لأمن الدولة أثناء قيامهم بمهامهم في مكافحة الإرهاب والجرائم الواقعة على أمن الدولة الداخلي والخارجي.

> تنحصر صلاحية المحكمة العسكرية من اي درجة كانت بدعوى الحق العام دون الحق الشخصي وعلى المدّعي الشخصي إقامة الدعوى امام المحكمة المدنية الصالحة

او ارتكبت بحق عسكريين وبعود النظر فيها للقضاء العادي؟

خلافاً لأحكام قانون القضاء العسكري وقانون قوى الأمن الداخلي والأمن العام، يخرج عن اختصاص القضاء العسكري ويعود إلى القضاء العدلي النظر في:
- الجرائم الواقعة على شخص أحد العسكريين، باستثناء تلك التي تقع على شخص أحد المجنّدين ولا تتعلق بالوظيفة.
- الجرائم الواقعة على شخص أحد رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام.
- الجرائم الواقعة على الموظفين المدنيين في وزارة الدفاع الوطني والمحاكم العسكرية أو لدى الجيش وقوى الأمن الداخلي والأمن العام إذا كانت لهذه الجرائم علاقة بالوظيفة.
- جميع الجرائم، مهما كان نوعها، التي تمسّ مصلحة الجيش أو قوى الأمن الداخلي أو الأمن العام.
- الجرائم الواقعة على شخص أحد رجال الجيوش الأجنبية أو التي تمسّ بمصلحتها ما لم يكن هناك اتفاق مخالف على تحديد الصلاحية بين الحكومة اللبنانية والسلطة التابعة لها هذه الجيوش.
- مخالفات أحكام قانون خدمة العلم.
- الجرائم التي ينصّ قانون تجريمها على صلاحية المحكمة العسكرية وعدم وجود نص قانوني يحجب صلاحيتها.

2- ما هي الجرائم والدعاوى التي تخرج عن صلاحية القضاء العسكري ولو ارتكبها عسكريون

- الدعاوى الناشئة عن الجرائم العادية المتعلقة أو غير المتعلقة بالوظيفة التي تقام على رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام والموظفين المدنيين لدى هذه القوى أو تقام منهم، إلا إذا وقعت في المعسكرات والمؤسسات العسكرية، أو إذا كان الجرم من الجرائم المتعلقة بمهام وعمل القوى الأمنية المعرّفة بالجرائم العسكرية.
- الدعاوى الناشئة عن الجرائم العادية والجرائم المتعلقة بالوظيفة التي تقام من أو على المماثلين للعسكريين من رجال الجمارك ورجال القوى المسلحة في الموانئ والمطارات، وسرية الأحراج ووحدات الحراسة ومفارزها، ورجال الإطفاء والشرطة البلدية في مختلف البلديات.
- الجرائم التي يرتكبها رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام، والمديرية العامة لأمن الدولة والموظفون المدنيون التابعون لقوى الأمن الداخلي والأمن العام والتي لا علاقة لها بالوظيفة.
- الجرائم التي يرتكبها رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام والمديرية العامة لأمن الدولة أثناء التحقيقات العدلية العادية التي يقومون بها والتي لها علاقة بهذه التحقيقات أو المرتكبة منهم بسببها أو بموجبها.
- الجرائم التي تقع على رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام والموظفين المدنيين التابعين لقوى الأمن الداخلي والأمن العام والتي لا علاقة لها بالوظيفة.
- الجرائم التي يرتكبها رجال قوى الأمن العام والمديرية العامة لأمن الدولة أثناء قيامهم بمهام في مكافحة الإرهاب والجرائم الواقعة على أمن الدولة الداخلي والخارجي.

3- هل يمكن الادّعاء من قبل المتضرر امام القضاء العسكري؟

تنحصر صلاحية المحكمة العسكرية من أيّ درجة كانت، بدعوى الحق العام من دون الحق الشخصي، ولا يجوز استماع الشاكي إلا على سبيل المعلومات. وعلى المدّعي الشخصي إقامة الدعوى أمام المحكمة المدنية الصالحة. ويتوقف صدور الحكم بها حتى فصل دعوى الحق العام نهائياً ويعفى الشاكي المتضرر من رسوم الدعوى.

4- هل يتألف القضاء العسكري من ضباط او من قضاة؟

لا يتألف القضاء العسكري من ضباط فحسب، بل يرأس معظم أجهزته قضاة، ويتولى التحقيق والاتهام فيها قضاة أيضاً كقاضي التحقيق العسكري ومفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية رغم أنها تضم ضباطاً بين أعضائها، كما يرأس محكمة التمييز العسكرية قاض في حين يرأس المحكمة العسكرية الدائمة ضابط، ويتميز كل من محاكمها بتشكيل مختلف من حيث العضوية والرئاسة.

5- ممّن تُشكّله محكمة التمييز العسكرية؟

تتألف محكمة التمييز العسكرية:
1 - في الدعاوى الجنائية: قاض وأربعة ضباط:
من قاض من ملاك القضاء العدلي من الدرجة السابعة وما فوق رئيساً، ومن أربعة ضباط أعضاء من رتبة مقدّم فما فوق.
2 - في الدعاوى الجنحية: قاض وضابطان
من قاض من ملاك القضاء العدلي من الدرجة السابعة وما فوق رئيساً، ومن ضابطين عضوين من رتبة مقدّم فما فوق.

6- ممّن تُشكل المحكمة العسكرية الدائمة؟

تتألف المحكمة العسكرية:
1 - في الدعاوى الجنائية: ضابط رئيساً و3 ضباط أعضاء وقاض.
من ضابط برتبة مقدّم فما فوق رئيساً، ومن أربعة أعضاء أحدهم قاضٍ من ملاك القضاء العدلي في الدرجة الثالثة عشرة وما فوق، وثلاثة ضباط من رتبة دون رتبة الرئيس.
2 - في الدعاوى الجنحية: ضابط رئيساً وضابط عضو وقاض.
من ضابط لا تقل رتبته عن رتبة مقدّم فما فوق رئيساً، ومن عضوين أحدهما قاض من الدرجة الثالثة عشرة وما فوق، وضابط دون الرئيس رتبة.
وعند محاكمة أحد ضباط الجيش، ينبغي أن يكون جميع القضاة العسكريين في كل من هاتين المحكمتين أعلى رتبة من الضابط المدّعى عليه أو من رتبته على الأقل.
وعند محاكمة رجال قوى الأمن الداخلي او موظفي الأمن العام، تُشكّل محكمة التمييز العسكرية والمحكمة العسكرية بالتساوي من ضباط الجيش ومن ضباط من سلك المدّعى عليه.

7- من هم القضاة العسكريون المنفردون؟

يتولى القضاء العسكري المنفرد قضاة من ملاك القضاء العدلي، غير انه يمكن تعيينهم من الضباط المجازين في الحقوق من رتبة ملازم اول فما فوق، وإذا تعذّر ذلك فمن غير المجازين.

8- من هي الجهة الصالحة لبتّ التنازع على الصلاحية بين المحاكم العدلية والعسكرية؟

عند وجود خلاف سلبي أو إيجابي على الصلاحية بين محكمة عسكرية ومحكمة عدلية، يصار إلى تعيين المرجع من قبل محكمة التمييز بناءً على طلب النائب العام لدى محكمة التمييز.

3 انواع من القضاة

يتألف القضاء العسكري من:
- قضاة الادّعاء: مفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية ومعاونيه
- قضاة التحقيق: قاضي التحقيق العسكري الأول وقضاة التحقيق العسكريين
- قضاة الحكم وهم: قضاة منفردون والمحكمة العسكرية الدائمة ومحكمة التمييز العسكرية.

وتطبق لدى المحاكم العسكرية الأصول المبيّنة في القانون العادي لجهة ضبط المحاكمة ومسك السجلات.

محكمة الفرنساوية

قبل عام 1921، كانت المحاكم العسكرية الفرنسية تتولى النظر في محاكمة من يقومون بأعمال تضرّ بسلامة الجيش الفرنسي، باعتبار أن ولاية المحاكم الفرنسية تمتد مع انتشار الجيش الفرنسي، إلى أن أصدر المفوّض السامي الفرنسي الجنرال غورو في عام 1921 قراراً بإحالة المخالفات إلى المحاكم العادية للحكم فيها بعدما كانت تحال إلى المحاكم العسكرية. إلا أن هذا القرار لم يستمر حتى أصدر الجنرال ساراي قراره بمحاكمة المخالفين أمام المحاكم العسكرية الفرنسية، ونصّ على صلاحيتها بملاحقة من يرتكبون في أراضي سوريا ولبنان الكبير والعلويين وجبل الدروز أعمالاً تضرّ بسلامة الجيش الفرنسي أو بمصالحه.
عام 1933، حدّد نظام «الجندرمة» اللبنانية أن صلاحية محاكمة ضباط «الجندرمة» وجنودها على اختلاف رتبهم هي من صلاحية المجلس الحربي في سائر الجنايات والجنح.
عام 1941، تم إنشاء محكمة عسكرية دائمة في بيروت للقوات «الفرنساوية» الحرة بموجب قرار المفوّض السامي كاترو.
عام 1945، بعد الاستقلال، صدر قانون بتاريخ 12/10/1945 حدد اختصاص المحكمة العسكرية.
عام 1968، صدر قانون القضاء العسكري، وتم تحديد صلاحية القضاء العسكري في الجرائم الواقعة على رجال قوى الأمن الداخلي والأمن العام والموظفين المدنيين التابعين لقوى الأمن الداخلي والأمن العام.
عام 1971، تم تحديد ما يخرج عن صلاحية القضاء العسكري ويعود للقضاء العادي، بموجب المادة 39 من المرسوم الرقم 1460 تاريخ 8/7/1971.
عام 2001، تم تعديل قانون القضاء العسكري وأخرج من صلاحيته الجرائم التي يرتكبها أو ترتكب بحق المجندين عند ارتكابهم جرائم لا علاقة لها بمهامهم العسكرية.

تحت القوس

العرف الانتقائي؟

■ عمر نشابة

سأل النائب سامي الجميل الرئيس نبيه بري خلال جلسة انتخاب رئيس الجمهورية في البرلمان أول أمس "نريد أن نسألك على أي مادة تستند ونأخذ جواباً دستورياً حين نقر أننا نريد الحفاظ على نصاب الثلثين في حين أن المادة 49 لا تتكلم عن النصاب" ردّ عليه بري موضحاً مضمون المادة 49 وذكّره بموقف كان قد اتخذه الجميل نفسه وعبّر من خلاله عن تمسكه بنصاب ثلثي أعضاء المجلس.
لكن لا بد من التوقف عند سؤال الجميل لأنه يشدد على وجوب الاحتكام إلى المواد الدستورية لتحديد شؤون الدولة. فهل يمكن تحديد المادة الدستورية التي تحدد طائفة ومذهب رئيس الجمهورية مثلاً؟ وإذا كانت تلك المادة غير موجودة كما هو الحال (راجع مقال الزميل صادق علوية في القوس عدد 2022/8/27) فهل يقبل النائب الكتائبي أن يكون رئيس الجمهورية من غير الطائفة المسيحية؟ وهل يقبل النواب من الطوائف الأخرى عدم تحديد طائفة رئيس الحكومة أو رئيس مجلس النواب مثلاً؟
على أي حال، بعد مراجعة نص الدستور يتبيّن أن كل النقاش الذي جرى تحت قبة البرلمان يوم الأول من أمس ليس قانونياً فبعد دخول النائب الجميل ورئيس المجلس ونواب آخرون في نقاش بشأن نصاب جلسات انتخاب رئيس للجمهورية، لا بد من التذكير بالمادة 75 من الدستور التي جاء فيها أن "المجلس الملتئم لانتخاب رئيس الجمهورية يعتبر هيئة انتخابية لا هيئة اشتراعية ويترتب عليه الشروع حالاً في انتخاب رئيس الدولة دون مناقشة أو أي عمل آخر". وبالتالي فإن رئيس المجلس يتحمّل مسؤولية فتح سجال كان يمكن تجنبه من خلال تلاوة نص المادة 75 بعد تلاوة نص المادة 49 من الدستور وفرض الالتزام بها.

> وفقاً للدستور فإن النقاش الذي جرى تحت قبة البرلمان يوم الاول من أمس ليس قانونياً

يذكر أن رئيس مجلس النواب كان قد حسم أن "النصاب المطلوب لانتخاب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية هو الثلثين أي ثلثي أعضاء المجلس أي 86" خلال جلسة عُقدت في 23 نيسان 2014، ولم يعترض النائب الجميل على ذلك آنذاك. يومها حضر جلسة انتخاب رئيس الجمهورية 124 نائباً وانسحب 46 منهم في الدورة الثانية. رفع بري الجلسة لأن عدد النواب المتبقين لم يتجاوز 78 أي أقل من ثلثي المجلس.
يتعارض ذلك مع تفسير هيئة تحديث القوانين في المجلس التي كانت قد شرحت في 27 تشرين الثاني 2006 أن "النصاب الملحوظ في الفقرة الثانية من المادة 49 من الدستور هو نصاب متحرك مرتبط بالأكثرية المطلوبة للانتخاب، أي نصاباً مشدداً بأكثرية الثلثين على الأقل في دورة الاقتراع الأولى لتأمين أكبر قدر ممكن من التوافق على شخصية رئيس الجمهورية، ونصاب الأكثرية المطلقة من دورات الاقتراع اللاحقة". خالف بعض النواب الأعضاء في الهيئة هذا التفسير وهو أصلاً غير ملزم قانونياً، لكنه يبدو مناسباً لفتح باب النقاش بشأن انتخاب رئيس الجمهورية. وقد يكون هذا النقاش ضرورياً لمنع تكرار تعطل انتخاب رئيس الجمهورية. قد يفضل البعض حصر النقاش في النصاب لا في تحديد طائفة رئيس البلاد. إذ يبدو أن الالتزام بالقانون العرفي بات انتقائياً. فلا مجال بالنسبة للبعض بالمسّ بطائفة الرئيس بينما يدعو النائب الجميل إلى إعادة النظر بالعرف المعتمد منذ الطائف بالتوافق على شخص رئيس الجمهورية.
ويبقى المخرج الأنسب مراجعة شاملة لنصّ الدستور والعمل الجدّي على إلغاء المحاصصة الطائفية بشكل كامل، غير أن ذلك لا يبدو متاحاً في ظل العصبيات الطائفية والفئوية المتفشية في المجتمع وفي مجلس النواب.

الهيئة الوطنية اللبنانية لحقوق الإنسان

10 اعضاء
5 منهم في اللجنة الوطنية للوقاية من التعذيب

6 سنوات هي مدة تعيين الاعضاء غير قابلة للتجديد بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء

من هم الاعضاء؟

- 1 قاض سابق يسميه مجلس القضاء الاعلى
- 1 خبير قانوني تسميه نقابتا المحامين
- 1 خبير في القانون الدولي الإنساني تسميه نقابتا المحامين
- 2 مختص في الطب النفسي وآخر في الطب الشرعي تسميهما نقابتا الاطباء
- 3 استاذ جامعي مختص بحقوق الإنسان يسميه مجلس العمداء في الجامعة اللبنانية
- 1 إعلامي تسميه نقابتا الصحافة والمحررين
- 1 ثلاثة ناشطين في حقوق الإنسان تسميهم اللجنة النيابية لحقوق الإنسان

ما هو دور الهيئة؟

- متابعة وتقييم واقع حقوق الإنسان وقانون الدولي في لبنان ووضع ونشر تقارير خاصة او دورية بشانها
- تلقي الإخبارات والشكاوى المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان ولها ان تتقصى الوقائع والادلة المتعلقة بها، وتساهم في معالجتها
- تكلف الهيئة من اعضائها إجراء عمليات الاستقصاء واستكمال المعلومات
- تقرر الهيئة حفظ ملف الشكوى، او محاولة حلها عن طريق المفاوضة او الوساطة او مساعدة الشاكي في تقديم المراجعات اللازمة امام الجهات المختصة
- تضمين برامجها التربوية مواد في حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني
- المساهمة في حملات وبرامج إعلانية وإعلامية حول معايير وسبل احترام حقوق الإنسان
- إعداد الدراسات وتنظيم المؤتمرات والندوات والدورات التدريبية وإصدار ونشر وتوزيع الكتب والمنشورات

ما هي مهام وصلاحيات لجنة الوقاية من التعذيب؟

- **زيارات دورية** أو مفاجئة في أي وقت لأماكن الحرمان من الحرية دون إعلان مسبق ودون الحاجة لإذن من أي سلطة
- **مقابلات** جماعية او خاصة على انفراد مع من تشاء من الأشخاص المحرومين من حريتهم، بعيداً عن أي رقابة
- **مقابلة** اي شخص اخر تعتقد انه يمكن أن يقدم معلومات ذات صلة او مساعدة تراها لازمة
- **فحص** او كشف طبي
- **خبراء** تستعين بهم اللجنة لمرافقة أعضائها في زيارتهم لأماكن الحرمان من الحرية
- **وضع** ملاحظات وتوصيات ومقترحات ترفعها إلى المراجع المختصة
- **إبلاغ** السلطات المختصة بوضع الأشخاص المحتجزين بصورة تعسفية
- **تقديم** الملاحظات والتوصيات والمقترحات في مشاريع القوانين أو التعديلات المقترحة على القوانين التي لها علاقة بموضوع معاملة الاشخاص المحرومين من حريتهم واحتجازهم وظروف أماكن الحرمان من الحرية وإجراءات المحاكمة العادلة

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 al_qaous 01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com